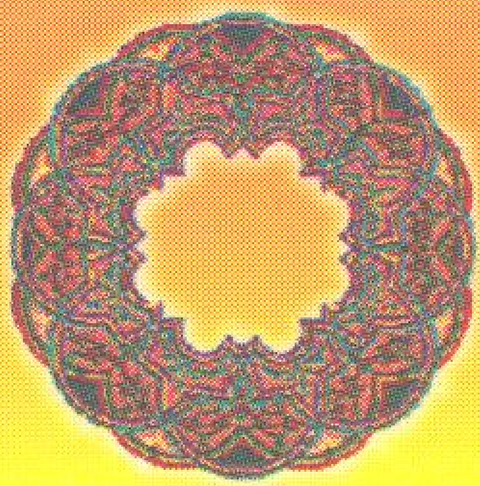


تراث الجمهورية

ضرب الإسكندرية

المقدمات والنتائج

مذكرات

قائد العمليات في جيش عرابى

مذكرات

الإمام الشيخ محمد عبده

صلاح عطية

2008

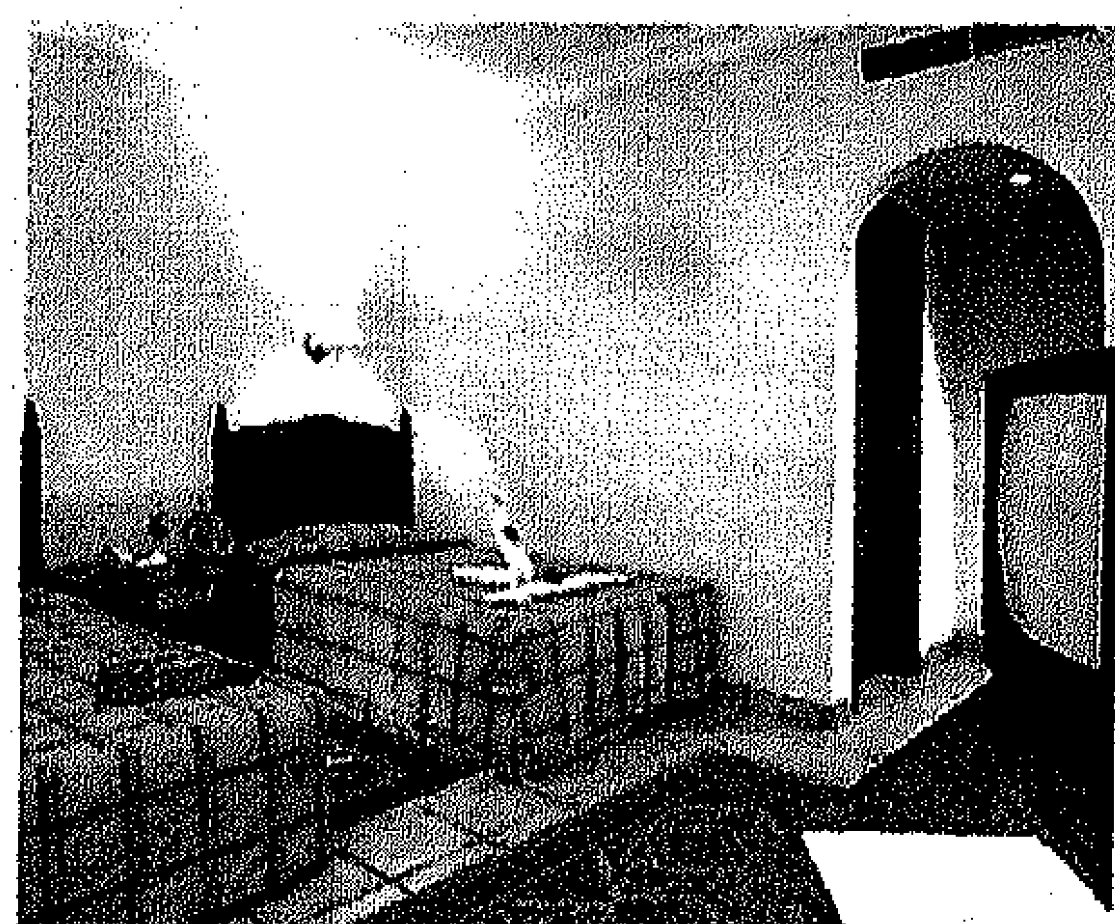
الكتاب الحادي والثلاثون

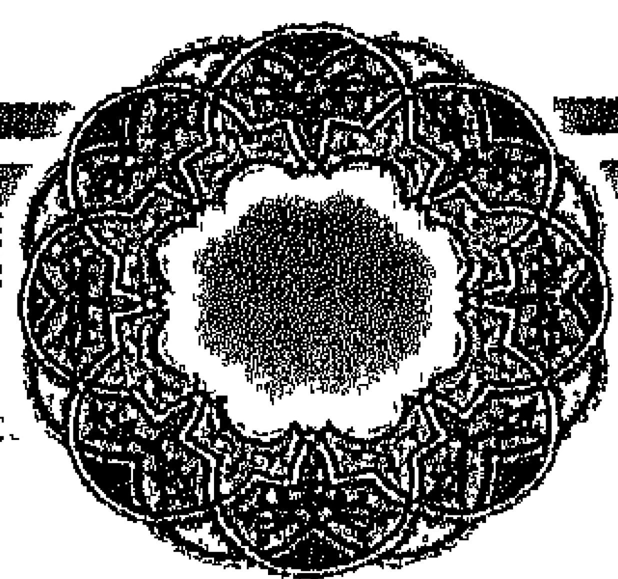

JASMINE











تراث الجمهورية
سلسلة تأسست في يناير ٢٠٠٦

يوليو ٢٠٠٨
الكتاب الحادي والثلاثون

ضرب الإسكندرية

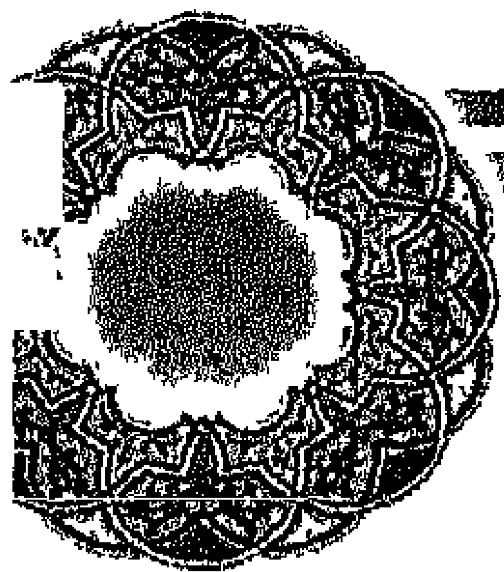
المقدمات... والنتائج

مذكرات
قائد العمليات فى جيش عرابى

مذكرات
الإمام الشيخ محمد عبده

صلاح عطية

رقم الإيداع : ٢٠٠٨/١٤٩٥٣
I.S.B.N 977 - 236 -631 - 2 : الترقيم الدولى
طبع بمطابع دار الجمهورية للصحافة



تراث الجمهورية

سلسلة تأسست في يناير ٢٠٠٦

تصدر عن

مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر

« دار الجمهورية للصحافة »

رئيس مجلس الإدارة

محمد أبو الحديد

الإعداد والإشراف العام

صلاح عطية

تصميم الغلاف : الفنان مصطفى كامل

تنفيذ الكتاب : ميرفت محمد حسن

١١١ - ١١٥ شارع رمسيس - القاهرة تليفون ٢٥٧٨١٠١٠ - ٢٥٧٨٣٣٣٣

فاكس ٢٥٧٨١٧١٧ - ٢٥٧٨١٥٥٥ www. eltahrir.net

صور الغلاف :

الصورة في الجزء العلوي: أحمد عرابي - الخديو توفيق

باقـــي الصـــور : محمود فهمي باشا - الإمام الشيخ محمد عبده - الشيخ محمد رشيد رضا

بسم الله الرحمن الرحيم

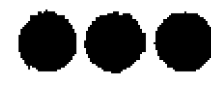
بهذا الكتاب نخطو أولى خطواتنا إلى العشرة الرابعة فى كتب سلسلة «تراث الجمهورية».. وأشكر الله سبحانه وتعالى الذى أعاننى على إنجاز واحد وثلاثين كتاباً حتى الآن فى ٣١ شهراً منذ صدرت هذه السلسلة فى أول يناير ٢٠٠٦.

ولا أستطيع أن أتحدث عن هذه السلسلة دون أن أذكر فضل الأستاذ محمد أبو الحديد رئيس مجلس إدارة مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر فى إصدار هذه السلسلة.

فقد كانت حلماً لى.. ولم ير النور إلا على يديه.. فقد تحمس لها أشد التحمس.. منذ عرضت الفكرة عليه.. فتبناها.. ووثق بى.. وأطلق يدى فى العمل دون قيود.. وكانت فرحته وحفاوته بأول كتاب صدر منها تفوق ما كنت أقدره.. ثم كانت مساندته الدائمة والمستمرة عوناً لى على الاستمرار والانتظام أيضاً.. بكل ما يعنيه هذا من جهد شاق وعمل لا يعرف الراحة.. ولا أريد أن أتحدث عن مدى الجهد والمعاناة.. وأترك أعداد هذه السلسلة التى صدرت حتى الآن تتحدث عنه.. آملاً أن يستمر رضاء القارئ وإقباله عليها - بعد رضاء الله سبحانه وتعالى- هو الجزاء الأوفى الذى نتطلع إليه مع كل عدد يصدر.



وقد تعودنا مع شهر يوليو أن نقدم فى سلسلة تراث الجمهورية موضوعات تتفق ومناسبة هذا الشهر .. الذى شهد انطلاق ثورة ٢٣ يوليو.. ففى يوليو ٢٠٠٦ قدمنا مذكرات الرئيس الراحل أنور السادات عن مراحل الإعداد لثورة يوليو.. وفى يوليو ٢٠٠٧ قدمنا مذكرات كريم ثابت المستشار الصحفى للملك فاروق.. عن أسرار السياسة المصرية فى عشر سنوات.. وها نحن فى يوليو ٢٠٠٨ نقدم هذا الكتاب التاريخى عن أحداث غيرت تاريخ الوطن منذ ضرب الإنجليز مدينة الإسكندرية فى ١١ يوليو ١٨٨٢.. وأدى هذا إلى احتلال دام نحو ٧٥ عاماً.. ولم يخرج هذا الإحتلال إلا بفضل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.. حيث انتهى رسميا فى ١٨ يونيو ١٩٥٦.



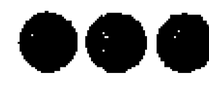
وقد اخترت ضرب الإنجليز لمدينة الإسكندرية فى يوليو ١٨٢٢.. أى منذ ١٢٦ عاماً لأقدم من خلال هذه المناسبة جانباً من «تراث الجمهورية» .. فيما نشرته «الجمهورية» منذ ٥٢ عاماً عن الأحداث التى أدت إلى ضرب الإسكندرية ثم الحادث نفسه وما سبقه.. وما تلاه من أحداث.

وكانت مناسبة النشر هى جلاء قوات الاحتلال الإنجليزى فى عام ١٩٥٦.. والذى تم فى الساعات الأولى من فجر يوم ١٣ يونيو ١٩٥٦.. وقبل الموعد الرسمى للجلاء الذى كان محدداً له يوم ١٨ يونيو ١٩٥٦.. واحتفاء بهذه المناسبة التى كانت حلماً لكل المصريين عاشت تترقبه الأجيال.. بدأت «الجمهورية» فى ذلك الوقت فى نشر مجموعة من المقالات والتحقيقات عن الظروف والملابسات التى جرى فيها الإحتلال... وكفاح الشعب المصرى الذى لم يتوقف أو يهدأ حتى تحقق الجلاء فى يونيو ١٩٥٦.. وقد انتقيت لهذا العدد من «تراث الجمهورية» ما دار حول ضرب الإسكندرية.. ورأيت وأنا أقدم المقالات وأعيد ترتيبها وربطها.. أن أقوم أيضاً باستكمال الموضوع وايفائه حقه من البحث والتدقيق.. بقدر المستطاع والمتاح.. حتى يجد القارئ الكريم قدراً مناسباً من المعلومات التاريخية.. حول هذا اليوم الذى حول تاريخ مصر واستمرت أحداثه ممسكة بخناق الوطن نحو ٧٥ عاماً.



وإذا كان ضرب الإنجليز للإسكندرية فى ١١ يوليو ١٨٨٢ ثم احتلالها، بداية لاحتلال مصر كلها، فإن هذا اليوم كان قمة

عمليات التآمر على مصر التى اشتركت فيه إنجلترا وفرنسا وغيرها من دول أوروبا.. وإن كان لإنجلترا النصيب الأوفى.. والهدف الذى لم يتزحزح عشرات السنين.. فى الرغبة فى الاستحواز على مصر واحتلالها.. طمعاً فيها من جهة.. وتأميناً لمواصلات الإمبراطورية البريطانية فى طريقها إلى الهند من جهة ثانية.. وكسراً لشوكة مصر التى لا يراد لها أبداً أن تخرج عن الإطار الذى يرى الغرب أن مصر يجب أن تبقى فيه.. من جهة ثالثة..



هكذا لم يكن احتلال الإنجليز للإسكندرية فى يوليو ١٨٨٢ هو الاحتلال الأول لهذه المدينة.. فقد سبق للإنجليز أن احتلوا الاسكندرية مرتين قبل ذلك.. المرة الأولى كانت فى عهد الحملة الفرنسية على مصر بدعوى الاشتراك مع الأتراك فى إخراج الفرنسيين من مصر.. والثانية كانت فى عام ١٨٠٧.. واندحر الإنجليز وخرجوا بعد هزيمة حملة فريزر فى رشيد.. ثم المرة الأخيرة فى يوليو ١٨٨٢ والتى نجح فيها الانجليز فى ضرب الإسكندرية واحتلالها ثم احتلال مصر كلها.. وهذا ما سوف نقدمه فى الجزء الأول من هذا الكتاب تحت عنوان:

«ضرب الاسكندرية».. المقدمات والنتائج..

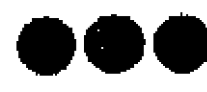


وقد أخترنا أن نقدم من «تراث الجمهورية» فى الجزء الثانى من هذا الكتاب، مجموعة من المقالات والتحقيقات وأيضا المذكرات التى تتناول هذه الفترة من تاريخ مصر.. فبدأنا بقصة الحرية التى قدمناها فى فصلين.. ثم قدمنا جانبا من مذكرات الإمام الشيخ محمد عبده ثم قدمنا جانبا آخر من مذكرات المهندس محمود فهمى باشا قائد العمليات الحربية فى جيش عرابى، ثم قدمنا بعد ذلك وصف الإمام الشيخ محمد عبده لحريق الإسكندرية ثم فصلا عن ضرب الإسكندرية.. وختمنا هذا الجزء بتحقيق مع ثلاثة من المعمرين شهدوا ضرب الإسكندرية وعاشوا حتى رأوا خروج الإحتلال الانجليزى بعد نحو ٧٥ عاما.

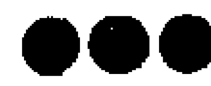


فى قصة الحرية تقدم «الجمهورية» ثورة الشعب على جحافل المماليك الذين جاءوا لنهب المتاجر وسلب أقوات الشعب.. وثورة القاهرة مرتين على الحملة الفرنسية.. وعزل الوالى التركى وتولية محمد على.. وهزيمة الحملة الإنجليزية على

رشيد.. ثم كفاح الشعب ضد تجاوزات أسرة محمد وصولا إلى الخديو توفيق والثورة العرابية والمواجهة السافرة بين الشعب والخديو.. ثم الكفاح الذى لم يتوقف حتى وقعت حادثة دنشواى.. وحمل مصطفى كامل شعلة الكفاح وفضح الإستعمار وأساليبه في كل أنحاء العالم بعد حادثة دنشواى.. ثم ثورة ١٩١٩ ومواصلة الكفاح حتى قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ وطرد الاستعمار فى يونيو ١٩٥٦.



وفى الفصل الثالث من الجزء الثانى من هذا الكتاب نقدم جانبا من مذكرات الإمام الشيخ محمد عبده نشرتها «الجمهورية» فى يونيو ١٩٥٦ ووعدت باستكمالها.. ولكنها لم تفعل.. ربما لتغير الظروف.. وتسارع الأحداث فى عام ١٩٥٦.. فرأينا فى «تراث الجمهورية» أن نستكمل ما بدأته «الجمهورية» من مذكرات الإمام الشيخ محمد عبده ونقدم المذكرات كاملة فى الجزء الثالث من هذا الكتاب.



ونشرت «الجمهورية» ثلاث حلقات من مذكرات المهندس

محمود فهمى قائد العمليات الحربية فى جيش عرابى، كتبت الأول تحت عناوين: قصة عزل اسماعيل وثورة الجيش على نوبار - الضباط يضربون نوبار، ويسقونه الزيت الحار - وزير الداخلية يهرب إلى الأقطار الأوروبية - كيف تزعم عرابى ثورة الجيش.

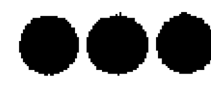
كما نشرت الفصل الثانى تحت عناوين: عرابى يبدأ المعركة بكلمة «ولدنا أحرارا» - ثورة الناس ضد الخديو الذى باع البلاد - النساء يتبرعن بحليهن لتزويد الجيش - الخديو يفتح الطريق أمام الأسطول البريطانى - وكيل محافظة الإسماعيلية التركى يسلم منطقة القنال.

أما الفصل الثالث من مذكرات المهندس محمود فهمى فقد نشرته «الجمهورية» تحت عناوين: ٤٠٠٠ مصرى يحاولون ردم قناة السويس - كيف وقع قائد عمليات عرابى فى الأسر - الخديو حاول قتله ولكن الإنجليز رفضوا - الخائن محمد سلطان يدخل القاهرة بالأعلام البريطانية - كيف تم القبض على عرابى ورفاقه.



وفى الفصل السابع من الجزءالثانى من هذا الكتاب نعود إلى

جانب آخر من مذكرات الإمام الشيخ محمد عبده، وقد نشرته الجمهورية فى مايو ١٩٥٦ دون أن تذكر أنه جانب من مذكرات الإمام.. واختارت له عنوانا موضوعيا يقول: «الشيخ الإمام محمد عبده يصف حريق الاسكندرية».. ويتناول هذا الفصل باختصار شديد ما حدث قبل وبعد يوم ١١ يوليو ١٨٨٢ وهو يوم ضرب الاسكندرية.. حينما تحرش بمصر الأميرال سيمور قائد الأسطول البريطانى الذى جاء إلى ميناء الإسكندرية فى مايو ١٨٨٢ بنية العدوان على مصر.. وحتى يوجد الذرائع لما انتواه.. ادعى أن أعمالا عدوانية - فى تقديره - تجرى فى الإسكندرية.. مثل إصلاح الطوابى وتجهيزها بالمدافع وتجهيز المدافع نفسها للضرب.. ولم يكن شيئا من ذلك صحيحا.. ورفضت مصر إنذاره بإيقاف هذه الأعمال وتسليمه بعض الطوابى.. وتطورت الأحداث إلى ما سنتابعه فى أجزاء هذا الكتاب.

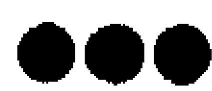


وفى الفصل الثامن من هذا الجزء نقدم جوانب أخرى حول ضرب الإسكندرية فى ١١ يوليو ١٨٨٢ تحت عنوان «مذبحة ١١ يوليو عام ١٨٨٢» فيعرض الرسائل المتبادلة بين مصر وقائد الأسطول الإنجليزى.. وبرقيات قيادته إليه بمنع كل

محاولة يراد بها إغلاق ميناءالإسكندرية.. وتدمير الحصون وإسكات المدافع إذا لم يوقف العمل فورا فى هذه الطوابى.. ويصل هذا الفصل في نهايته إلى ضرب الإسكندرية.. واحتلال مصر.



فى الفصل الأخير من هذا الجزء تقدم «الجمهورية» من خلال تحقيق صحفى لقاء مع ثلاثة من المعمرين الذين عاشوا أحداث ضرب الإسكندرية ثم امتد بهم العمر حتى شهدوا خروج قوات الإحتلال الانجليزى فى يونيو ١٩٥٦.



الجزءالثالث والاخير فى هذا الكتاب هو مذكرات الإمام الشيخ محمد عبده.. وقد رأينا أن نستكمل فى «تراث الجمهورية» ما كانت «الجمهورية» قد بدأته بنشر جانب من مذكرات الإمام ووعدت باستكمالها.. ولكن يبدو أن الظروف وتطور الأحداث قد أديا إلى إغفال نشر باقى المذكرات.



وقد اعتمدنا فى نشر هذه المذكرات بصفة أساسية على ما جاء فى كتاب الشيخ محمد رشيد رضا تحت عنوان «تاريخ

الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده»، وقد قابلنا بين ما نشر فى هذا الكتاب وما نشر فى عدة كتب حول نفس الموضوع، ويأتى بيان هذه الكتب فى قائمة المراجع التى نشرناها فى ختام هذا الكتاب.



وقد ذكر الشيخ محمد رشيد رضا ٢٠ بندا فى قائمة المواد المهمة التى اعتمد عليها فى كتابة هذا التاريخ للإمام وحصرها في البنود التالية:

١- ما كان شرع فيه الاستاذ الإمام من ترجمة نفسه بخطه.

٢- مذكرة بتاريخ حياته كتبها «لى» لأجملها أصلا لخلاصة لتاريخه طلبت منه.

٣- ما كتبه من تاريخ الثورة العرابية ومذكراته الوجيزة فيها.

٤- مجموعة خطية له فيها بعض المستندات فى عمله مع السيد جمال الدين فى تأسيس جمعة العروة الوثقى السرية ونظامها وبعض المكاتبات بينه وبين أعضائها.

٥- مسودات مقالات ومكتوبات وتقارير كان يعطينى إياها لتبييضها أو بسطها ونشرها فى الجرائد أو إرسالها لبعض الناس ومنها ما هو خاص بالأزهر.

٦- مؤلفاته كلها وما اقتبسته من تفسيره ودروسه فى الأزهر.

٧- جملة من المكتوبات والرسائل والقصائد التى كانت ترسل إليه وحفظها عنده

٨ - مجموعة فيها حكم مقتبسة منشورة بخط السيد جمال الدين وخطه ومقالات له

٩ - مقالاته الإصلاحية فى جريدة الوقائع المصرية

١٠ - مجموعة العروة ثقى برمتها بخطى وخط بعض إخوانى

١١- قوانين الأزهر ولوائح التعليم فيه ومحفوظات أخرى في شأنه

١٢- كتاب أعمال مجلس ادارة الازهر

١٣- تقرير محمد بك أبو شادى فى مسألة فتوى طعام أهل الكتاب

١٤- ارشاد الأمة الإسلامية إلى أقوال الأئمة فى الفتوى الترانسفالية لجماعة من أكبر علماء الأزهر

١٥- مجموعة مجلدات المنار وما فيها من المقالات والآراء له وعنه وفى شأنه

١٦ - عدة أجزاء من مجلة ضياء الخافقين فيها مقالات

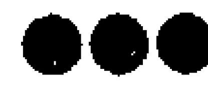
السيد جمال الدين

١٧ - مجموعات المجلات والجرائد المصرية التى نشرت ترجمة السيد وترجمته

١٨ - كتاب الدفاع عن العرابيين لمحاميهم مستر برودلى

١٩ - ما كتبه لى أصدقاؤنا من تلاميذه ومريديه عن سيرته فى سوريا بعد النفى ورحلته إلى السودان وفى مدحه والدفاع عنه

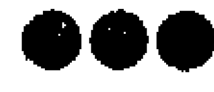
٢٠ - مذكراتى الخاصة ومكتوباته لى وما اقتبسته واستفدته من معاشرته ٨ سنين.



وعند نشرنا للمذكرات رأينا أن نأخذ من كتاب الشيخ محمد رشيد رضا ما كتبه نقلا عن الشيخ محمد عبده فيما يختص بسيرته كما استقاها الشيخ رشيد رضا من مذكرات خطية بيده أو سمعها منه..

وعندما مراجعتنا لما نشرته كتب أخرى عن هذه المذكرات سواء جاءت تحت هذا العنوان أو فى اطار كتب أخرى عن الإمام الشيخ محمد عبده فإننا لاحظنا إضافة بعض مقالات كان قد كتبها الإمام الشيخ محمد عبده، إلى المذكرات

واعتبارها جزءا منها، ولكننا لم نعتبرها كذلك، ورأينا ألا نلتزم إلا بما كتب فى إطار هذه المذكرات.. حتى وإن كان الإمام الشيخ محمد عبده لم يستكلمها كما ذكر الشيخ محمد رشيد رضا.. ولهذا استبعدنا فى نشرنا لهذا المذكرات إثبات أى مقالات أخرى نشرت في مناسبات مختلفة وأضيفت إلى ما نشره البعض عن مذكرات الشيخ محمد عبده.



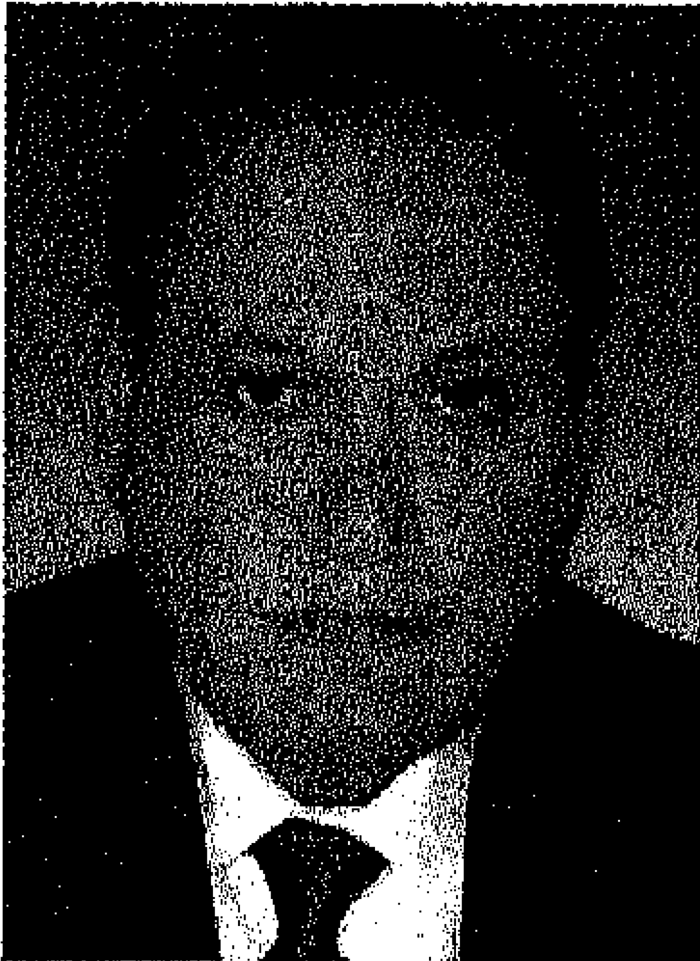
وأرجو أن ينال هذا الكتاب الحادى والثلاثون من «تراث الجمهورية» رضاء القارى العزيز.. وأن نسعد بلقائه مرة أخرى فى كتاب جديد بإذن الله.

صلاح عطية
salahattia@hotmail.com

القاهرة: يوليو ٢٠٠٨

الجزء الأول :

ضرب الإسكندرية المقدمات - والنتائج



«صلاح عطية»

الفصل الأول: الاحتلال يتخفي.. ويماطل

الفصل الثاني: الشعب ينتصر في رشيد

الفصل الثالث: الديون.. التحرش

الفصل الرابع: الخيانة.. والإحتلال

الفصل الأول

الاحتلال يتخفى.. ويماطل

قلت في مقدمة هذا الكتاب أن الإنجليز احتلوا الإسكندرية ثلاث مرات وفي هذا الفصل نتحدث عن المرة الأولى.. وهى التى اتخذت فيها إنجلترا من وجود الحملة الفرنسية فى مصر مبرراً للتدخل فى مصر مع قوة من تركيا بحجة إخراج الفرنسيين من مصر وإعادة مصر إلى سلطان تركيا، فبعد معاهدة التحالف التى عقدتها مع تركيا فى ٥ يناير ١٧٩٩، فإن انجلترا أخفت أطماعها فى البداية.. ولم تستطع أن تخفها فى النهاية، حين ماطلت فى الخروج من مصر بعد أن خرجت الحملة الفرنسية، بدعوى أن معاهدتها مع تركيا كانت تنص على «ضمان الحكومة البريطانية سلامة أملاك السلطنة العثمانية بلا استثناء، كما كانت موجودة وكما كانت قبل الحملة الفرنسية».. ولكن الانجليز نجحوا عن طريق سفيرهم فى الأستانة فى إضافة الشرط الذى يمكنهم من إطالة أمد احتلالهم لمصر وكان نص الشرط الذى أضافوه إلى هذه المعاهدة يقول: «إن الجيش الانجليزى لا يجلو عن مصر إلا بعد استتباب الأمن فى ربوعها».. وهو شرط مطاط وقابل للاختلاف والتفسيرات المختلفة.. وأيضاً هو شرط لم يوضع عبثاً.



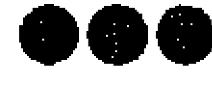
استغرق إعداد الحملة التركية الانجليزية المشتركة على مصر عدة أشهر، ولما تأخرت القوات التركية.. أبحرت القوات الانجليزية بمفردها لتصل تجاه الإسكندرية فى أول مارس ١٨٠١ وألقت مراسيها فى خليج أبى قير فى صباح يوم ٢ مارس ١٨٠١ وكان يقودها الجنرال السير

رالف أبركرومبى، ولأن البحر كان عاصفاً.. فإنها لم تستطع أن تنزل إلى شاطىء أبى قير إلا فى يوم ٨ مارس ١٨٠١ ليشتبكوا مع القوات الفرنسية التى كان يقودها الجنرال فريان.. وتقهقر الجيش الفرنسى وتمكن الجيش الانجليزى من إنزال بقية جنوده «١٧٥٠٠ مقاتل».. وواصل الجيش الانجليزى تقدمه فى ١٢ مارس ١٨٠١ إلى المندرة ليلاقى الفرنسيين الذين عسكروا فيها.. فانسحب الفرنسيون تجاه المنطقة التى تعرف الآن بمحطة مصطفى كامل فى الاسكندرية.. فواصل الانجليز تقدمهم لتدور بينهم وبين الفرنسيين معركة شديد فى يوم ١٣ مارس ١٨٠١ يهزم فيها الفرنسيون.. ويتكبد الطرفان خسائر فادحة.. وقد عرفت هذه المعركة باسم معركة سيدى جابر لأنها وقعت بالقرب من مسجد سيدى جابر.. وعندما حاول الإنجليز التقدم تعرضوا لنيران مدافع الفرنسيين فى كوم الدكة وكوم الناضورة.. فاضطروا إلى الانسحاب وتحصنوا فى منطقة كانت بين البحر وأبى قير.

ثم وقعت معركة كانوب فى يوم ٢١ مارس ١٨٠١ بين الجيش الفرنسى القادم من القاهرة بقيادة الجنرال مينو.. والذى وصل إلى الاسكندرية فى يوم ١٩ مارس ١٨٠١.. وكان الإنجليز قد أنزلوا كل أسلحتهم ومدافعهم وذخائرهم من سفنهم واستعدوا لهذه المعركة التى أراد الفرنسيون بها أن يمنعوا حصار الانجليز للإسكندرية حتى لا يحصر الفرنسيون بين أسوارها إذا أحكم الانجليز حصارها براً وبحراً.

ودارت المعركة بين الجيشين.. وكانت من أهم المعارك التى أدت إلى نتائج حاسمة فى مسار القتال وفى تطور الموقف الحربى والسياسى فى مصر.. وهزم الفرنسيون وتكبد الطرفان خسائر فادحة كذلك..

خسر الفرنسيون عدداً من جنرالاتهم.. وخسر الانجليز قائدهم نفسه الجنرال أبركرومبى وخلفه الجنرال السير هتشنسون.. وفى نفس منطقة المعركة أنشأ الانجليز فى أيام احتلالهم لمصر بعد ذلك، الثكنات التى عرفت باسم ثكنات مصطفى باشا.



فتحت هذه المعركة الطريق للجيش الانجليزى للتوغل فى مصر.. وكان هتشنسون متردداً ولم يتشجع ويحسم تردده إلا بعد أن وصلت الحملة التركية إلى أبى قير يوم ٢٥ مارس سنة ١٨٠١ بقيادة حسين قبطان باشا، ومعه ستة آلاف جندى انضموا إلى الجيش الإنجليزى.. فتشجع هتشنسون وزحف إلى رشيد فى شهر إبريل ١٨٠١ فانسحب الفرنسيون ودخل الانجليز رشيد واحتلوا قلعتها.. وكانت وجهتهم التالية هى الرحمانية.. حيث وقعت معركتها فى ٩ مايو ١٨٠١.

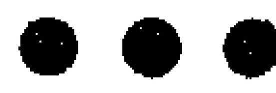
قبل ذلك قطع الانجليز سد أبى قير الذى كان يفصل بحيرة أبوقير القديمة عن بحيرة مريوط، وكانت ترعة الإسكندرية تجرى فوقه.. فتلفت الترعة.. وفاضت مياه البحر التى كانت تغذى بحيرة أبى قير على بحيرة مريوط فغمرتها بالمياه التى كانت قبل ذلك قليلة المياه وتكاد تكون جافة لعدم اتصالها بالبحر.. وكانت مياهها من مياه الأمطار أو مياه الفيضان من ترعة الإسكندرية إذا زاد الفيضان.



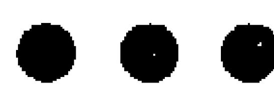
وما فعله الانجليز بقطعهم سد أبى قير، أدى إلى خراب عدد كبير من القرى والبلاد قدر بنحو ثلاثين قرية.

.. كما انقطعت مواصلات الإسكندرية إلى الدخل، وحوصر

الفرنسيون حيث لم يبق لهم إلا طريق الصحراء على مشقتها.. وأصبحت الإسكندرية محاطة بالمياه شمالا وجنوبا.. وبذلك قطعو الطرق على الفرنسيين من كل ناحية.. ورابطوا لهم فى كل الأماكن التى يمكن لهم أن ينفذوا منها.. وتحرك هتشنسون إلى الرحمانية فى أوائل مايو ١٨٠١، بعد أن كلف جانبا من قواته بقيادة الجنرال كورت للمرابطة أمام الإسكندرية لمنع الجنرال مينو من الخروج منها.

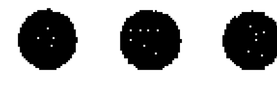


ومع هذا فإن الجيش الفرنسى فى الرحمانية رغم هذا تلقى مددا من الإسكندرية بقوة نحو خمسة آلاف جندى بقيادة الجنرال «لاجرانج».. إلا أنه لم يستطع الصمود أمام هجوم الجيش الإنجليزى مع الأتراك.. فأخلاها لاجرنج ليلة ١٠ مايو ١٨٠١ واتجه إلى القاهرة.. بينما انقطعت المواصلات بين القاهرة والإسكندرية وتردت حالة الجيش الفرنسى فى المدينتين.. وتفاقمت المجاعة فى الإسكندرية لانقطاع مواصلاتها مع الداخل.. ومن الجانب الآخر تقدم الإنجليز والأتراك نحو القاهرة سائرين على شاطىء النيل.

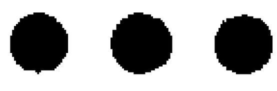


وكان مدد آخر من الأتراك يتوجه إلى مصر قادما من سوريا مرورا بالعريش يضم عشرين ألف جندى.. تحركوا من العريش فى ابريل ١٨٠١ وساروا دون مقاومة حتى بلبيس.. فعزم الجنرال بليار الفرنسى بعد أن انضمت إليه جنود الجنرال لاجرانج على مواجهة الجيش التركى قبل أن يصل إلى القاهرة.. فاشتبك معه فى منطقة الزوامل التى تقع فى منتصف الطريق بين الخانكة وبلبيس.. ولكن الفرنسيون هزموا

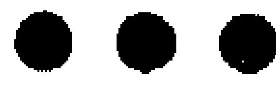
كذلك وتراجعوا إلى القاهرة.. فى الوقت الذى كانت فيه قوات أخرى للأتراك قد استولت على دمياط بعد أن انسحب منها الفرنسيون.



ولم يكن أمام الفرنسيين فى القاهرة بعد ذلك إلا طلب وقف القتال والتفاوض على الجلاء.. فقد كان الجيشان الإنجليزى والتركى قد وصلا إلى القاهرة.. واحتشدت القوات الإنجليزية على الشاطئ الأيسر للنيل.. والقوات التركية على الجانب الأيمن منه.. وأقاما جسرا من المراكب بشبرا يصل بين الجيشين.. وكان عدد الجيشين معا أربعون ألفا.. بينما كان جيش الفرنسيين لا يزيد على عشرة آلاف جندى.

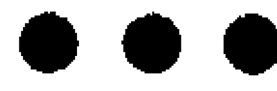


فى يوم ٢٢ يونيو ١٨٠١ والجيش الإنجليزى والجيش التركى يتأهبان للهجوم على المواقع الفرنسية فى القاهرة.. وصل ممثل الجنرال بليار إلى معسكر الجيش الإنجليزى عارضا وقف القتال والتفاوض على شروط الجلاء.. فقبل الإنجليز والأتراك.. واجتمعوا فى اليوم التالى فى الجيزة واستمرت مفاوضاتهم أربعة أيام ووضعوا خلالها شروط جلاء الجيش الفرنسى عن مصر ووقع المندوبون الاتفاق فى ٢٧ يونيو ١٨٠١ وصادق عليه قادة الجيوش فى اليوم التالى.



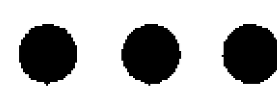
وتم جلاء الفرنسيين عن القاهرة وآلت السلطة فيها إلى قادة الجيش الإنجليزى والتركى.. وبدأ الجنرال هتشنسون يتطلع إلى الإسكندرية معتزما العودة إليها لمحاربة ما بقى من الجيش الفرنسى فيها.. وكان يحاصرها بقوة من جنود بقيادة الجنرال كوت.. وشدد الإنجليز

حصارهم على الإسكندرية.. ولكن القوات الفرنسية بقيادة مينو زادت عنادا دون جدوى.. فقد شدد هتشنسون حصاره برا وبحرا.. واحتل الجنود الإنجليز ساحل العجمى واستولوا على قلعتها فى ليلة ٢٢ أغسطس ١٨٠١ واحتل الجنرال كوت طابية القمرية غربى القبارى.. فأصبحت الإسكندرية فى حصار محكم.. ولم يجد مينو مفرا من أن يخضع لرأى قواده ويطلب هو الآخر وقف القتال والتفاوض على الجلاء.. وكان ذلك فى ٢٥ أغسطس ١٨٠١.. حيث بدأت المفاوضات يوم ٢٦ أغسطس.. وتم الاتفاق على شروط الجلاء يوم ٣١ أغسطس ١٨٠١ ووقع عليها الجنرال ميتو والجانبان الإنجليزى والتركى.. وبدأ الفرنسيون فى سبتمبر ١٨٠١ يسلمون قلاع الإسكندرية واستحكاماتها ومدافعها والسفن الحربية التى كانت لهم فى الميناء.. ثم أخذت السفن المقلة للجنود الفرنسيين تقلع من الإسكندرية خلال شهر سبتمبر ١٨٠١.. وكان آخر من غادر الإسكندرية منهم الجنرال مينو.. وكان ذلك يوم ١٨ أكتوبر ١٨٠١ لتنتهى بذلك صفحة من الإحتلال الفرنسى لمصر.



هذا عن الإحتلال الفرنسى لمصر.. الذى بدأ وانتهى من الإسكندرية.. فماذا عن الإحتلال الإنجليزى الأول للاسكندرية والذى بدأ أيضا من الإسكندرية.. متى ينتهى..؟ لقد جاء الإنجليز والأتراك إلى مصر بحجة إخراج الفرنسيين .

وها هم الفرنسيون قد خرجوا.. فلماذا لا يخرج الإنجليز؟



ظل الإنجليز فى مصر بعد خروج الفرنسيين نحو عام ونصف العام

يماطلون فى الإ نسحاب..

ورغم أنه خلال وجود الجيش الإنجليزى فى مصر يواجه الفرنسيين، فقد كانت المفاوضات تدور بين انجلترا وفرنسا بهدف عقد صلح بينهما يمهد لإقرار السلام فى أوروبا.. وتوصل الطرفان فى أول أكتوبر ١٨٠١ إلى توقيع مقدمات الصلح فيما عرف باسم مقدمات لندن..

وهذه المقدمات نفسها كانت هى التى بنيت على قواعدها الأساسية معاهدة الصلح التى عرفت باسم معاهدة أميان، والتى عقدت بين البلدين وكذلك هولندا وإسبانيا فى ٢٧ مارس ١٨٠٢. وكان أساس الصلح كما جاء فى مقدمات لندن: هو جلاء الفرنسيين والإنجليز معاً عن مصر.. ولكن هذا لم يتم عقب جلاء الفرنسيين نهائياً عن مصر فى ١٤ أكتوبر ١٨٠١ بجلاء مينو عن الإسكندرية.. وطبقاً لمقدمات لندن التى وقعت أول أكتوبر ١٨٠١.. ولم يتم كذلك عقب توقيع اتفاقية أميان فى ٢٧ مارس ١٨٠٢.. وظل الإنجليز يماطلون كعادتهم.. وبعث نابليون برسول منه «الكولونل سباستيانى» إلى مصر ليقابل قائد القوات البريطانية طالباً منه الجلاء.. دون جدوى.. ولكن نابليون ظل يطالب انجلترا بالجلاء عن مصر حتى اضطرت أن تستجيب وأصدرت أوامرها إلى قائد قواتها فى مصر الجنرال ستيوارت.. الذى رجل بالفعل فى مارس ١٨٠٣ وسلم قلا ع الإسكندرية وأبراجها إلى محافظ الإسكندرية خورشيد باشا فى يوم ١٤ مارس ١٨٠٣.. وأبحرت البواخر البريطانية من الإسكندرية فى يوم ١٦ مارس ١٨٠٣ بعد أكثر من عام ونصف العام من المراوغة.. لينتهى بذلك الإحتلال الإنجليزى الأول لمصر.. والأول للإسكندرية أيضاً.



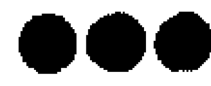
الفصل الثانى

الشعب ينتصر في رشيد

خرج الإنجليز من الإسكندرية فى ١٦ مارس ١٨٠٣.. ولكن أطماعهم فى مصر لم تتوقف.. ومن ثم حاولوا العودة مرة ثانية بعد أربع سنوات لاحتلال مصر وتحقيق أطماعهم فى وادى النيل.

كانت العلاقات بين تركيا وانجلترا قد ساءت حتى انتهت بإعلان الحرب بينهما، ودخل الأسطول الإنجليزى إلى الدردنيل..

ورأت إنجلترا أن إحتلالها لمصر يحقق لها هدفين: الأول أن تضرب تركيا فيمصر.. والثانى أن تحقق حلمها الذى لم يتوقف فى الإستيلاء على مصر.



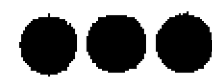
هكذا جاءت الحملة الإنجليزية إلى مصر.. ووصلت سفنها إلى الميناء الغربية بالإسكندرية يوم ١٧ مارس ١٨٠٧.. بعد أربع سنوات تماما من جلائها عنها في عام ١٨٠٣ وكانت خمس وعشرين سفينة.. وقاد الحملة الجنرال فريزر.. وقد أعد للحملة إعداداً كبيراً.. فاتفق مع محمد بك الألفى أن يؤيدها ويساندها فى مقابل أن تكفل للمماليك الإستيلاء على الحكم.. وبعث فريزر بأكثر من سفينة استطلاع قبل مجيئه.. نزل ضباطها إلى الإسكندرية والتقوا بالقنصل الإنجليزى، وعرف بعد ذلك أنهم حملوا إليه رسائل يوجهها إلى زعماء المماليك فى الصعيد لإخبارهم بموعد الحملة ودعوتهم للحضور إلى الوجه البحرى.. وفى يوم ١٦ مارس ١٨٠٧ نزل ضابطان من إحدى سفن الإنجليز وطلبا مقابلة أمين أغا محافظ الإسكندرية وهو تركى معين من

قبل تركيا التى كانت فى ذلك الوقت تعتبر الإسكندرية تابعة لها مباشرة.. وتعين حاكمها من طرفها.. وعرف بعد ذلك أن الإنجليز اشتروا أمين أغا بأموالهم.. دفعها له قنصلهم فى الإسكندرية نظير أن يسلم الإسكندرية دون مقاومة..



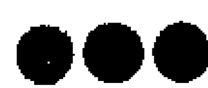
فى يوم ١٧ مارس ١٨٠٧ وصلت الحملة الإنجليزية.. وسدت سفنها الميناء الغربية.. وفى مساء نفس اليوم نزل جنود الحملة على شاطىء العجمى.. ثم زحفوا على الإسكندرية وتحصنوا تحت أسوار المدينة.. وبعثوا بفصيلة منهم احتلت قلعة أبى قير..

ولإحكام عملية تسليم المدينة.. وإبعاد الشبهات عن أمين أغا محافظ الإسكندرية، دخل الإنجليز فى مفاوضات صورية معه دامت يومين. قام فى نهايتها بتسليم نفسه للإنجليز كأسير حرب.. ومعه كذلك ٣٠٠ مقاتل هم كل حامية المدينة.. ودون أن تطلق رصاصة واحدة لمقاومة الإنجليز.. دخلوا الإسكندرية فى ليلة ٢١ مارس ١٨٠٧.. دون حرب ولا قتال.



ولم تكن الإسكندرية وحدها هى هدف الإنجليز بل كانت مصر كلها.. وكانت خطتهم تقضى بالزحف على رشيد واحتلالها لكى تكون القاعدة الحربية التى تزود جيشهم.. ثم منها يزحفون إلى داخل مصر..

وتحركت قوات الإنجليز من الإسكندرية يوم ٢٩ مارس ١٨٠٧ فوصلت أسوار رشيد فى اليوم التالى.. وبدأت تستعد لدخولها صباح يوم ٣١ مارس ١٨٠٧.

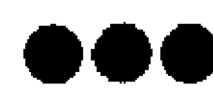


ظن الإنجليز أن دخولهم رشيد سيكون نزهة.. فكانت المفاجأة.. وكانت الهزيمة التى غيرت سير المعركة.. وأفشلت حملة فيزر كلها وجعلتها تنسحب مدحورة.. دون أن تحقق شيئاً من أهدافها..



كانت أخبار الحملة قد وصلت رشيد.. وعزم الأهالى على المقاومة بأنفسهم.. دون أن يطلبوا المدد من القاهرة.. لأنهم كانوا يعرفون عن الجنود من الأرناؤود ومعسكر السلطة العثمانية، نزعتهم إلى السلب والنهب، فأصروا أن يدافعوا بأنفسهم عن مدينتهم..

وكان محافظ رشيد على بك السلانكلى شجاعاً مقداماً.. عزم على المقاومة.. وفعل كما فعل طارق بن زياد فى الأندلس.. أمر بإبعاد مراكب التعدية إلى البر الشرقى للنيل حتى لاتجد حامية البلدة أو الأهالى وسيلة للهرب.. إذا جال فى خاطرهم أن يفكروا فى التسليم كما فعلت حامية الإسكندرية.. وأصبح البحر من ورائهم والعدو أمامهم.. وعزموا على المقاومة حتى النهاية..



نظم على بك السلانكلى خطة المعركة.. طلب من حامية المدينة أن تتراجع إلى داخلها.. وأصدر أوامره إليهم وإلى الأهالى أن يحتموا داخل منازلهم وألا يضربوا النار ولا يفعلوا أى شىء سوى الانتظار إلى أن تصدر لهم إشارة إطلاق النار.



يقول المؤرخ الكبير عبدالرحمن الرافعى في تأريخه للمعركة:

«تقدم الإنجليز ولما لم يجدوا أثرا للمقاومة خارج البلد اعتقدوا أن حاميتها قد اعتزمت اخلاءها وتسليمها محتذية بما فعله أمين أغا محافظ الاسكندرية، فدخلوا شوارع المدينة مطمئنين، وكانوا قد أعياهم السير فى الرمال من الإسكندرية إلي رشيد، فانتشروا في الطرق والأسواق يرتادون أمكنة يلجئون إليها ويستريحون فيها، ولكنهم ماكادوا يجوسون خلال الديار وتشتمل المدينة عليهم حتى أصدر على بك أمره بإطلاق النار، فاقتحمهم الرصاص من كل صوب، وأخذ الأهلون يطلقون النار من النوافذ والسطوح، فدب الرعب فى قلوبهم، وسقط الكثيرون منهم صرعى فى الشوارع، فقتل الجنرال ويكوب برصاصة أردته، وقتل الكثير من ضباطه، فاستولي الذعر على نفوس الإنجليز ولاذوا بالفرار، وانتهت الواقعة بهزيمة الجيش الإنجليزى وارتداد الأحياء منه عن رشيد فى حالة يأس وفشل، فتهقروا الى الإسكندرية بطريق أبوقير».



«كان لأهالى رشيد النصيب الاوفر فى هزيمة الجيش الإنجليزى، لأن حاميتها العسكرية كانت من القلة بحيث لا تستطيع ان تصد الجيش الزاحف».

وكان لموقعة رشيد تأثير كبير فى تطور الأحوال، لأن هذا النصر المبين قد ملأ قلوب المصريين حماسة وفخرا، وضعضع الهيبة التى كانت للإنجليز فى نفوس الناس، تلك الهيبة التى جاءت من انتصاراتهم السابقة على الجيش الفرنسى فى مصر وعلى الأساطيل الفرنسية فوق

ظهر البحار، فلا غرو أن يبعث هذا النصر إلى نفوس الشعب روح الثقة، ويحفزه إلى الإستمرار فى المقاومة، ولقد كان لهذه الواقعة فى نفوس المماليك تأثير بلغ، فإنها كانت لهم صدمة شديدة أضعفت أملهم فى نجاح الحملة الإنجليزية وجعلتهم ينكمشون فى معاقلهم بالوجه القبلى، وبالتالى جعلت الجيش الإنجليزى لا يتوقع المعاونة التى كان ينتظرها منهم فكل هذه الاعتبارات جعلت لواقعة رشيد من الأهمية شأنا بالغا فى قيمته وخطره».

«وقد بادر على بك حاكم رشيد بعد الموقعة إلى إنفاذ الأسرى الإنجليز إلى القاهرة ومعهم رءوس قتلاهم ليكون ذلك إعلانا للنصر الذى نالته رشيد، ثم ليبعث هذا المنظر فى نفوس الجنود والشعب روح الأمل والثقة، وكان يوم حضورهم إلى القاهرة يوما مشهوداً».



أما فى القاهرة فقد كانت الصورة أيضا تؤكد قوة هذا الشعب وعزمه على المقاومة.

يقول عبدالرحمن الرافعى:

«أخذ المتطوعون يذهبون فى صبيحة كل يوم إلى أطراف المدينة يعملون فى حفل الخنادق وإقامة الاستحكامات شمالى القاهرة لصد الإنجليز إذا جاءوا بطريق شبرا، وبادروا إلي العمل فى ذلك، وسارعوا إلى الإستعداد للقتال، وعلى رأسهم السيد عمر مكرم، وكان الفقراء يعملون متطوعين نصف النهار، ثم يعودون إلى أعمال معاشهم عند الظهر».٣٦.. «وظهرت العاصمة بتلك الروح التى تجلت فيها قبيل معركة الأهرام سنة ١٧٩٨ وفى خلال ثورة الشعب على

خورشد باشا سنة ١٨٠٥».

قال المسيو مانجان Mengin فى هذا الصدد يصف ما شاهده من خلال ما سجله فى كتاب تاريخ مصر فى حكم محمد على: «كان السيد عمر مكرم يذهب فى صبيحه كل يوم تتبعه الجماهير الى حيث يشتغل العمال فى إقامة الاستحكامات وكثيرا ما يبقى هناك النهار كله فى خيمة أعدت له، وكان حضوره يثير الحماسة والشجاعة فى نفوس الناس جميعا، وقد بذل كل إنسان ما فى وسعه لإقامة الاستحكامات».

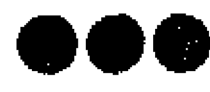
«وقد حدثت كل هذه الاستعدادات ومحمد على لم يزل غائبا فى الصعيد وهذا يدلك على أن الشعب كان متطوعا من تلقاء نفسه للقتال عازما على الحرب والمقاومة كما كان شأنه عند مجيء الحملة الفرنسية».

ويقول عبدالرحمن الرافعى:

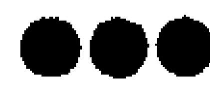
«ولم يقتصر تطوع سكان القاهرة على الدفاع عن العاصمة بل هبوا لنجدة إخوانهم أهل رشيد.. وذلك أنه على الرغم من ردهم الجيش الإنجليزى الأول فإنهم استهدفوا لزحف الجيش الانجليزى الثانى الذى جاء ليمحو أثر الواقعة الأولى فضرب الحصار على رشيد، وركب المدافع على آكام أبى مندور التى تتسلط عليها، وأخذ يضربها بالمدافع تمهيدا للهجوم عليها وفتحها عنوة وقد تهدم كثير من بيوتها ومات كثير من أهلها من ضرب المدافع وتساقط القنابل، فأرسل السيد حسن كريت نقيب أشرف رشيد الرسائل إلى السيد عمر مكرم يستنجده ويطلب إليه إمداد المدينة بالرجال والعتاد، فقرأ السيد عمر الرسالة الاولى على الناس وحضهم على التطوع لنجدة رشيد فاستجابوا

وتطوعوا وحملوا السلاح وأزمعوا السفر لنجدة إخوانهم وبالرغم من أن «كتخدا بك» نائب محمد على لم يأذن لهم بالسفر حتى يحضر محمد على من الصعيد، فإن كثيرين منهم لم يعبأوا بهذا المنع وارتحلوا لنجدة أهل رشيد فى صد الجيش الإنجليزى».

«وتطوع كذلك أهالى البحيرة والبلاد المجاورة لرشيد وأقبلوا عليها يدافعون عنها، فكان ذلك مظهرا جيليلا من مظاهر التضامن القومى والإشتراك فى حمل أعباء الجهاد واتحاد الكلمة فى ساعة الخطر وفداء كل موضع فى البلاد بكل فرد من أهل البلاد».



عهد فريزر إلى الجنرال سيتوارت بقيادة جيش يزحف على رشيد ليمحو أثر الهزيمة التى نالته فى معركة رشيد فى ٣١ مارس ١٨٠٧.. وتحرك ستيوارت من الإسكندرية زاحفا على رشيد يوم ٣ ابريل ١٨٠٧ واحتل فى طريقه بلدة الحماد التى تقع جنوبى رشيد بين النيل وبحيرة ادكو، لتطويق رشيد، التى بدأ فى حصارها منذ ٧ ابريل ١٨٠٧، بعد أن احتل آكام أبى مندور ونصب عليها المدافع لضرب رشيد بالقنابل، وكان يقدر أن ضرب المدينة سيضطرها للتسليم، ولكنهم رفضوا أكثر من مرة انذاره لهم بالتسليم، وكان انتصارهم على الانجليز من قبل يرفع من روحهم المعنوية فصمموا على الاستبسال فى الدفاع عن مدينتهم، بل وكانوا يخرجون من المدينة بين الحين والحين لمناوشة قوات الإنجليز.



يقول الجنرال ستوارت فى رسالة منه إلى الجنرال فريزر:

«وإن ما أنبأتمونى به من قرب حضور المماليك جعلنى أتريث فى

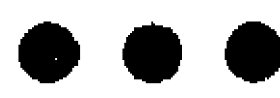
الهجوم على رشيد، ولقد ألحقنا بالمدينة أضرارا كبيرة، وقد بلغ ما أطلقناه عليها من المدافع البعيدة المرمى وحدها ٣٠٠ قنبلة. على أنه قد تبين لنا أن الأعداء لا يكترثون بالمصائب التى تنزل بهم.. إن قواتهم لا تزيد على ما بلغنا، على ٣٠٠ من الفرسان و٨٠٠ من الأرناءود وألف من الأهالى المسلحين، ولكن نظرا لسعة خطوط دفاعهم وطبيعة مواقعهم، لم أر من الحكمة أن أتعجل إقتحام المدينة، وأن نجاحنا معلق على نجدة المماليك، فاذا جاءوا الينا أمكننا أن نرسل إلى البر الشرقى من النيل قوة تشترك فى القتال، أما الآن فيستحيل علينا ذلك لأن العدو متفوق علينا فى قوة الفرسان وليس لدينا مثل هذه القوة التى لها عمل كبير فى الجهات المنبسطة كجهات الدلتا، وفى انتظار تلك النجدة يتبين لنا مبلغ أهمية موقعنا فى «الحماد» فإننا نتوقع أن يهاجمنا الأعداء فيها، وسنبذل كل جهودنا لاستبقائها فى يدنا».

ويتضح من هذه الرسالة أن الإنجليز كانوا يتوقعون أن يساعدهم المماليك، ولكنهم بعد ما تحقق من نصر فى رشيد، رأوا الموقف يتغير.. فأخذوا يسوفون وتقاعسوا عن الوفاء بعهدهم للإنجليز منتظرين تطور الاحداث.. الى أن تخلوا عنهم تماما بعد أن رأوا حرج موقفهم.

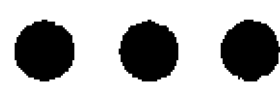


فى هذه الأثناء.. كان محمد على قد عاد من الصعيد إلى القاهرة فى ليلة ١٢ ابريل ١٨٠٧ واطمأن على الأحوال بعد أن عرف بهزيمة الإنجليز فى رشيد، ولكنه لم يطمئن الى أن هذه هى نهاية المعارك، وقدر أن الإنجليز لابد سيعودون للقتال لمحاولة استعادة هيبتهم.. وهذا ما حدث، فعزم على تجهيز جيش لقتالهم.. وعمل على اتمام الاستحكامات والدفاعات التى كانت قد بدأ العمل فيها قبل عودته إلى

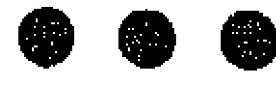
القاهرة، وتم بالفعل تجهيز جيش للدفاع يضم أربعة آلاف مقاتل من المشاة وخمسمائة وألف من الفرسان.. وسار الجيش متجهاً إلى رشيد.. بينما كان الحصار والضرب مستمران عليها وهى صامدة.. تناوش الإنجليز وتغير عليهم فى الحماد، وتركب المدافع لضربهم.. فيقتلعها الإنجليز.. فيعودوا مرة أخرى.. كرّ وفر استمر حتى وصل الإمداد الذى بعث به محمد على.. فحدث التغيير الجوهرى فى الموقف الحربى.



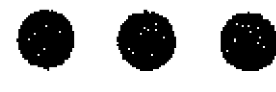
دارت حول «الحماد» معركة من أروع معارك الجيش المصرى والمقاومة الشعبية، انتهت بهزيمة ساحقة للجيش الإنجليزى وهلاكه وأسر من بقى حيا منه.



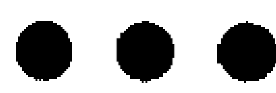
فى صباح ٢٠ أبريل ١٨٠٧ تقدمت طلائع الجيش المصرى من الفرسان إلي مواقع الإنجليز بالحماد ودارت المعركة الأولى التى انتهت بقتل الكثيرين من الجيش الإنجليزى وأسر كثيرين أيضا.. ولكن الجنرال ستوارت أمد جنوده فى الحماد بمدد من الجنود والمدافع ليحافظ على مركزهم فيها.. فانقضى يوم ٢٠ أبريل ١٨٠٧ وموقف الإنجليز فى الحماد لم يستهدف فى الظاهر للخطر.. بينما تشجع طبوز أوغلى قائد الجيش المصرى بما حققه الفرسان المصريون بقيادة حسن باشا فى البر الغربى للنيل.. فعبر النيل من بره الشرقى ليلاً بجنوده لملاقاة فرسان حسن باشا فى البر الغربى تأهبا للهجوم على الحماد فى صباح ٢١ أبريل ١٨٠٧.



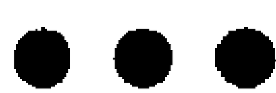
فى الصباح بدأ تجمع الجيش المصرى مخيفا للقوات الإنجليزية.. فأرسل الكولونيل ماكلود إلى الجنرال ستوارت يخبره بما يراه ويطلب منه إقرار انسحابه إلي مواقع الجيش الإنجليزى حول رشيد.



لم يصل إلى ماكلويد أى إمداد من الجيش الإنجليزى تحت إمرة ستوارت.. فقد كان فرسان الجيش المصرى.قد تدفقوا على السهول وقطعوا الطريق بين الحماد ورشيد.. فبدأ ماكلود يعد للإنسحاب.. وعندما بدأ يفعل كانت فرسان الجيش المصرى فى انتظار قواته التى تفرقت.. فانقضوا عليها واحدة بعد الأخرى.. بينما نجحت قوات المشاة فى الجيش المصرى فى استرداد «الحماد».



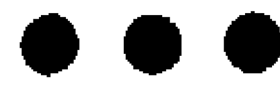
قضت قوات الفرسان المصريين على الجيش الإنجليزى بقيادة ماكلويد بعد أن قسمها إلى ثلاث قوات.. ميمنة.. وقلب.. وميسرة.. أما الميمنة فقد قتل قائدها ومعظم جنودها.. ولم ينج من القتل إلا خمسين جندياً، أصبحوا جميعاً أسرى.. وأما قوات القلب فكان على رأسها الكولونيل ماكلود نفسه.. وقد قتل فى المعركة.. وقتل معظم رجاله.. وأما قوات الميسرة.. فقد قاومت قليلاً.. ولكن فرسان الجيش المصرى أحاطوا بها من كل جانب.. فلم يجد قائدها مفرا من التسليم.. فاستسلم هو ومن بقى معه من الجنود.



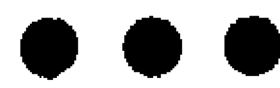
حدث كل هذا خلال ثلاث ساعات.. بدأت المعارك فى السابعة صباحا.. وانتهت فى العاشرة صباحا تقريبا.. وهزم الجيش الإنجليزى فى «الحماد».. ولم ينج أحد من هذا الجيش.. وكان المصير للجميع إما القتل.. أو الأسر.. وكان هذا صباح يوم ٢١ أبريل ١٨٠٧ .. أى بعد ٢١ يوما من الهزيمة الأولى للإنجليز فى رشيد على أيدى أهالى رشيد..



وسارعت قوات الإنجليز المرابطة جنوبى رشيد بقيادة الجنرال ستوارت إلى الإنسحاب وفك حصار رشيد بعد الهزيمة الساحقة فى الحماد.. ولم يتركه المصريون ينسحب فى هدوء.. بل تعقبه أهالى رشيد والقرى المجاورة خلال انسحابه حتى وصل أبى قير، واستقل منه سفنه إلى الإسكندرية.

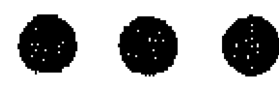


بقيت قوات الاحتلال فى الإسكندرية.. فريزر رأى هزيمتين ساحقتين فى خلال ٢١ يوما.. فانتهى لديه عزم القتال.. ولكن الأمل لديه فى نجدة المماليك كان مازال قائما.. فأخذ يحصن مواقعه فى الإسكندرية ويبعث إلى المماليك يطالبهم بتنفيذ وعودهم حتى يعيدهم إلى الحكم.. ولكن هيهات أن يستجيب المماليك.. بعدما علموا بما حل بحملته من هزائم.

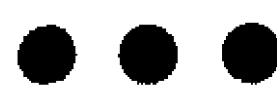


وارتكب الإنجليز للمرة الثانية جريمة قطع سد أبى قير لتفيض مياه بحيرة أبى قير على مريوط وتحيط المياه بالاسكندرية من جميع الجهات ويأمن فريزر على نفسه.. المرة الأولى فعلوها مع الجنرال منو

سنة ١٨٠١ حينما أرادوا أن يحصروه بقواته فى الإسكندرية وهم يحاربونه.. وتسببت المرة الأولى فى خراب أكثر من ثلاثين قرية وإتلاف زراعاتها.. وفعلوا نفس الشىء فى المرة الثانية.



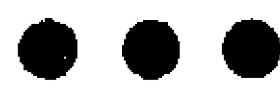
ووقع ما كان لابد أن يقع.. بعد الهزيمة فى معركتين ساحقتين.. وبعد تخلى المماليك عن مساندتهم.. وبعد المقاومة الباسلة للشعب المصرى وجيشه.. وبعد استعداد محمد على للزحف على الإسكندرية وإجلاء الإنجليز عنها.. حدث الإستسلام.. وتلقى محمد على رسالة من فريزر يعرض فيها التفاوض والصلح والجلاء عن الإسكندرية.. ولكن محمد على الذى دهش لهذه الرسالة.. رأى أن يتوجه بجيشه إلى دمنهور.. وهناك أعلن رأيه.. بالموافقة.. وهو على رأس جيشه.. ومن موقع القوة.. والتقى بالجنرال شيربروك الذى فوضه الجنرال فريزر فى التفاوض وعقد اتفاق الصلح.. وتم فى ١٤ سبتمبر ١٨٠٧ توقيع اتفاق بجلاء الإنجليز عن الإسكندرية.. وقضى الاتفاق باسترجاع الإنجليز لأسراهم وجرحاهم.. وفى يوم ١٩ سبتمنبر ١٨٠٧ رحل الإنجليز عن الإسكندرية.. وأقلعت بهم سفنهم إلى جزيرة صقلية.. ومن الصدف أن يخرج الإنجليز فى الجلاء الثانى فى سبتمبر ١٨٠٧.. وأن يدخل الإنجليز إلى القاهرة فى احتلالهم الثالث لمصر فى سبتمبر أيضا فى عام ١٨٨٢..ولكن بعد ٧٥ عاماً.. ويمكثوا في مصر ٧٥ عاماً أخري .



وقد يثور هنا سؤال.. لماذا لم يواصل الإنجليز معركتهم فى مصر

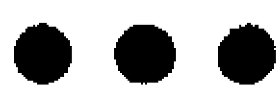
ليحققوا رغبتهم فى احتلالها.. ولماذا عدلت إنجلترا عن الاحتلال إلى فرصة أخرى؟..

كانت الأحوال السياسية فى أوروبا لا تمكنها من مواصلة هذه الحملة ومد جنودها فى مصر بالمزيد من الإمدادات بسبب صراعها مع نابليون الذى دانت له معظم أوروبا.. والصلح الذي عقده مع روسيا، مكّنه من توطيد مركزه فى أوروبا.. ومكنه من تجميع قواته لمواجهة إنجلترا.. التى رأت بالتالى أن تجمع قواتها للدفاع عن نفسها.. وأن توقف مغامراتها فى حملات بعيدة.. ويكفيها الهزيمة الساحقة فى رشيد والحماد.



ولكن هل تخلت إنجلترا عن مطامعها فى الاستيلاء على مصر؟ لم تتخل أبدا.. بل أرجأتها إلى فرصة أخرى.. وأصبح كل همها مواجهة مصر وتأليب أوروبا ضدها.. وخاصة فى صراعها مع تركيا.. وحرمتها ثمرة انتصارها عليها.

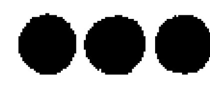
ثم حانت الفرصة التى كانت تنتظرها.. وهى تنسج شباك الديون الأوروبية حول مصر.. ليبتلع طعمها حكام مصر.. وتكون الديون مدخلهم للتحكم فى مصر والسيطرة عليها.. وتقوم الثورة العرابية.. وتتراكم الأخطاء.. وتتحرش إنجلترا بمصر.. ويبدأ تجهيز الذرائع.. فتحدث مذبحة الإسكندرية.. ثم يتحرش الأسطول الإنجليزى بمصر.. وتضرب الإسكندرية فى ١١ يوليو ١٨٨٢، ليبدأ الإحتلال الثالث للاسكندرية.. ومصر كلها.. بالخيانة والتآمر والرشوة.. والجهل.. وانحياز الحاكم إليهم.. صفحة سوداء استمرت نحو ٧٥ عاما.



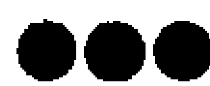
الفصل الثالث

الديون.. والتحرش..

لم تكن حملة فريزر في عام ١٨٠٧ هى نهاية المطاف بين انجلترا ومصر.. فالظروف الدولية السياسية هي التى أرجات استمرار المواجهة.. ولكنها لم تتوقف.. وواصلت انجلترا حملتها فحرمت مصر من نصرها الذى حققته في معركة نافارين.. ولما حقق جيشها أعظم الانتصارات.. حتي علي جيش تركيا وهزمها أكثر من مرة حتى زلزل عرش السلطان عبدالحميد في معركة نصيبين.. حُرمت أيضا هذا النصر وجاءت معاهدة لندن عام ١٨٤٠ لتنزع من مصر كل ما حققته من مكاسب.. وكانت بريطانيا هى رأس الحربة مع المؤامرة الاستعمارية علي مصر.. وفى هذه المعاهدة التي عقدت في ١٥ يوليو ١٨٤٠ بين كل من بريطانيا وروسيا والنمسا وبروسيا وتركيا، تقرر أن يكون لمصر استقلالا داخليا تاماً.. وأن تبقى السيادة العثمانية عليها.. وأن تعود مصر الي حدودها القديمة قبل حربها مع تركيا.. وأن تحرم من حكم جزيرة العرب وسوريا وكريت وإقليم أدنه.



حتي قناة السويس.. عندما قبل سعيد تنفيذ مشروعها وأعطى دلسبس امتياز تأسيس شركة عامة لحفر القناة واستثمارها لمدة ٩٩ عاماً تبدأ من يوم فتح القناة للملاحة (١٧ نوفمبر ١٨٦٩). فإن انجلترا حاولت عرقلة المشروع، حتي لا يمتد النفوذ الفرنسى الي مصر.. وحتي لا يصير طريق المرور الى الهند خاضعاً لسيطرة دولة غيرها.



وكـانت الـديون التى وقـعت فـيـهـا مـصـر.. هـى الفخ الـذي نصـبـه الإسـتـعـمـار للسـيطرة على مصـر والتدخل في شـئونها.. والـوصـول في نهـاية الأمـر إلي إحـتـلالهـا.. وقد بدأت هـذه الديون الأجنبـيـة في عـهـد سـعـيـد.. فكانت البـداية التي تفاقمت بعـد ذلك في عهـد إسـمـاعيل ثم توفـيق.. وأدت الي فـرض رقـابة ثـنائيـة علي المـاليـة المصـرية فى عـهـد إسـماعيل حين عين رقيبـان أوروبيان باسم مفتشين عموميين، أحدهـمـا إنجليزى علي الإيرادات والثـانى فرنسى علي المصروفات.. ثم تحولا إلي وزيرين في عهد إسماعيل.. وعادت الرقابة الثنائية مرة أخرى في عهد توفيق، وأصبح لهمـا من النفوذ والسلطان أكثر مما لوزراء الدولة وإن لم يكونا وزيرين.. وكـان مـرتب كل منهـمـا يفـوق مـرتب الـوزير.. وكـانا يحـضـران إجـتـمـاعـات مـجلس الوزراء ويشـتـركـان في المناقـشـة دون التصـويت.. وخضع توفيق لرغبـة الدول الدائنة وهـى إنجلتـرا وفـرنسـا وألمانيا والنمسا وإيطاليـا في إنشاء لجنة للتصـفيـة تضع نظاماً مـاليـا لتسـوية الديون العـامة وبيـان طريقة الوفـاء بها وأداء فوائدها وأقسـاطها ومـقـدار مـا يخـصص لهـا مـن إيرادات خـزانة الـدولة وتحـديد عـلاقـة الدائنين بالحكومـة.. وكان أعضـاء اللجنة سبعـة يمثلون الدول الدائنة مع عضـو واحـد من مصـر.. وأتمت اللجنة عملها بصـيـاغـة قـانون أسـمـتـه قـانون التصـفـيـة، أصبح أسـاس النظام المالى في مر حتي عـام ١٩٠٤.. وحـددت فى هـذا القـانون نفـقـات الحكومـة السنوية بأقل مـن خـمـسـة ملايين جنيه بما فيها الجزية السنوية التي تدفعها الي تركيا.. أما باقى الإيرادات والـتي تزيد عن النصف فـخـصـصت للدين العـام.. ورصـد القـانون صافى إيرادات عـدة مديريات وكذلك إيرادات الجمارك لسداد الديون وإذا لم يكف تلتزم الحكومـة بسداد الفرق.. وكان قـانونا مجـحفـا فرضته الدول الأوروبية علي الحكومة المصرية لتسوية علاقتها بالدائنين

الأوروبيين.. ولم يضمن القانون شيئاً من ديون الأهالى للحكومة والتي وصلت الي ١٩ مليون جنيه.



مع إحكام السيطرة الأجنبية علي الحكومة المصرية والتدخل في كل شئونها كان هناك مؤثر آخر ينمو مع الأيام.. ذلك هو الثورة العرابية.. وهذه الثورة وإن بزغت بقوة في بداية عهد محمد توفيق.. إلا أن بدايتها ترجع الي عهد إسماعيل.. والإضطهاد الذى وقع على افراد الجيش من ذوى الأصول المصرية.



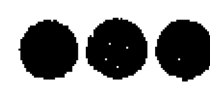
وإذا كانت الثورة العرابية توصف بأنها ثورة عسكرية.. فإنها كذلك أصبحت ثورة قومية بمشاركة طبقات الأمة كلها فيها.. وقد تكاتفت عدة أسباب أدت إلي قيامها.. فى مقدمتها أسباب خاصة بتذمر الضباط المصريين من سوء المعاملة التي كانوا يلقونها لمجرد أنهم مصريون، واضطهاد رؤسائهم من الشركس وخاصة عثمان باشا رفقى وزير الحربية في وزارة رياض والذى كان قائداً تركيا متعصبا لأبناء جنسه.. ويتحيز لهم وللأتراك والأرناؤود..


الخديو اسماعيل

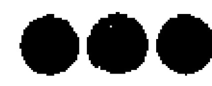

الخديو توفيق


دلسبس

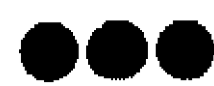
وقد بدأ هذا التحيز منذ عهد إسماعيل وتفاقم في عهد توفيق مما أدى بالضباط برئاسة عرابى إلي التصدى له ومن ثم نشأة الثورة العرابية.. والتي كانت بالتالى ثورة دفاع عن الحق وعن الحياة.. بدأت بمطالب الضباط وتطورت الي المناداة بمطالب الأمة كلها في وجه ما كان يحسه المصريون من سوء نظام الحكم.. واستبداده.. والإضطهاد الذى كانوا يعانونه.. وتطلعهم الي التخلص من نظام الحكم القائم..



وأصبحت الثورة العرابية بالتالى ثورة علي المظالم.. وثورة علي الحكم الإستبدادى تنادى بقيام الدستور وانشاء مجلس نيابى يولد مبادىء الحرية والعدل ويحقق الرقابة علي الحاكم ويمنع الاستمرار في ارتكاب المظالم.. فضلاً عن مواجهة استسلام الحكومة لمطالب الدائنين وحكوماتهم..



وكان الضباط في عهد إسماعيل قد قاموا بأول تحرك ضد الحكم حينما توجهوا الي وزارة المالية لرفع شكواهم من تأخر مرتباتهم وإحالة نحو ٢٥٠٠ منهم الى الإستيداع.. واعتدوا علي نوبار باشا بالضرب وكذلك علي ريفرز ويلسون وزير المالية، وحبسوا نوبار ورياض باشا وزير الداخلية وريفرز ويلسون في إحدى غرف الوزارة.. وكانت النتيجة بعد حصول الضباط علي مطالبهم، سقوط وزارة نوبار.. وكان هذا فى عام ١٨٧٩.. وقدم هذا الحادث النموذج لثورة عرابى في عام ١٨٨١..



وقد قام أحمد عرابى بأول تحرك لمواجهة قرارات وإجراءات عثمان



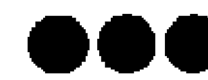
احمد عرابي

رفقى وزير الحربية حيث اختاره الضباط رئيسا لهم وعاهدوه علي التضامن معه وتنفيذ أوامره ومفاداة الوطن بأرواحهم وحلفوا اليمين علي السيف والمصحف.. وكان ذلك في يوم ١٦ يناير ١٨٨١.. حيث اعتبر إجتماع عرابى بالضباط في ذلك اليوم فاتحة الثورة العرابية.. حيث بدأوا بذلك الثورة علي الحكومة من خلال خروجهم علي النظام وتمردهم وتحدى الحكومة والاستهانة بهيبتها وقوتها وذهب الضباط في ١٧ يناير ١٨٨١ الي وزارة الداخلية.. وكانوا ثلاثة أميرالايات: أحمد عرابى بك وعلي بك فهمى الديب، وعبدالعال حلمى بك حشيش.. ورفعوا عريضتهم إلي رياض باشا الذى قابلهم ووعدهم بالنظرفيها.. وعادوا إليه بعد أسبوع آخر فهددهم وتوعدهم، ولكنهم أصروا علي طلباتهم وانصرفوا بعد أن وعدهم بالنظر فيها.

وكان الضباط في عريضتهم يشكون من تعصب عثمان رفقى باشا للضباط من غير المصريين وإجحافه بحقوقهم واضطهادهم.. وطالبوا بإيقاف هذه المظالم وعزل عثمان رفقى من منصبه واعادة أحمد بك عبدالغفار قائمقام آلاى الفرسان بعد أن عزله عثمان رفقى وعين بدلا منه شاكر بك طمازة.. وهو ضابط شركسى.



وتطورت الأمور.. فمجلس الوزراء برياسة الخديوى محمد توفيق قرر في ٣١ يناير ١٨٧١ محاكمة الضباط الثلاثة وأصدر وزير الحربية أمرا بالقبض عليهم، واتبع في تنفيذ الأمر الحيلة والمكر.. فبعثوا يستدعون هؤلاء الضباط للحضور إلي ديوان الوزراء في قصرالنيل في يوم أول فبراير ١٨٧١ بحجة المداولة في ترتيب زفاف الأميرة جميلة هانم شقيقة الخديوى.



كان طبيعياً أن يشك عرابى ورفاقه في أمر هذه الدعوة ويتوقعون أن تكون خديعة للإيقاع بهم، وهو ما حدث بالفعل، لكنهم كانوا قد احتاطوا للأمر قبل ذهابهم، حيث أخذوا معهم بعض ضباط الألاى الأول وهو آلاى الحرس وكان مقره قشلاق عابدين، لكى يرقبوا ما سيجرى مع الضباط، فإن رأوا غدراً سارعوا بإخبار إخوانهم به..

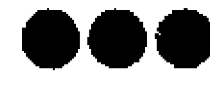


وبالفعل جرد الضباط من سيوفهم وأودعوا السجن في قصرالنيل، وهذا القصر عرف بثكنات قصر النيل، وقد بناه سعيد باشا ثم جدده الخديو إسماعيل وأصبح فى عهده مقرا لوزارة الجهادية (الحربية)



عثمان رفقي باشا

واستمر كذلك في عهد الخديو توفيق، ثم احتله الإنجليز في عام ١٨٨٢ بعد احتلالهم القاهرة.. وفي عام ١٩٤٧ جلا عنه الإنجليز عند جلائهم عن القاهرة.. ثم بدأ هدمها في أوائل الخمسينات من القرن الماضى ليبنى في موقعها فندق عالمى افتتح في فبراير ١٩٥٨ (النيل هيلتون حتى نهاية ٢٠٠٨، ثم ريتزكارلتون من بداية ٢٠٠٩) وكذلك مبنى جامعة الدول العربية.





الميرالاي محمد عبيد

وعلم ضباط الآلاى الأول بما حدث لعرابى ورفيقيه، فأسرعوا إلي زملائهم فى قشلاق عابدين ليخبروهم بما وقع، فهاج الضباط وقرروا التحرك لإنقاذ عرابى ورفيقيه، وتزعم البكباشى محمد عبيد الضباط والجنود بأسلحتهم واتجهوا إلي قصر النيل دون أن يستمعوا لياور الخديو ولا الخديوى نفسه..

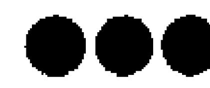
وفى قصر النيل أحكم البكباشى محمد عبيد الحصار حوله.. وأمر جنوده بالهجوم عليه فاقتحموه وهم يصيحون، فأصاب الرعب كل من كان في القصر بما فيهم عثمان رفقى باشا الذي هرب من إحدي النوافذ واستطاع عبيد والجنود فك أسر عرابى ورفيقيه، فخرجوا من قصر النيل ظافرين متجهين الي قشلاق الآلاى الأول بعابدين حيث تجمع الجميع في ميدان عابدين بأسلحتهم بعد أن انضم إليهم آلاى طره..



كانت هذه هى المظاهرة العسكرية الأولى في ميدان عابدين فى يوم أول فبراير ١٨٧١.. تجمع الضباط والجنود حول عرابى.. واحتشد أبناء المنطقة في الميدان لمتابعة هذا المشهد الذى لم يتعودوا عليه من قبل.. وخطب فيهم عرابى شاكراً للضباط والجنود إخلاصهم واتحادهم والوفاء بعهدهم..



أما الخديو فقد ازداد اضطرابا وهلعا.. واستدعى وزراءه للتشاور فيما يفعله.. واضطر الخديوى الي الإستجابة الي طلباتهم بعد أن بعث إليهم محمود سامى البارودى وزير الأوقاف ليتباحث معهم فطلبوا عزل عثمان رفقى باشا وعفو الخديوى.. واستدعى الخديو إليه عرابى ورفيقيه.. وعفا عنهم، واستقال عثمان رفقى وأسند الخديو وزارة الجهادية (الحربية) الي محمود سامى البارودى مع احتفاظه بوزارة الأوقاف لتتوطد بذلك صلة البارودى بالضباط وتستمر حتي نهاية الثورة.. وقد استمر عرابى وضباطه وجنوده في قشلاق عابدين حتي اليوم التالى خشية تدبير مكيدة لهم.. وتفرق الجميع في الصباح.



ورغم أن الخديو توفيق في محاولة منه لاجتذاب قلوب الضباط قد استدعى إلى سراى عابدين في يوم ١٢ فبراير ١٨٧١، بعد أيام من حادثة قصرالنيل وميدان عابدين الأول، ضباط ألايات القاهرة من رتبة بكباشى فما فوق، واجتمع بهم مع وزير الحربية وكبار رؤساء الجيش من رتبة فريق ولواء، وأعاد تأكيد عفوه عنهم، وطلب إليهم أن يحترموا النظام وأن يطيعوا الحكومة، ورغم هذا فإن عرابى ورفاقه لم يطمئنوا

علي مراكزهم أو حياتهم وأقاموا علي أنفسهم حراسة مستمرة.. وواصلوا اجتماعاتهم لاعداد قائمة بمطالبهم لتحسين الأحوال في الجيش، استجابت الحكومة إلي معظمها، كما أصدر الخديو مرسوماً بتأليف لجنة يرأسها وزير الحربية لمراجعة القوانين والنظم المعمول بها في الجيش واقتراح كل ما يؤدى الي الإصلاح والتحسين في الجيش ومدارسه وتعيينات وترقيات الضباط.



ومع كل هذا بقى كل من الطرفين يشك في الآخر.. ويتوجس خيفة مما يدبره.. ووقعت حادثتان تظهران سعي الخديو للإيقاع بين الضباط أو الإيقاع بهم.. ثم وقعت حادثة سميت حادثة التسعة عشر ضابطا، وقد قدموا عريضة يستنكرون فيها تظاهر الجنود وخروجهم علي النظام وينسبون إلى عرابى تحريضهم علي تقديم عريضة للخديو بطلب إقالة وزارة رياض باشا وتشكيل مجلس للنواب.. وقدمت عرائض أخرى مضادة تطالب بمعاقبة هؤلاء الضباط.. وكانت النتيجة هى محاكمتهم وإحالتهم إلي الإستيداع..

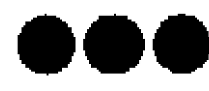
وبدأ عرابى ورفاقه يعملون علي إبعاد الضباط الذين يرون أنهم غير موالين لهم.. كما بدأ الضباط تقديم عرائض يطلبون فيها زيادة الجيش إلي ثمانية عشر ألف جندى وإنشاء قلاع جديدة وإقامة مجلس نيابى تكون الوزارة مسئولة أمامه، ويكون من حقه مناقشة الميزانية وإقرارها.



كان من نتائج واقعة قصر النيل آثار عديدة في كل اتجاه سواء في الجيش.. أو على مستوي الأمة.. أو على مستوى الخديو والحكومة..

وما حدث في الجيش أوضحناه.. أصبح عرابى زعيمه المنادى باسمه بالإصلاح ورفع المظالم.. وبالنسبة للأمة.. أصبح عرابى أيضا زعيما تنظر إليه الأمة آملة فى تحقيق أمانيها علي يديه.. وأحس عرابى بعطف وتأييد كل الفئات والطبقات وعلي رأسهم العلماء والأعيان والعمد والمشايخ ورؤساء قبائل العربان.. فشرع يبث دعوته بينهم ليكونوا سنده وحماته وصحبه، وهو يتأهب للقيام بحركته في المناداة بإنشاء المجلس النيابى وإسقاط وزارة رياض باشا.. وتنفيذ إنقلاب في نظام الحكم وإلغاء الحكم الإستبدادى والأخذ بحكم الشورى.. ولكن الحكومة من ناحية أخرى كانت تعمل علي تفريق شمل الجيش وضباطه وترتب للتنكيل بهم بعد أن اخلت بوعودها في تحسين أحوال الضباط والجنود.. وبدأ الخديو ينفذ هذه الخطة بعد عودته من الأسكندرية.. بتفريق وحدات الجيش، ونقل الفرق الموالية للحزب العسكرى من القاهرة واحلال فرق أخرى ممن يرى موالاتهم له ممن حاول استمالتهم إليه..


رياض باشا

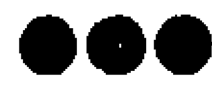


رفض ضباط وجنود الآلاى الثالث وهو آلاي القلعة النقل إلى الإسكندرية وامتنعوا عن مغادرة القلعة ولم يستجيبوا لقائد الآلاى فبعث إلي وزير الحربية يخبره بذلك.. وقرر عرابي ورفاقه إخراج الجيش والتوجه به الي قصر عابدين في مظاهرة عسكرية تفرض إرادتهم علي الخديو وتحقق الإنقلاب الذى عملوا من أجله وتحدد يوم ٩ سبتمبر ١٨٨١ لهذا الغرض.. ودعا عرابى جميع الآيات الجيش الموجودة

بالقاهرة للحضور الي ميدان عابدين في الساعة الرابعة عصراً لعرض طلباتهم علي الخديو وبعث الي وزير الحربية يخبره بأنهم سيعرضون في هذا التجمع طلبات عادلة تتعلق بإصلاح البلاد وضمان مستقبلها.. كما بعث إلي قناصل الدول يطمئنهم علي رعاياهم ويوضح لهم ان الهدف من مظاهرته يتعلق بأحوال البلاد الداخلية.



حاول الخديو إقناع قواد الآلايات بالعدول عن هذه المظاهرة، وعادت رسله إليهم تخبره برفضهم.. فعزم علي التوجه إليهم بنفسه مصطحبا رئيس الوزراء ورئيس ديوانه معه.. وبدأ بقشلاق عابدين حيث الآلاى الأول فتظاهر قائد الآلاى علي فهمى بإطاعته.. ونفذ تعليماته ولكن كان يضمر غير ما فعل.. وحاول الخديو مثل ذلك مع الآلاى الثالث فى القلعة.. فتعرض لموقف اضطره الجنود فيه الي اطلاق البكباشى فوده افندى حسن عندما أمسك بخناقه يوبخه.. وحاول الخديو أن يتوجه إلي آلاى العباسية ولكن الآلاى كان قد رحل إلي قصر عابدين ومعهم الآلاى الطوبجية.. فقفل الخديو راجعا إلي القصر ودخله من الباب الخلفى الذى يسمى باب باريس ومازال يحتفظ بهذ الأسم حتى الآن.

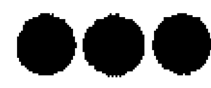


فى ميدان عابدين تكامل اجتماع الآيات الجيش المرابطة بالعاصمة.. في البداية كان قد وصل آلاى الفرسان (السوارى) بقيادة أحمد بك عبدالغفار ثم وصل أحمد عرابى راكبا حصانه شاهرا سيفه يقود آلايه (آلاى العباسية) ومعه آلاى المدفعية يقوده إسماعيل بك صبرى بمدافعه وذخيرتها، وبعث عرابى يستدعى علي بك فهمى الذي كان قد وزع آلاى

الحـرس داخل السـراى.. ووجـده عـرابي علي عـهـده.. فطلب إليـه أن يسـحب آلايه مـن السـراى، ويأخـذ مكانه في الميـدان، فنفـذ تعليـمـاته.. ووصل الآلاى الثـانى من قـصـر النيل وكـان قـائده الميـرالاى مـحـمـد بك شوقى قد امتنع عن الاشتراك في الحـركة ومعه البكباشيه، فقـاده من ضـباطه اليـوزباشى أحـمـد أفندى صـادق وأحـمـد أفندى عـبدالسـلام، ورسول افندى.. ثم وصل الآلاى الثـالث من القلعة بقيادة البكبـاشى فوده أفندى حسن، وآلاى طره (الآلاى السودانى) بقيـادة عبدالعـال حلمـى، ثم أورطه المستـحفظين بقيادة القـائمقـام ابراهيم بك فـوزى.. كـان المشـهـد رهيباً فـالجيش قد تكامل بأسلحته وذخيـرته.. يقف مـهـددا متـوعـداً.. يحاصـر قصـر عـابدين.. ونوافذ البيوت المطلة علي القـصـر.. وكـذلك أسطحـهـا.. قـد احـتشـدت بالأهـالـى يتـابعـون مـا يحـدث.. وينتـظرون مـا سـوف يحـدث.



داخل قصـر عـابدين كـان الوزراء قـد توافـدوا عـلي القـصـر.. وقنـاصل بعض الدول.. ومـعـهم السـيـر أوكلن كـولفن المراقب المالى.. ورأى الخـديو المشـهـد.. فـتـبـادل النظـرات مع من حـوله.. وظـن أن خـروجـه إلـي أفـراد الجـيش.. سـيـوقف هـذا التـمـرد.. بمـاله من هـيـبـة.. كـان يظنهـا لا تـزال قـائمة.. فـخـرج إليهم مصطحـبـا معـه المسـتـر كوكسـن قنصل إنجلتـرا في الاسكندرية الذي جـاء نائبـا عن القنصل العـام السـيـر ادوارد مـالت الذي كـان في إجازة ومعه كذلك أوكلن كولفن وبعض عسـاكر حرسـه..



ويروى المؤرخ الراحل عـبـدالرحـمـن الرافـعـى في كـتـابه عـن الثـورة

العرابية وقائع المشهد في ميدان عابدين علي النحو التالى:

«توسط الخديو الميدان ونادي عرابى، فجاءه راكبا جواده شاهرا سيفه، وخلفه نحو ثلاثين ضابطا شاهرى السيوف، فلما دنا من الخديو صاح به أحد رجال الحرس: أن ترجل واغمد سيفك، ففعل ثم أقبل عليه.

وهنا يقول عرابى: أن المستر كوكسن أشار علي الخديو بأن يطلق عليه مسدسه، ولكن الخديو لم يعمل بإشارته وقال له: «أفلا تنظر إلي من حولنا من العسكر؟» أى أنه خشى مغبة العمل بنصيحة المستر كوكسن، والواقع أنها نصيحة لا تنم عن اخلاصه للخديو، ولا حسن قصد من المستر كوكسن، فلو ان الخديو أمكنه أن يقتل عرابى في هذه اللحظة لما أمن علي حياته من الجند والضباط».

«أما ما فعله الخديو في هذه المواجهة فانه صاح بالضباط الذين جاءوا خلف عرابى: أن اغمدوا سيوفكم، وعودوا إلي بلوكاتكم، فلم يفعلوا، وظلوا وقوفا في أماكنهم، وكانوا كحرس خاص لعرابى، فلم يغادروه حتي انتهى الحوار بينهما».

ولما وقف عرابى أمام الخديو وحياه التحية العسكرية خاطبه الخديو بقوله: ماهى أسباب حضورك بالجيش الي هنا؟

فأجابه عرابى: جئنا يا مولاى لنعرض عليك طلبات الجيش والأمة، وكلها طلبات عادلة.

فقال الخديو: وما هى هذه الطلبات؟

فأجابه: هى عزل رياض باشا، وتشكيل مجلس النواب، وابلاغ عدد

الجيش الي العدد المعين في الفرمانات السلطانية.

فقال الخديو: كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها، وأنا خديو البلد واعمل زي ما أنا عاوز.

فقال عرابى: ونحن لسنا عبيداً ولا نورث بعد اليوم».

وأورد عرابى عن حواره مع الخديو رواية أخري: وهى أن الخديو قال له جوابا على طلباته الثلاثة: كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها وأنا ورثت ملك هذه البلاد عن أبائى وأجدادى وما أنتم إلا عبيد إحساناتنا، فأجابه عرابى: لقد خلقنا الله أحراراً ولم يخلقنا تراثا وعقارا، فو الله الذى لا إله إلا هو إننا سوف لا نورث بعد اليوم. والرواية التى ذكرناها هى التى سمعها المستر بلنت من عرابى نفسه حين قص له الواقعة (التاريخ السرى للاحتلال) فهى إذن أصدق وأدق من رواية عرابى التي دونها في مذكراته بعد وقوع الحوادث بعدة سنين، وظاهر علي رواية عرابى في مذكراته أن عليها مسحة التحوير والتعديل تفخيما للكلمات والعبارات. وهذا ما جلعنا نرجح رواية بلنت لأنها أقرب إلي الواقع وإلي أسلوب الحوار الطبيعى ».

« فلما وصل الحوار الي هذا الحد أشار المستر كوكسن علي الخديو بالرجوع الي السراى لافتا نظره الي سوء المغبة، إذا زادت المناقشة عن هذا الحد، فرجع الخديو ومن كان بمعيته الي داخل السراى ».

« ثم عاد منها المستر كوكسن ومعه السير أوكلن كولفن، وخاطب عرابى كرسول من قبل الخديو، قائلا: إن عزل الوزارة من خصائص الخديو، وطلب تشكيل مجلس النواب ليس من حقوق الجهادية، وزيادة الجيش لا لزوم لها، لأن مالية الحكومة لا تساعد علي ذلك».



عرابي في ميدان عابدين يواجه الخديو .. كما تخيله الرسام

«فقال عرابى: اعلم يا حضرة القنصل أن طلباتى المتعلقة بالأهالى لم أعمد اليها إلا لأنهم أقامونى نائبا عنهم في تنفيذها بوساطة هؤلاء العساكر الذين هم عبارة عن إخوانهم وأولادهم، فهم القوة التي ننفذ بها كل ما يعود علي الوطن بالخير والمنفعة، وانظر إلي هؤلاء المحتشدين خلف العساكر، فهم الأهالى الذين أنابونا عنهم في طلب حقوقهم، واعلم علم اليقين أننا لا نتنازل عن طلباتنا، ولا نبرح هذا المكان ما لم تنفذ».

«فقال القنصل: علمت من كلامك أنك ترغب في تنفيذ اقتراحاتك بالقوة، وهذا أمر ينشأ عنه ضياع بلادكم وتلاشيها».

«قال عرابى: كيف يكون ذلك؟ ومن ذا الذى يعارضنا في أحوال داخليتنا؟ فاعلم أننا سنقاوم من يتصدى لمعارضتنا أشد المقاومة إلي أن نفنى عن أخرنا».

«قال القنصل: وأين هى قوتكم التي ستدافع بها؟»

«قال عرابى: عند الإقتضاء يمكن أن نجند مليونا من العساكر يدافعون عن بلادهم ويسمعون قولى ويلبون إشارتى».

«فقال القنصل: وماذا تفعل إذا لم تجب إلي ما تطلب؟»

«فقال عرابى: أقول كلمة أخرى».

«فقال القنصل: وما هى؟»

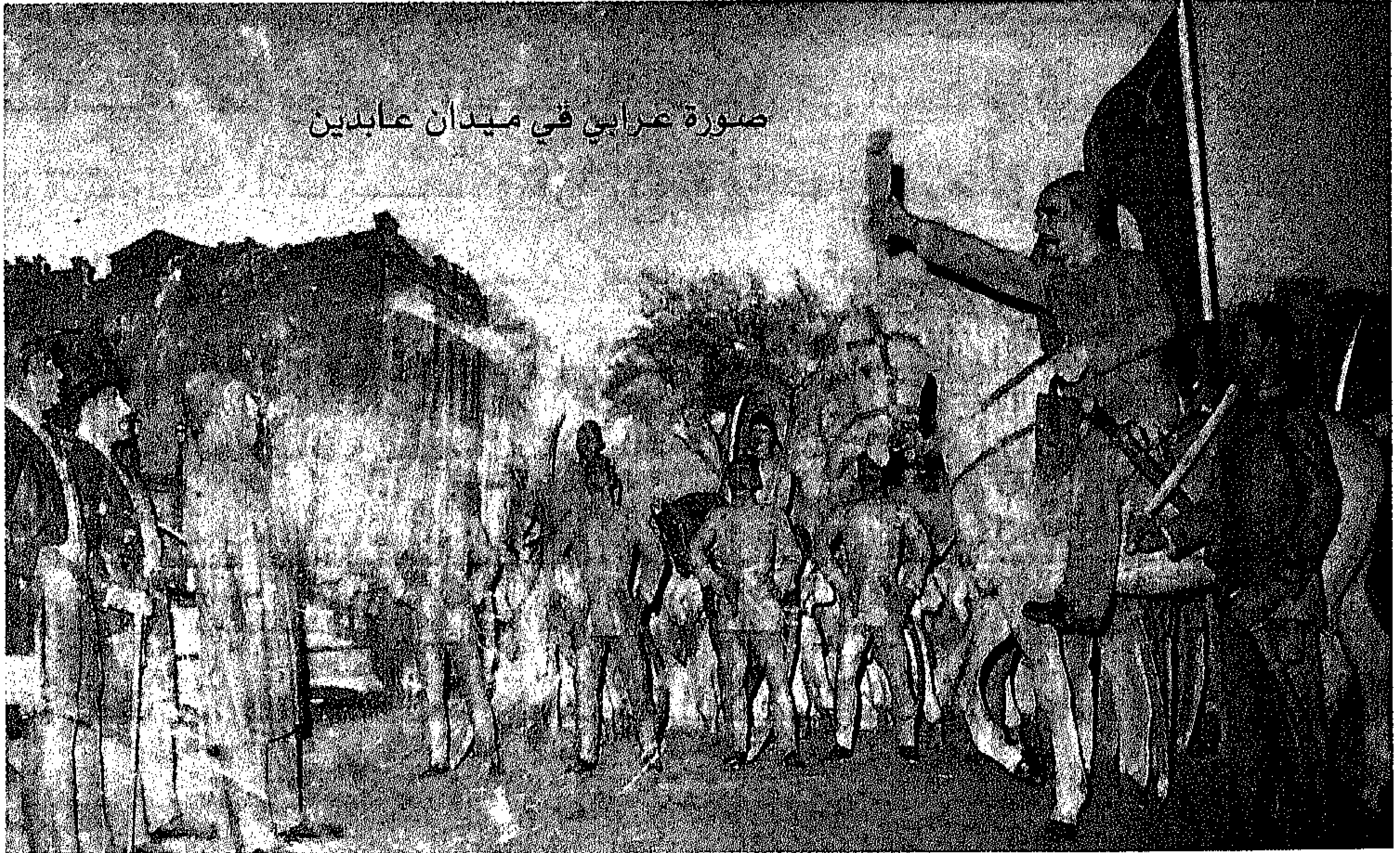
«فقال عرابى: لا أقولها إلا عند اليأس والقنوط».

«وهنا انقطعت المخابرات بين الفريقين، وتدوال الخديو في الموقف

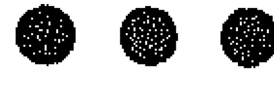
مع من كانوا بداخل السراى من وزراء وقناصل وغيرهم، ومرت ساعة وهم يتداولون، فرأوا أن لابد من الإذعان لمطالب الجند، لأن الجيش بأكمله يؤيد هذه المطالب، ولم يكن لدى الخديو أية قوة يعتمد عليها، فاستقر الرأى على إجابه هذه المطالب تدريجيا، وأن يبدأ بسقوط الوزارة، فقدم رياض باشا إستقالته إلي الخديو، وكان هذا أوج الثورة».

«أبلغ عرابي هذا القرار، وطلب إليه الخديو قبول إسناد رياسة الوزراء الجديدة إلي على حيدر باشا يكن، فلم يوافق علي ذلك لما له من صلة القرابة بالخديو، فعرض عليه تعيين محمد شريف باشا رئيساً، فقبل، وكان شريف باشا وقتئذ بالإسكندرية فاستدعى بالتلغراف للحضور الي العاصمة».

«وبعد أن أجيبت مطالب عرابى توجه إلي الخديو في السراى وشكر له إرضاءه مطالب الأمة، فأقسم أنه مرتاح لما فعل، وانه وافق علي تلك الطلبات بنية صادقة، فكرر عرابى الشكر والدعاء له، وأصدر أمره إلى



الآلايات بالرجوع إلي مراكزها، ما عدا الآلاى السودانى فإنه قضى ليلته في ضيافة آلاى الحرس بقشلاق عابدين».



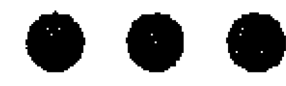
وتتابعت الأحداث.. إستقال رياض باشا وسافر إلى أوروبا خوفاً على حياته وظل فيها حتى وقعت أحداث الإحتلال الإنجليزى لمصر إبتداء من ١١ يوليو ١٨٨٢.. عندما تبين له أن كفة الإحتلال قد أصبحت هى الراجحة فى ميدان القتال.

أما شريف باشا فقد استدعى من الإسكندرية على عجل لتولى الوزارة، ففعل بعد أن تردد أياماً بسبب تدخل عرابى فى إختيار أعضاء وزارته ولم يقبل تأليفها إلا بعد أن عاهده العرابيون على عدم تدخل الجيش وأن يخضع لأوامر الحكومة.. فأتم تأليفها فى ١٤ سبتمبر١٨٨١.. وابتهجت الأمة بوزارة شريف وسرت موجة الفرح والسرور إلى كل طبقات الشعب، وكانت الأشهر الثلاثة التى أعقبت حادثة عابدين من أسعد الأوقات التى مرت بمصر من الناحية السياسية، كما وصفها المستشرق الإنجليزى المستمر بلنت.. وأصبحت وزارة شريف باشا تسمى وزارة الأمة وانتهز فرصة الثقة التى نالها ومناخ الهدوء الذى ساد البلاد فعكف مع زملائه على إصلاح شئون الحكومة وتحقيق تطلعات البلاد.. ومنع التدخل الأجنبى فى شئون مصر مع الحفاظ على العلاقات الودية مع الدول.. وإصلاح الإدارة ورفع المظالم عن الناس وإطلاق سراح المسجونين والمبعدين ممن ظلموا فى الفترات السابقة.. وإصدار القوانين العسكرية الجديدة التى كانت قد جمدت.. وأقنع زعماء الحركة العرابية بالإنتقال من القاهرة إلى الأقاليم ليخفف ضغط الحزب العسكرى على الحكومة، فنقل ألاى



محمد شريف باشا

عبدالعال حلمى إلى دمياط وألاى أحـمـد عـرابى إلى رأس الوادى بالشرقية.. ولكنه لم يلبث أن عين وكيلاً للوزارة الحربية، بعد ثلاثة أشهر فى رأس الوادى كان فيها موضع الحفارة والتكريم، ويكتسب كل يوم أتباعاً وأنصاراً جدداً.. مما دفع الحكومة إلى إعادة عرابى إلى القاهرة فى هذا المنصب حتى يكون أمام عينيها.



مضى شريف باشا فى إصلاحاته وكان هناك مطلب إنشاء مجلس النواب، فإتخذ العدة لإنشائه، فرفع فى ٤ أكتوبر ١٨٨١ تقريراً إلى الخديو.. بإجابة مطلب الأمة فى هذا الشأن وطلب إجراء إنتخابات عامة طبقاً للائحة مجلس الشورى القديم على أن يكون جمعية تأسيسية تضع الدستور الجديد.. وجرت الإنتخابات دون أن تتدخل الحكومة فيها، فكانت حرة بكل معانى الحرية.. وكان إفتتاح مجلس النواب فى ٢٦ ديسمبر ١٨٨١ يوماً تاريخياً بكل المقاييس، وقدم الخديو محمد توفيق خطبة العرش أمام النواب، ثم جاء دور المجلس فى إعداد مشروع الدستور فعرض شريف باشا مشروعه على المجلس فتدارسته اللجنة المختصة وأقرت فى ١٨ يناير

١٨٨٢ معظم مواده مع تعديلات طفيفة، وكاد الإتفاق يتم على إصداره لولا الأزمة السياسية التى أثارتها إنجلترا وفرنسا بتدخلهما فى وضع الدستور والتى أدت إلى سقوط وزارة شريف باشا التى تصاعدت منذ قدمتا فى ٧ يناير ١٨٨٢ مذكرتهما المشتركة إلى الخديو، يعلمانه أن إسترداده للسلطة المطلقة، سيجد من الدولتين مؤيداً ونصيرا .. كانت المذكرة بهذا تهدف إلى إيقاع الفرقة والإغراء بالعداوة والإنقسام وتأجيج الهياج والإضطراب.. وكان وراء هذه المذكرة المسيوجامبتا الذى تولى رئاسة الوزارة الفرنسية، ووزارة الخارجية فى نوفمبر ١٨٨١ وأراد إحياء النفوذ الفرنسى فى مصر، كما ساءه إنشاء مجلس نواب فى مصر، حيث كان يكره الحرية لكل الشعوب الشرقية ويدعو لإستعبادها إلى جانب إتصاله بالماليين اليهود وخاصة مجموعة روتشيلد، أهم أصحاب معظم سندات الدين المصري. ففرض علي اللورد جرانفيل وزير خارجية بريطانيا ضرورة التدخل المشترك فى المسألة المصرية.. فكانت هذه المذكرة المشتركة التى قوبلت فى مصر بالسخط التام.

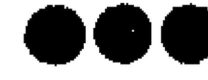


رفضت مصر المذكرة الفرنسية الإنجليزية واتفق شريف باشا مع الخديو على إبلاغ الباب العالى بهذه المذكرة وهذا الرفض، وتوجه شريف باشا إلى معتمدى إنجليترا وفرنسا وأبلغهما بالإعتراض على مذكرتهما.. ولم يخدم جامبتا بمذكرته سوى السياسة الإنجليز ممهداً بها السبيل إلى الإحتلال.. فقد سقط جامبتا نفسه فى يناير ١٨٨٢ وإختلفت الدولتان على سياستهما فى المسألة المصرية.. وكان عهد خلفه دى فريسينيه الذى خلفه فى رياسة الوزارة الفرنسية ووزارة الخارجية، أكثر العهود فى السياسة الفرنسية شؤماً على السياسة المصرية، فقد

أطلق يد الإنجليز فى إحتلال مصر.



لم تكتف الدولتان بهذا التدخل.. فقد طلب قنصلا إنجلتر وفرنسا مرة أخرى من شريف باشا بإيعاز من الرقيبين الأوروبين ألا يخول مجلس النواب حق تقرير الميزانية.. وكان الرقيبان كولفن الإنجليزى، ودى بلنييرم الفرنسى من غلاة المستعمرين.. ولا يريدان لمصر خيرا.. وكان هذا عدواناً منكرا على حق من حقوق مصر ممثلة فى مجلسها النيابى ومحاولة للتدخل المسلح وخلق الذرائع للاحتلال.



وتسارعت الأمور..و حاول شريف باشا أن يجعل مجلس النواب يؤجل موضوع تقرير الميزانية حتى يتم التفاوض والتوصل إلى إتفاق.. ولكن ذلك إصطدم بعدة عوامل، منها أن العرابيين قد بدأوا يشعرون برغبتهم فى التخلص من شريف باشا الذى كان يشعر تجاههم بشىء من الكرامة والاستقلال.. وكانوا يأملون أن يحل محله واحد منه.

وكان محمود سامى البارودى لديه هذا الطموح.. فأقنع العرابيين بأن يتشبسوا برأيهم ويرفضوا التأجيل.. وهذا ما حدث.. رفض النواب التأجيل وتمسكوا بتقرير مادة الميزانية فى الدستور، كما وضعتها اللجنة، ورفض شريف باشا التصديق على هذا البند.. وكانت النتيجة فى النهاية هى استقالة شريف باشا وخلفتها وزارة محمود سامى البارودى.. بعد أن رشحته لجنة المجلس التى سبق للمجلس أن إنتخبها لمقابلة الخديوى فى مناقشات موضوع مشكلة الميزانية.. ودخل أحمد عرابى الوزارة وزيراً للحربية والبحرية ومحمود فهمى وزيراً للأشغال..

وأصبحت وزارة البارودى هى وزارة العرابيين، ففيها أكبر زعمائهم: عرابى والبارودى ومحمود فهمى ومعظم الوزراء من المناصرين للعرابيين، وقوبلت الوزارة بإبتهاج عام شعبياً وعسكرياً.

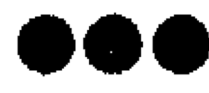


محمود سامي البارودي

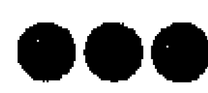
●● فى خضم الأحداث.. أعلن عن إكتشاف مؤامرة يقوم بها بعض الضباط من الشركس لإغتيال عرابى وعدد من الضباط والوزراء.. وجرت تحقيقات وإرتفع عدد المقبوض عليهم إلى نحو الأربعين، وقدموا للمحاكمة وحكم عليهم وخفف الخديو الحكم عليهم إلى النفى خارج مصر فى أى مكان يختارونه، مع الإحتفاظ برتبهم ونياشينهم ومخصصاتهم

- ولم يرض هذا الوزارة العرابية فإعترضوا على تخفيف الخديو للأحكام وأصبحت القضايا مثار خلاف شديد مع الخديو، ودعى من أجلها البرلمان للإنعقاد وإنتهى الأمر بإنفاذ تخفيف الأحكام وسافر الضباط المحكوم عليهم إلى الأستانة..

وكانت نتيجة إنتشار أنباء الخلاف بين الوزارة والخديو أن قررت إنجلترا وفرنسا إرسال أسطولها إلى مصر وأعلن وزير خارجية إنجلترا فى لقائه بسفير فرنسا فى لندن أن «الحاجة ماسة إلى القيام بمظاهرة بحرية فى مياه الإسكندرية» وبرر البلدان تصرفهما بحجة حماية رعاياهما من الأخطار التى يتعرضون لها .. ولكن الحقيقة أن المسألة كانت إختلاق الذرائع للتدخل بالقوة فى شئون مصر.. فكانت هذه هى المرة الثانية التى تقوم فيها الدولتان بهذه المظاهرة البحرية فى مياه الإسكندرية بعد المظاهرة الأولى التى جرت فى أكتوبر ١٨٨١ بمناسبة حضور الوفد العثمانى الأول لمصر.. ولكن المظاهرة التى وقعت فى ١٩ مايو ١٨٨٢ كانت الأخطر.. لأن هذه البواخر هى التى ضربت الإسكندرية فى ١١ يوليو ١٨٨٢.

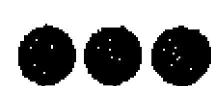


هكذا كان الخلاف بين العرابيين والخديوى نذيراً بالتدخل الإستعمارى.. ولم يعتبر الطرفان لما يمكن أن يحدث، وأخذا يكيدان كل منهما للآخر.. وأعلن عن زوال الخلاف فى الظاهر يوم ١٥ مايو ١٨٨٢، ولكن البواخر كانت فى طريقها إلى الإسكندرية.. وبدأت تصل فعلاً يوم ١٩ مايو.. وأتت السفن الإنجليزية بقيادة الأميرال السيربوشان سيمور والفرنسية بقيادة الأميرال كونراد.. وتتابعت وصول البواخر بعد ذلك حتى أوائل يونيو.. وتوجه بعضها إلى بورسعيد.. كما كان من بين البواخر التى وصلت سفينتان حربيتان يونانيتان.



ومع وصول الأسطولين الإنجليزى والفرنسى بدأت لغة التهديد والوعيد فى التعامل مصر.. فطالبتنا بإستقالة محمود سامى البارودى

وخروج عرابى من مصر.. وحاول قنصل فرنسا تنفيذ هذه المطالب وديا عن طريق محمد سلطان باشا رئيس مجلس النواب الذى نقل المقترحات الإنجليزية والفرنسية كأنها مقترحاته هو لتخفيف الأزمة.. ولكن تم رفضها.. كما أصبح سلطان خارج إطار ثقة العرابيين وبدأ انحيازه للخديو.



فى ٢٥ مايو ١٨٨٢ قدم قنصلا إنجلترا وفرنسا بناء على تعلميات من دولتيهما ما يشبه الإنذار فى شكل مذكرة تطلب إستقالة الوزارة وإبعاد عرابى عن مصر مؤقتا مع حفظ رتبه ومرتباته ونياشينه وإقامة عبدالعال حلمى باشا وعلى فهمى باشا الديب فى الأرياف، بحيث لا يخرجان منها، مع إحتفاظهما بالرتب والمرتبات والنياشين.. وقال الإنذار أن هذه هى الوسيلة الوحيدة لوضع حد لحالة الإضطراب فى مصر، وأن هذه الشروط المعتدلة تمنع المصائب التى تستهدف لها مصر.. وفى مذكرتهما نسبا هذه الشروط إلى محمد سلطان باشا، إشارة إلى تدخله بالوساطة التى فشلت.. ولكن سلطان باشا تنصل منها.

وقال قنصلا البلدين أنها «ينصحان بقبول هذه الشروط، ولكن عند الإقتضاء يشترطان تنفيذها».. وأن هدف البلدين ليس التدخل فى شئون مصر وإنما «حفظ الحالة الحاضرة المقررة وبالتالى إعادة الخديو للسلطة».. وقالا إنه بدون لك فأنهما يخشيان على الحالة المقررة..



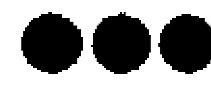
رفضت الوزارة قبول المذكرة وردت عليها وكان الوزراء وكبار الضباط



الامام الشيخ محمد عبده

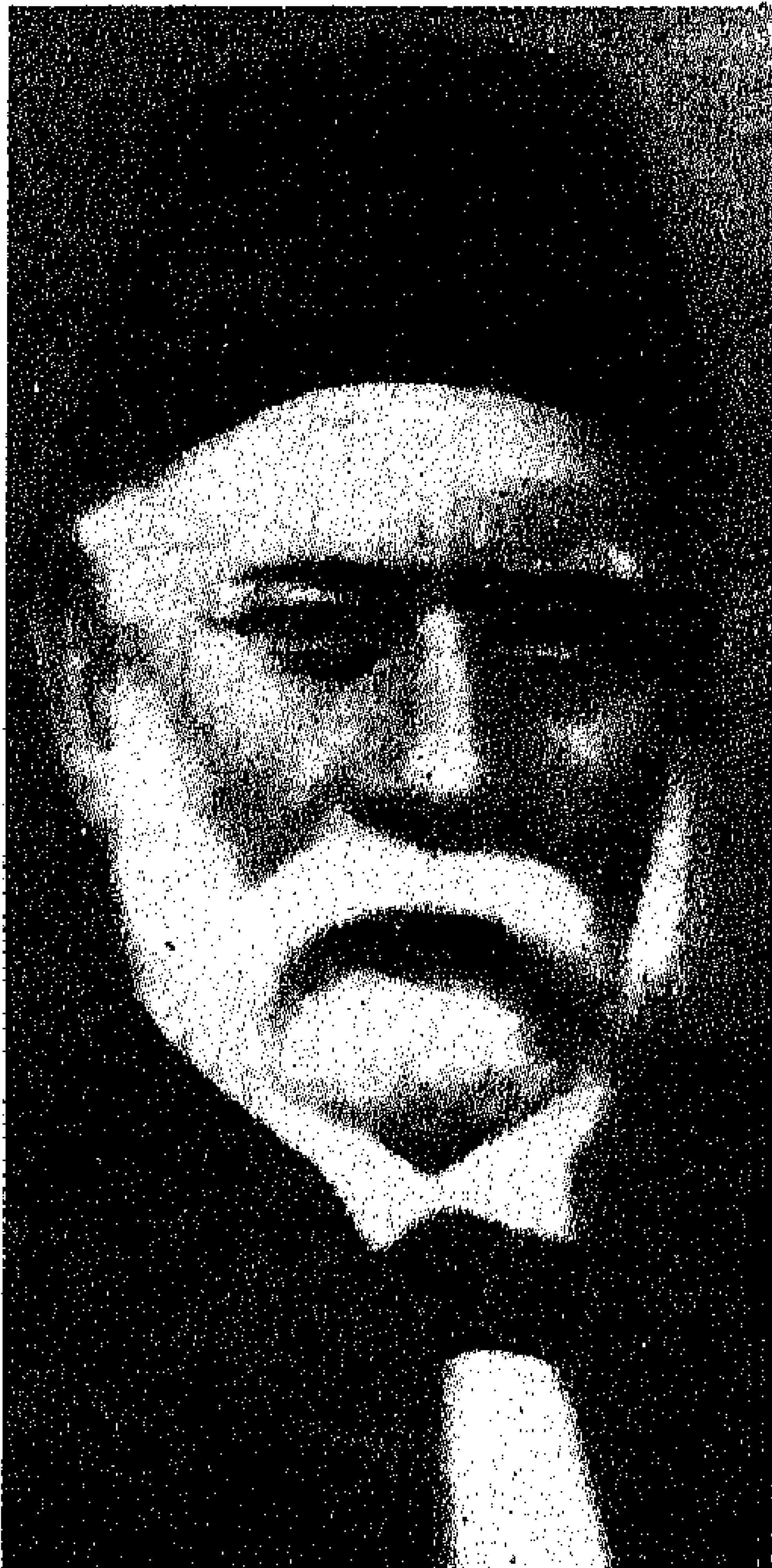
مــصــمــمــون على الرفض ولو أدى ذلك إلى القتال..

ويقول المؤرخ عبدالرحمن الرافعى: إن رئيس الوزراء محمود سامى البارودى «إجتمع وكبار الضباط بقشلاق عابدين وأقسموا جميعاً على المصحف أنه إذا حصلت حرب يكونون يداً واحدة فى الدفاع عن البلاد، وقد تولى الشيخ محمد عبده وضع صيغة اليمين وتحليف كبار الضباط».



ويقول المؤرخ عبدالرحمن الرافعى: إن محمد سلطان باشا رئيس مجلس النواب «أراد أن يتوسط ثانية فى الأمر لحل الخلاف فطلب من القنصلين تخفيف لهجة البلاغ حتى تستطيع الوزارة أن ترضى به، فوعده القنصلان أن يخابرا رئيس الوزارة فيه ولكنهما لم يفعلا.. وإنقضى يوم دون الوصول إلى حل وسط.. ثم أعلن الخديو قبوله مطالب الدولتين.. لأن ما تطلبانه كان هو ما يريده».

فإستقالت الوزارة إحتجاجا على قبول الخديو لمطالب الدولتين، فقبل الخديو هذه الإستقالة مغتبطا بها وفشلت محاولات تأليف



محمد سلطان باشا

كل وزارة جديدة حتى شهر يونيو وتولى الخديو سلطة الحكم مؤقتا وتولى أيضا وزارة الجهادية ولكن الضغوط الشديد التى مورست على الخديو لإرجاع عرابى وزيرا للجهادية والتى جاءت من كل فئات وطوائف الشعب ثم الإنذار الذى بعث به كل العسكريين فى الإسكندرية بإعادة عرابى باشا خلال ١٢ ساعة، كل هذا أدى فى النهاية إلى قبول الخديو توفيق إعادة عرابى إلى وزارة الجهادية ورياسة الجيش فى ٢٨ مايو ١٨٨٢ .. وخلال ذلك ترددت بقوة الرغبة فى خلع الخديو وعرض عرابى هذا الخلع فى مجلس النواب ولكن النواب لم يوافقوا على خلع الخديو خلال الجلسة التى عقدها البرلمان فى ٢٧ مايو والتى إنتهت بتكليف محمد سلطان باشا الوساطة لدى الخديو لقبول بقاء عرابى وزيرا للحربية.

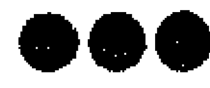


خلال ذلك أيضا كان الخديو قد بعث إلى الآستانة ببرقية يخبرها بإستقالة الوزارة، فتلقى برقية تهنئة، ثم بعت فى اليوم التالى ببرقية غيرها بأن الجنود غير راضين بما حدث وأن الوزارة فى إستقالتها احتجت على مذكرة الدولتين.. فجاء رد الآستانة بأنها ستبعث فى خلال ثلاثة أيام بلجنة إلى مصر لبحث المشكلة.

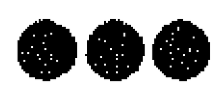


وتطورت الأمور متسارعة نحو الصدام.. وقد بدا هذا فى موقف الدولتين فرنسا وإنجلترا المتواجدة أساطيلهما فى الإسكندرية.. حيث إعتزمت إنجلترا أن تنفرد بالعمل تنفيذا لنواياها القديمة تجاه مصر.. فبعثت إنجلترا إلى فرنسا مشيرة إلى هذا.. وأعلن قنصل إنجلترا العام

فى مصر «أنه لا يعتبر نفسه مقيدا بالوسائل المنطوية على التساهل فى مذكرة ٢٥ مايو ١٨٨٢».. وبدأت إنجلترا تخلق ذرائع التدخل والإنفراد بالعمل.. فبعث قائد الأسطول البريطانى إلى حكومته فى ٢٩ مايو ١٨٨٢ يخبرها بأن «المصريين ينشئون بطارية تجاه إحدى بوارج الأسطول طالبا إرسال بوارج أخرى» فإستجابت حكومته له وكان هذا دليلا جديدا على نية إنجلترا فى العدوان على مصر وإحتلالها.

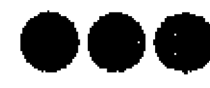


فكر رئيس وزراء فرنسا المسيو فريسينيه فى وسيلة لإنقاذ الموقف، فأعلن فى ٣٠ مايو ١٨٨٢ عن إقتراحه بدعوة الدول إلى عقد مؤتمر للنظر فى المسألة المصرية فقبلت إنجلترا الفكرة، وهى بطبيعة الحال تزمع غير ما تعلن.. أما تركيا فإنها أعلنت عن عدم مشاركتها فى المؤتمر.. بإعتبار أن إرسالها للوفد العثمانى الثانى إلى مصر كفيل بحل المشكلة، متوهمة إن إيفادها مندوبها السامى مصطفى درويش باشا «يحول دون تدخل إنجلترا ويمنع الدول من أن تتدخل أو تبرم أمرا فى المسألة المصرية» وإستبقت تركيا وصول مندوبها السامى ببرقية بعثت بها فى ٥ يونيو ١٨٨٢ تنقل إلى مصر ما أبلغت به وزارة الخارجية البريطانية السفارة التركية فى لندن، من أن الجنود المصريين يقومون بترميمات وتجهيزات فى حصون الإسكندرية بنية تهديد الأسطولين الإنجليزى والفرنسى، وتطلب بالتالى إيقاف هذه الأمور.. وقرر عرابى الكف عن ذلك.. وبعث بذلك إلى الخديو..



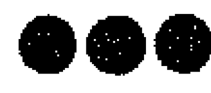
وصل مصطفى درويش باشا إلى الإسكندرية فى يوم ٧ يونيو ١٨٨٢

مع وفد يتكون من ٥٨ شخصا وإستقبله فى الميناء مندوبون من قبل الخديوى وعرابى وأمضى ليلة فى قصر رأس التين ثم إستقل القطار فى اليوم التالى إلى القاهرة ثم إستقبله الخديو، مستاء من مقابلة درويش باشا لمندوب عرابى.. ولكن درويش أعلمه أنه قادم لتثبيت سلطة الخديو.. وكانت خطة درويش باشا تقوم على التظاهر لكل منهما بأنه يسانده.. ولكن الأمر إنتهى بانحيازه إلى الخديو بعد تلقية رشوة قيمتها خمسون الف جنيه.. مما جعله يحول موقفه.. ليطلب من عرابى السفر إلى الآستانة لمقابلة السلطان.. فإعتذر عرابى.. ولكن مهمته فشلت فشلاً ذريعاً.. ولم يفعل شيئا فيما تتابع من أحداث.. ففى يوم ١١ يونيو ١٨٨٢ وقعت مذبحة الإسكندرية.. ثم ضربت الإسكندرية فى ١١ يوليو ١٨٨٢ وغادر هو الإسكندرية إلى الآستانة فى يوم ١٩ يوليو ١٨٨٢ دون أن يستطع فعل شىء لمنع هذه الكوارث.



بدأتُ نذر الحرب تلوح فى الأفق.. وتوقعها المصريون فى أى لحظة.. كما أدرك ذلك الأجانب.. وخافوا على أرواحهم.. وبدأوا ينزحون إلى الإسكندرية ليكونوا تحت رعاية أسطولى إنجلترا وفرنسا وبالقرب منهما.. وحاول الأوروبيون تأليف قوة منهم للدفاع عن أنفسهم فرفض وكلاء الدول بالقاهرة الفكرة لتداعياتها الممكنة ورأرا الإكتفاء بالمساعدة التى يمكن للأسطولين مدهم بها.. ولكنهم مع ذلك بدأوا فى إقتناء الأسلحة النارية وإستعدوا فعلاً للقتال.. وفى نفس الوقت كان الأهالى يشعرون بهذا كله.. ويستنتجون أن الحرب قادمة.. «فإشتدت لهذا عوامل الفتنة وهياج الخواطر.. وأصبح الجو مهيئا لوقوع القلاقل والصدامات بين الأهالى والأجانب».. وبالفعل تطور شجار حدث فى

يوم ١١ يونيو ١٨٨٢ بين أحد المالطيين من رعايا الإنجليز.. وأحد الأهالى.. إلى مذبحة شهدتها الإسكندرية فى ذلك اليوم.. فالمالطى إستأجر حمارا يملكه مواطن كان إسمه السيد العجان وظل يطوف به من بداية اليوم من مكان إلى آخر.. وفى النهاية لم يدفع له غير قرش واحد.. فراجع الرجل فى القيمة.. فإستل المالطى سكيناً وطعن بها المصرى فخر صريعاً.

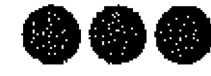


يصف المؤرخ الكبير عبدالرحمن الرافعى تداعيات هذا الحادث الذى كان أحد ذرائع ضرب الإسكندرية بعد ذلك فيقول:

« وقع هذا الحادث فى الزقاق الكائن خلف «قهوة القزاز» فهرع رفاق القتيل إلى ذلك المكان يريدون أن يمسكوا بالقاتل، ولكنه فر إلى أحد المنازل المجاورة، وأخذ المالطيون واليونانيون الساكنون بالقرب من مكان الحادث يطلقون النار على الأهلين من الأبواب والنوافذ فسقط كثير منهم بين قتيل وجريح، فثارت نفوس الجماهير تطلب الإنتقام لمواطنيهم، وتحركت طبقة الرعاع للإعتداء على الأوروبيين عامة، فأخذوا يهجمون على من يلقونه منهم فى الطرقات أو فى الدكاكين ويوسعونهم ضربا، وكان سلاحهم فى هذه المعركة العصى والهراوات ليس غير، وانبث الرعاع فى المدينة يستنفرون الناس للقتال منادين: «جاى يا مسلمين! جاى! بيقتلوا اخواننا» ويقتلون من يلقونه من الأفرنج ضربا بالعصى والهراوات، ونهبوا دكاكين شارع السبع بنات وإمتد الهياج من هذا الشارع إلى الشارع الإبراهيمى وإلى شارع الهماميل وشارع المحمودية وجهة الجمرك والمنشية وشارع الضبطية «رأس التين» وغيرها من الشوارع التى يقطنها الأوروبيون أو يمرون منها، وقد قتل

كثير منهم أمام الضبطية إذ كانوا قادمين من الترسانة عائدين من زيارتهم للبوارج الإنجليزية والفرنسية، وكان الأوروبيون من ناحيتهم يطلقون الرصاص من النوافذ على الأهلين فقتل من الجانبين خلق كثير».

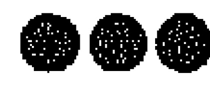
« وإذا كان البادىء بالعدوان أحد الرعايا الإنجليز «المالطيين» وقد شاهده بعض الحاضرين يلوذ بالفرار إلى منزل يسكنه مواطنوه فقد أرسل قسم اللبان إلى المستر كوكسن قنصل إنجلترا فى الثغر لايفاد أحد موظفى القنصلية لكى يخرج المعتدى من ذلك المنزل فحضر المستر كوكسن بنفسه أثناء الهياج فأصيب بضربة حجر وعصا جرح بسببها جرحا بليغا وجرح أيضا فى ذلك اليوم قنصل اليونان وقنصل إيطاليا فكانت إصابة القناصل من مظاهر خطورة الحالة».



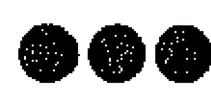

عمر لطفي باشا

« وكان عمر باشا لطفى محافظ المدينة حين بدأت الحادثة يتولى رئاسة قومسيون تحقيق الجمرك بدار المحافظة، فأبلغه أحد موظفى الضبطية نبأ الشجار الذى وقع بين الوطنى والمالطى وكان ذلك فى نحو الساعة الثالثة بعد الظهر فأوفد حسين بك فهمى وكيل المحافظة إلى مكان الواقعة لفض الخلاف ثم جاء بعد ربع ساعة نبأ بإستفحال الفتنة وتجسمها، وأن سيد بك قنديل مأمور الضبطية مريض فى منزله، فذهب بنفسه إلى جهة الواقعة بشارع السبع بنات وهنالك

أدرك خطورة الفتنة ورأى إزدحام الشارع بالمتجمهرين، فطلب من إسماعيل باشا كامل قومندان الجنود بالإسكندرية إرسال المدد من الجند لوقف الهياج، فتباطأ الميرالاى مصطفى بك عبدالرحيم قائد الآلاى الخامس الذى كان مرابطا برأس التين والقائمقام سليمان سامى داوود قائد الآلاى السادس الذى كان بباب شرقى، فى إرسال الجند ولم يحضروا إلا فى الساعة الخامسة مساء قبل المغرب بساعة، وحين جاء الجند فرقوا المتجمهرين بغير صعوبة وإنتهت الفتنة فى مغرب الشمس، فساد المدينة سكون رهيب إذا لزم الناس بيوتهم وخلت الطرقات من المارة وإنقضى الليل والناس فى وجل وفزع».



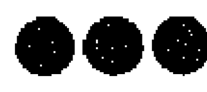
وقد إختلفت الروايات فى تقدير أعداد القتلى والجرحى فقد ذكر الإمام الشيخ محمد عبده أن القتلى كانوا ١٦٣ من المصريين بخلاف من حملهم ذووهم سرا و٧٥ من الأوروبيين.. ولكن اللجنة الطبية التى ألفها القناصل ذكرت أنهم ٤٩ قتيلا من الجانبين منهم ٣٨ من الأجانب بخلاف ٧١ جريحاً منهم ٣٦ من الأجانب.



كانت مذبحة الإسكندرية نذيرا بما سيحدث بعدها.. وكانت إشارة إلى أن العرابيين غير قادرين على ضبط الأمن وحماية الأرواح والممتلكات، بعد أن تعهد عرابى بالحفاظ على الأمن والنظام.

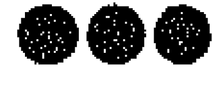
وعقد الخديو إجتماعا فى قصر عابدين فى اليوم التالى للحادث شهده محمد شريف باشا ومصطفى دوريش باشا المندوب العثمانى وقناصل الدول الذين طلبوا حماية رعاياهم. وأمام المجتمعين تعهد

عرابى مرة أخرى بكفالة الأمن وأعلن دوريش باشا أنه سيشارك عرابى فى تنفيذ أوامر الخديوى فى هذا الشأن.. وشكلت الحكومة لجنة تحقيق سافرت إلى الإسكندرية مساء ١١ يونيو ١٨٨٢ وبدأت عملها برئاسة طلبة باشا فى صباح ١٢ مايو ١٨٨٢.. ولكن اللجنة لم تستكمل مهامها بعد إنسحاب مندوب قنصل إنجلترا لإتهام اللجنة بالتحيز.. و بدأ نزوح الأجانب من باقى أنحاء مصر إلى الإسكندرية ومن الإسكندرية إلى الخارج تحسبا لنشوب الحرب وما يمكن أن يعقبها من إنتقام الأهالى منهم.. ووصل عدد الراحلين إلى ما قبل ضرب الإسكندرية نحو ٦٠ الف راحل.. وغادر الخديو القاهرة إلى الإسكندرية فى يوم ١٣ يونيو ١٨٨٢.. وكان يجب أن يبقى فى القاهرة، وكان هذا السفر بمثابة فرار من القاهرة ليكون قريبا من الأسطوليين الإنجليزى والفرنسى.



ولكن من المسئول عن حادث مذبحة الإسكندرية؟.. إن تواجد الأسطولين الإنجليزى والفرنسى هو السبب.. فقد منح المصريين شعورا بالقلق وأوغر صدورهم على الأوروبيين كما أنه أغرى الأوروبيين بالمصريين لشعورهم بأنهم فى حماية الأسطولين، فالسياسة البريطانية والفرنسية تحمل المسئولية الأولى عن هذا الحادث.. كما أن هناك تحريضات قنصل إنجلترا فى الإسكندرية لرعاياه، وعلاقته بمرتكب الشرارة الأولى.. فقد كان المالطى الذى قتل المصرى شقيقا لخادم القنصل.. مما يقطع بأن هناك علاقة ما للقنصل بالحادث. ولكن الإمام الشيخ محمد عبده يجزم بأن الخديو توفيق كان وراء هذه المذبحة .. وأن عمر لطفي محافظ الاسكندرية كان ينفذ تعليماته عندما لم يبذل

أي جهد في مواجهة الاحداث .. كما سنقرأ في مذكراته في الجزء الثالث من هذا الكتاب.



وبعد أن ظلت البلاد بلا حكومة منذ ٢٧ مايو ١٨٨٢ بعد إستقالة وزارة محمود سامى البارودى، أمكن أخيرا فى ٢٠ يونيو ١٨٨٢ وبعد إستطلاع رأى عرابى تشكيل حكومة برئاسة إسماعيل راغب باشا شغل فيها عرابى كذلك وزارة الحربية والبحرية.. وعمل راغب باشا على تهدئة الخواطر بعد مذبحة الإسكندرية، وإعادة العلاقات الطيبة بين الأهالى والأجانب فقرر تشكيل لجنة لإجراء تحقيق واسع النطاق فى حادث ١١ يونيو ١٨٨٢ .. ولكن إنجلترا التى دبرت مذبحة الإسكندرية كانت تعد لتصاعد الأمور.. ومن ثم عملت على عدم تمكين وزارة راغب باشا من تهدئة الأمور حتى تتخذ من ذلك ذريعة للتدخل فى شئون مصر.. وأخذت تناوىء الحكومة التى جاء تشكيلها على غير هواها، وأخذت تثير حولها الشكوك والشبهات، وأوعزت إلى الرقيب المالى الإنجليزى بعدم حضور جلسات مجلس الوزراء وإدعت أن وزارة إسماعيل راغب باشا هى أداة فى يد عرابى، الذى زاد نفوذه بعد أن أنعم عليه السلطان بنيشان كبير.

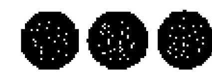


اسماعيل راغب باشا

من ناحية أخرى لم تعبأ الدول بمعارضة تركيا فى عقد مؤتمر الآستانة الذى دعت إليه فرنسا ورفضها حضوره، وحضر المؤتمر إنجلترا وألمانيا وروسيا والنمسا وإيطاليا.. ورأت تركيا أن إيفادها لدرويش باشا إلى مصر يكفى لحل مشاكلها، كما أن الأحوال فى مصر لا تستدعى عقد مؤتمر بعد أن تألفت وزارة راغب باشا لتنهض بأعباء الحكم وتعيد الأمن إلى نصابه، فلا يبق بعد ذلك شىء يمكن التفاوض فيه فى المؤتمر.. ولكن المؤتمر إجتمع فى دار السفارة الإيطالية بضواحى الآستانة فى يوم ٢٣ يونيو ١٨٨٢ ثم إجتمع للمرة الثانية فى يوم ٢٥ يونيو ١٨٨٢ وأبرم اتفاقاً سماه ميثاق النزاهة كان قد وضعه المسيو فريسينيه فى ١٦ يونيو ١٨٨٢ويقول نصه:

«تتعهد الحكومات التى يوقع مندوبوها على هذا القرار، بأنها فى كل إتفاق يحصل بشأن تسوية المسألة المصرية، لا تبحث عن إحتلال أى جزء من أراضى مصر ولا الحصول على إمتياز خاص بها، ولا على نيل إمتياز تجارى لرعاياها، لا يخول لرعايا الحكومات الأخرى».. وقد وقع هذا الميثاق جميع أعضاء المؤتمر.

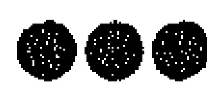
ولكن إنجلترا وهى توقع هذا الميثاق، كانت تعد لنقضه.. كما نقضت جميع عهودها فى المسألة المصرية.. فقد كانت تعد لغزو مصر وإحتلالها، ولم تلبث أن ضربت الإسكندرية فى ١١ يوليو ١٨٨٢.



وواصل المؤتمر جلساته وكان واضحاً أن إنجلترا من مشاركتها فيه كانت تهدف إلى إعلان أن «الحالة فى مصر تستدعى التدخل فى شئونها، وأن هذا التدخل ينبغى أن يكون حربيا لقمع الثورة وإعادة

سلطة الخديو، وكانت ترمى إلى أن يكون هذا التدخل إنجليزياً، ولكنها تظاهرت بأن يكون تركياً.. وهى تدرك أن تركيا لن تفعل شيئاً لثقتها فى جمود السياسة التركية وضعفها».. ونجحت إنجلترا فى إضافة تحفظ نسف قرار الدول بالإمتناع عن التدخل المنفرد فى مصر مادام المؤتمر منعقداً.. فقد أضافت تحفظاً يقول: «فيما عدا الأحوال القهرية».. وهذا ما كانت تريده إنجلترا.

وفى جلسته الثالثة قرر المؤتمر وجوب التدخل فى مصر لإخماد الثورة، وأن يعهد إلى تركيا بهذه المهمة بأن ترسل إلى مصر قوة كافية من الجند لإعادة الأمن والنظام فيها.. وفى جلسته السابعة فى ٦ يوليو ١٨٨٢ وضع المؤتمر شروط التدخل التركى بحيث تكون مدة بقاء القوات التركية فى مصر ثلاثة أشهر قابلة للإمتداد بطلب من الخديو إلى المدة التى تتفق عليها الحكومة المصرية وتركيا والدول الأوروبية العظمى، مع المحافظة على مركز مصر وإمتيازاتها، وتقوم خلال هذه المدة بإخماد الثورة العسكرية وإعادة الخديو إلى السلطة والشروع فى إصلاح النظم العسكرية.



ولكن تركيا رفضت التدخل لأنه ليس فى مصر ما يوجب تدخلها.. وكان هذا ما تريده إنجلترا، لأنها كانت تراهن على بطء السياسة التركية وترددها، وكانت تعد فى الوقت نفسه الذرائع لتتدخل هى بنفسها وبمفردها.. وهكذا حدث ضرب الإسكندرية فى اليوم الخامس من إنتهاء المؤتمر ليتضح أن المؤتمر لم يكن إلا مهزلة إستغلتها إنجلترا لتشغل الجميع بما يصرف أنظارهم عن خططها فى تدبير عدوانها على مصر.. كما أن المؤتمر من ناحية أخرى أدى دوراً هاماً فى طمأنة

العرابيين واعتقادهم أن المسألة ستحل بالتفاوض بين الدول.. فكان هذا كما يقول المؤرخ الكبير عبدالرحمن الرافعى «إغراقاً منهم فى حسن الظن أو الجهل بما تنويه إنجلترا.. وفى الحق أن العرابيين كانت تنقصهم الحصافة فى الرأى وبعد النظر السياسى.. وكانوا لا يعرفون الموقف السياسى على حقيقته.. هذا فضلاً عما اشتهروا به من الغرور والخيلاء.. وكانوا يتوهمون أنهم كانوا قادرين على دفع إعتداء الإنجليز أو أى دولة أخرى دون أى إستعداد للحرب.. ولم يكونوا يقدرون قوة أعدائهم ولا قوتهم فى أنفسهم.....»

كانت كل أحاديث العرابيين تدور حول أخبار المؤتمر وإعتقادهم بحل الأزمة قريباً سلمياً، وأنها ستنتهى بخلع توفيق وتعيين الأمير حليم باشا مكانه.. أما الإستعداد للحرب فكما يقول المؤرخ الكبير عبدالرحمن الرافعى فإنهم «لم يفكروا فيه تفكيراً جدياً إلا فى اللحظة الأخيرة وبعد أن سبق السيف العذل».

فى نفس الوقت فإن إنجلترا كانت تستعد للحرب وترتب الأسباب والذرائع التى ستتعلل بها وكانت تفعل هذا قبل انعقاد مؤتمرالأستانه وأثناء انعقاده وحتى اتخاذ قراره بدعوة تركيا إلى ارسال قواتها إلى مصر.

فبدأ الأميرال سيمور قائد الأسطول البريطانى يتحرش بمصر ويتأهب للاعتداء عليها وضرب الإسكندرية.. فافتعل موضوع اكتشاف ترميم مصر لحصونها فى الإسكندرية وتركيب بطاريات جديدة تجاه بوارجه لكى تكون هى مبرره.. ووافقته قيادته على طلب إيقاف هذه الأعمال وله فى حالة الرفض أن يقصفها ويدمرها.. أما الأسطول الفرنسى فإنه تلقى من حكومته قراراً بعدم المشاركة مع الأسطول

البريطانى فى هذه الأعمال العدائية ضد مصر ومغادرة ميناء الإسكندرية إذا بعث سيمور بإنذار نهائى بالضرب.



الاميرال سميور



بعث الأميرال سيمور البلاغ الأول إلى طلبة باشا عصمت قومندان موقع الإسكندرية فى ٦ يوليو ١٨٨٢ يطالب بالكف عن أعمال التحصين الجارية فى حصون الإسكندرية فرد عليه فى نفس اليوم نافيا ما ادعاه.. ولم يقتنع سيمور بالرد.. كما أنه لم يكن ليقتنع.. لأنه يريد التحرش وإيجاد ذريعة للحرب.. ورفض سيمور تدخل القناصل فى الإسكندرية للتهدئة وبعث ببلاغ آخر فى نفس اليوم إلى طلبة باشا عصمت ٦ يوليو ١٨٨٢ يهدد بتدمير ما وصل إلى علمه بتركيب مدفعين جديدين فى خطوط الدفاع ومواصلة الإستعدادات الحربية فى مواجهة الإسكندرية الشمالية.. فرد طلبة باشا نافيا صحة ما وصل إلى سيمور من أخبار.



طلبة باشا عصمت

ثم كان الإنذار النهائى فى يوم ١٠ يوليو ١٨٨٢ حيث بعث سيمور إلى طلبة باشا عصمت يطلب فيه تسليم البطاريات المنصوبة فى الحصون القائمة فى شبه جزيرة رأس التين وعلى ساحل ميناء

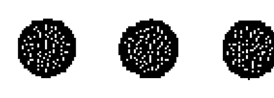
الإسكندرية الجنوبى وإلا ضرب الحصون فى اليوم التالى.. والحصون الأخيرة تشمل معظم حصون المدينة وتشمل حوالى ١٢ طابية،

وكان نص إنذار سيمور يقول:

«... نظرا لأن الإستعدادات العدائية الموجهة ضد الأسطول الذى أتولى قيادته آخذة فى الازدياد طول يوم أمس فى طوابى صالح وقايتباى والسلسلة، فقد عقدت العزم على أن أنفذ غدا «١١ يوليو ١٨٨٢» عند شروق الشمس، العمل الذى أعربت لكم عنه فى خطابى المؤرخ ٦ يوليو ١٨٨٢، إن لم تسلموا إلى حالا قبل هذه الساعة، البطاريات المنصوبة فى شبه جزيرة رأس التين وعلى شاطىء ميناء الإسكندرية الجنوبى لتجريدها من السلاح».

ورفضت مصر الإنذار بعد محاولات تفاديه.. وذهب رئيس الوزراء راغب باشا بنفسه بصحبة عبدالرحمن رشدى وزير المالية وتيجران بك سكرتير مجلس الوزراء إلى الأميرال سيمور فرفض التزحزح عن إنذاره.. وجمع الخديو توفيق مجلس عاما دعا إليه الوزراء وكبار رجال الدولة وتداولوا فى الأمر.. واتفقت الأغلبية على رفض مطالب الأميرال سيمور، ولكنهم رأوا أن يحاولوا محاولة أخيرة بارسال وفد آخر يضم وزير المالية وعدد من وكلاء الوزارات ليخاطبوه وديا كما قال عرابى فى مذكراته «ويوضحوا له أن المصريين ليسوا أعداء للإنجليز، وأنه لا يمكن سد البوغاز بالأحجار كما قيل، وأما إنزال المدافع فهذا أمر لا يمكن قبوله، وإنما يمكن إجابة لطلبه، وسدا لباب النزاع إنزال ثلاثة مدافع من ثلاث طوابى، وهى طابية المكس، وطابية صالح، وطابية السلسلة، وأن يكتفى بذلك ردا لشرف الدونانمة كما يزعم».

ويقول عرابى: «إن الوفد ذهب وأبلغ الرسالة، ورجع وأخبر بأن الأميرال لم يقبل ما عرض عليه، وأصر على إنزال جميع المدافع، وزاد على ذلك بأنه طلب من الحكومة أمراً صريحا بتسليم حصون «المكس» و«العجمى» و«باب العرب» وما وراء طابية المكس من الأراضى لإتخاذها معسكرا للجنود الإنجليزية، وأنه إذا لم يجب إلى طلباته باشر القتال عند طلوع شمس الغد. فتقرر رفض طلباته مع الإستعداد للحرب، وعلى ذلك انفض المجلس».



وكان رد مصر على الإنذار النهائى طبقا لقرار مجلس الوزراء يقول:

«لم تعمل مصر شيئاً يقضى بارسال هذه الأساطيل المتجمعة، ولم تعمل السلطة المدنية، ولا السلطة العسكرية أى عمل يسوغ مطالب الأميرال إلا بعض إصلاحات اضطرارية فى أبنية قديمة، والطوابى على الحالة التى كانت عليها عند وصول الأساطيل، ونحن هنا فى وطننا وبيتنا فمن حقنا، بل من الواجب علينا أن نتخذ عدتنا ضد كل عدو مباغت يقدم على قطع أسباب الصلات السلمية التى تقول الحكومة الإنجليزية أنها باقية بيننا، ومصر الحريصة على حقوقها، الساهرة على تلك الحقوق، وعلى شرفها لا تستطيع أن تسلم أى مدفع، ولا أية طابية، دون أن تكره على ذلك بحكم السلاح، فهى لذلك تحتج على بلاغكم الذى وجهتموه اليوم، وتوقع مسئوليات جميع النتائج المباشرة وغير المباشرة التى تنجم إما عن هجوم الأساطيل، أو عن إطلاق المدافع، على الأمة التى تقذف فى وسط السلام القنبلة الأولى على الإسكندرية المدينة الهادئة مخالفة بذلك لأحكام حقوق الإنسان، ولقوانين الحرب».

● ● ●

ويصف المؤرخ الكبير عبدالرحمن الرافعى قوة كل من الجيش المصرى والأسطول البريطانى عند المواجهة فيشير إلى حصون المدينة والتى كانت منشأة من عصر محمد على ماعدا كوم الناضورة وكوم الدكة، فانهما منشأتان فى عهد الحملة الفرنسية وقلعة قايتباى وهى منشأة فى القرن الخامس عشر.. «وكانت الحصون فى عام ١٨٨٢ بنفس الحالة التى كانت عليها منذ محمد على وإبراهيم وعباس وقد أجرى فيها اسماعيل بعض الترميم وجلب لبعضها المدافع الضخمة من طراز أرمسترنج وهى التى كانت تضاهى الأسطول البريطانى وكان يبلغ عددها ٤٩ مدفعا أما المدافع الأخرى فلم يكن يعتمد عليها فى الضرب لقدمها وضعفها وقرب مرماها، ولم تكن لها أى قيمة حربية فى سنة ١٨٨٢، وهى معظم مدافع الحصون إذ كان عددها ٢٢٩ مدفعا، والأهوان وعددها أربعون».

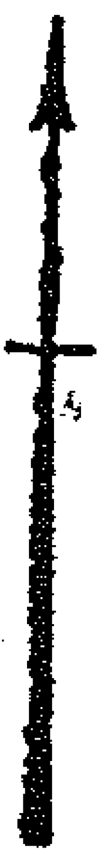
ويقول جون نينيه عميد الجالية السويسرية فى الإسكندرية:

«أن معظم المدافع القصيرة المرمى لم تتحرك من موضعها منذ نحو ثمانى وثلاثين سنة، حين ركبها لأول مرة جاليس بك مفتش الاستحكامات فى عهد محمد على، أما المائة مدفع وواحد بين مدافع ارمسترونج من عيار تسع إلى عشر بوصات، فكان منها ٦٤ فقط مركبة فى موضعها، والسبعة والثلاثون الأخرى كانت ملقاة خارج مواضعها، وأما ذخائرها فإنها لم تنقل من مخازنها بالترسانة».

ويقول عرابى فى مذكراته «إن ألاى طوبجية السواحل لم يزد عن سبعمائة يوم الضرب، كما يقول إن كل ألاى من آليات المشاة الأربعة كان

ضرب الاسكندرية

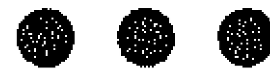
١١ يوليه سنة ١٨٨٢



خريطة الاسكندرية وحصونها .. وموقع الاسطول الانجليزي عند ضرب الاسكندرية في يوم ١١ يوليو ١٨٨٢

مؤلفاً من ٣٠٠٠ مقاتل، فيكون مجموع الجند يوم ضرب الإسكندرية ١٢٠٠٠ من البيادة «المشاة» و٧٠٠ من الطوبحية».. ولم تشترك حامية المدينة «الآليات الأربعة» فى القتال كما يقول عبدالرحمن الرافعى.

أما الأسطول البريطانى فكان مؤلفا من ثمانى مدرعات كبيرة وسفينة للطوربيد وأخرى كشافة.. ومعظم مدافع هذا الأسطول من طراز ارمسترونج وعددها ٧٧ مدفعا.. وكانت كفة الأسطول البريطانى أرجح بكثير من كفه الحصون المصرية، أما الأسطول الفرنسى فقد انسحب إلى بورسعيد تاركا سفينتين لم تعمل عملا ما.. تاركا الإنجليز ينفردون وحدهم بالضرب والقتال.. ويقول الرافعى عن الفرنسيين» لو أنهم اشتركوا مع الإنجليز لتغير وجه المسأل المصرية، ولما استطاع الإحتلال الإنجليزي أن يثبت أقدامه في مصر».



الفصل الرابع

الخيانة.. والاحتلال

بدأ الأسطول البريطانى فى ضرب الإسكندرية فى الساعة السابعة من صباح الثلاثاء ١١ يوليو ١٨٨٢.. واستمر الضرب حتى منتصف الساعة السادسة مساء.. أكثر من عشر ساعات تخللتها فترات توقف.. ولم ترد القلاع فى البداية إلا بعد خمس دقائق من إبتداء الضرب وبعد الطلقة الثالثة.. وكان الضرب من الأسطول الإنجليزى شديداً مروعاً.. وقنابله محكمة المرمى شديدة الفتك.. فى الوقت الذى كانت فيه مدافع القلاع ضعيفة متراخية.. وسقط كثير منها فى البحر دون أن يصل إلى البوارج الانجليزية.

يقول المؤرخ الكبير عبدالرحمن الرافعى:

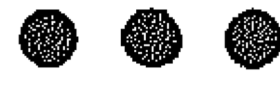


احمد عرابي

«دافعت الحاميات عن الحصون دفاع المستميت، وقام رجالها بواجبهم قدر ما استطاعوا، ولكن قوة الأسطول ومدافعه كانت لها الغلبة فى هذا اليوم المشئوم، فتهدم معظم الحصون، وأصابت قنابل الأسطول كثيرا من مساكن الأهلين فدمرتها وأحرقتها كما أحرقت جناح الحرم بسراى رأس التين».

وقد اعترف عرابى أن الإنجليز باغتوهم «على غير استعداد منا».. كما أن مدافع أرمسترونج الحديثة كانت «بلا مساطر».. وقد أحضرت المسطرة الوحيدة.. من ميدان الرماية والتعليم فى العباسية.. واستخدمها سيف النصر بك كومندان طابية الفنار وكان

يطلق النار بنفسه من مدفع إلى آخر.. فكيف يجدى استخدام مسطرة واحدة مع ٦٤ مدفعا كانت مركبة من هذا الطراز..!!!



يقول أحمد عرابى عن ضرب الإسكندرية:

«لا يجهل أحد نتيجة ما كان من أمر هذه المخابرات، فإن نار المدافع صب على القلاع والحصون والترسانة وسراى رأس التين وبالجملة على جميع أرجاء المدينة صباح الثلاثة ١١ يوليو سنة ١٨٨٢، ولم تجاوبها مدافع القلاع إلا من بعد اطلاق مدافع الأسطول نحو ٢٠ طلقة ثم استحر القتال بين الأساطيل الإنجليزية وقلاع الإسكندرية بعد ذلك إلى منتصف النهار، ثم أخذت نيران الاستحكامات فى التناقص حتى تم تدميرها قبيل الغروب، وقد باغتنا الانجليز بالعدوان على غير استعداد منا، وكان ضرر شظايا الأحجار المتناثرة من تأثير مقذوفات العدو عظيما أكثر من تأثير المقذوفات نفسها، ومن المعلوم أن للاسكندرية عدة حصون وقلاع ومتاريس وأبراج مستديرة، ولكن أكثرها مسلح بالأسلحة القديمة التى لا تصلح لمقاومة الدوارع الإنجليزية غير أن فى بعضها مدافع ارمسترنج وهى وحدها الأسلحة النارية التى تصلح لخرق دروع السفن الانجليزية».

وأضاف عرابى:

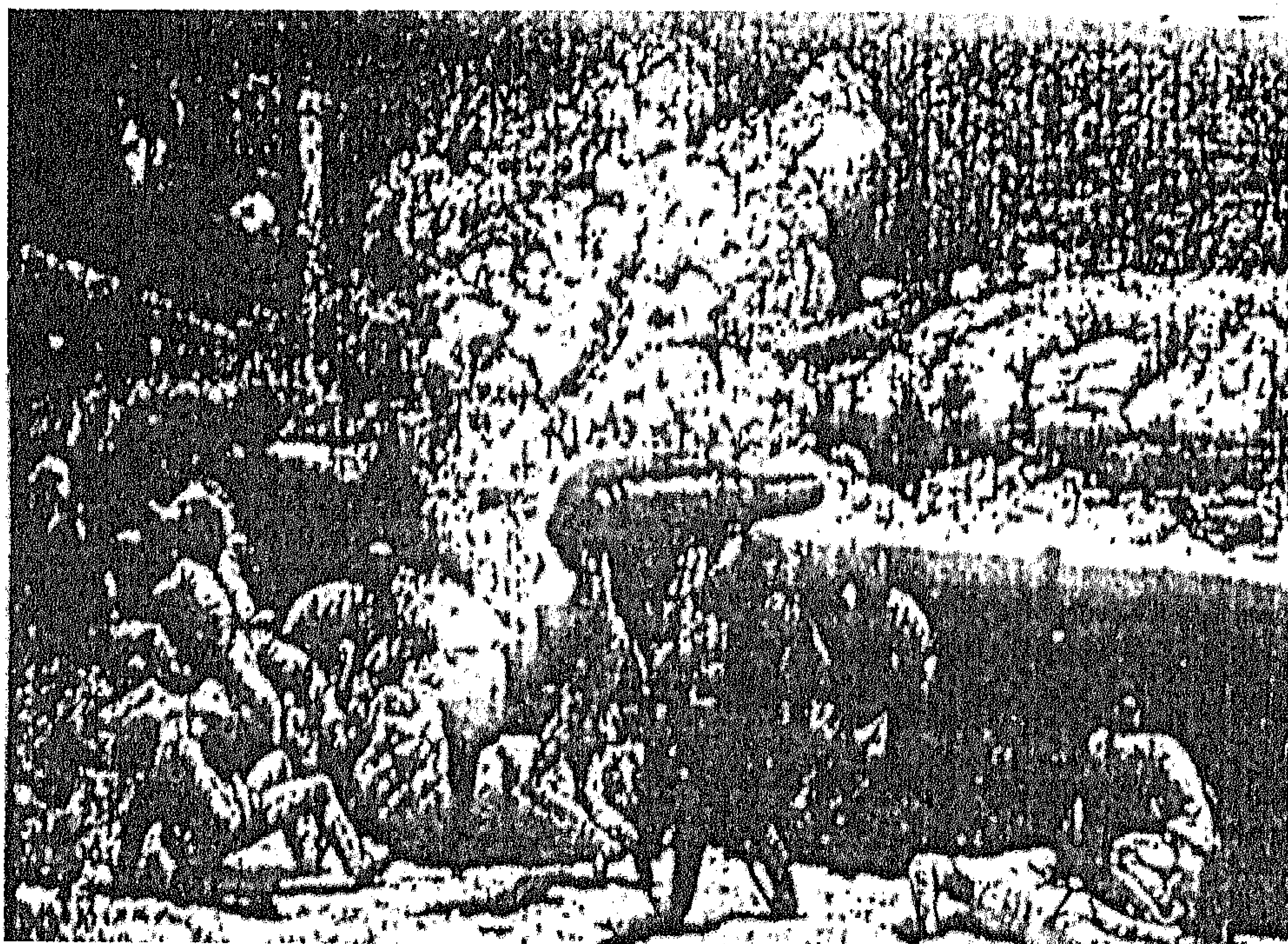
«إن مقذوفات المدافع القديمة كانت لا تصل إلى السفن الإنجليزية، ومدافع أرمسترنج «الحديثة» لم يكن لها من المساطر التى تضبط المسافات وتحكم الإصابة بواسطتها إلا مسطرة واحدة كانت فى ميدان الرماية والتعليم بالعباسية «البوليجون» واستحضرت ليلا وتسلمها

سيف النصر بك كومندان طابية الفنار فكان يطلق المدافع بنفسه وينتقل من مكان إلي آخر، ويحكم الإصابة بواسطة المسطرة المذكورة، ولو كانت مدافع أرمسترنج ذات مساطر لأمكنها تعطيل كافة الدوارع الانجليزية بما تقذفه عليها من المقذوفات الصائبة».



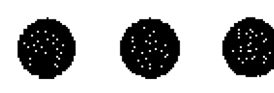
كان جون نينيه عميد الجالية السويسرية فى الإسكندرية شاهد عيان لما حدث فى الإسكندرية قبل وبعد الضرب.. ووضع كتابا بعنوان: «عرابى باشا».. فى هذا الكتاب يصف ما حدث يوم ضرب الإسكندرية فيقول:

«أجابت بطاريات الحصون على ضرب الأسطول بعد الطلقة



ضرب قلاع الاسكندرية ،الطبجية يستمرون في القتال رغم الضرب .. كما تخليها الرسام

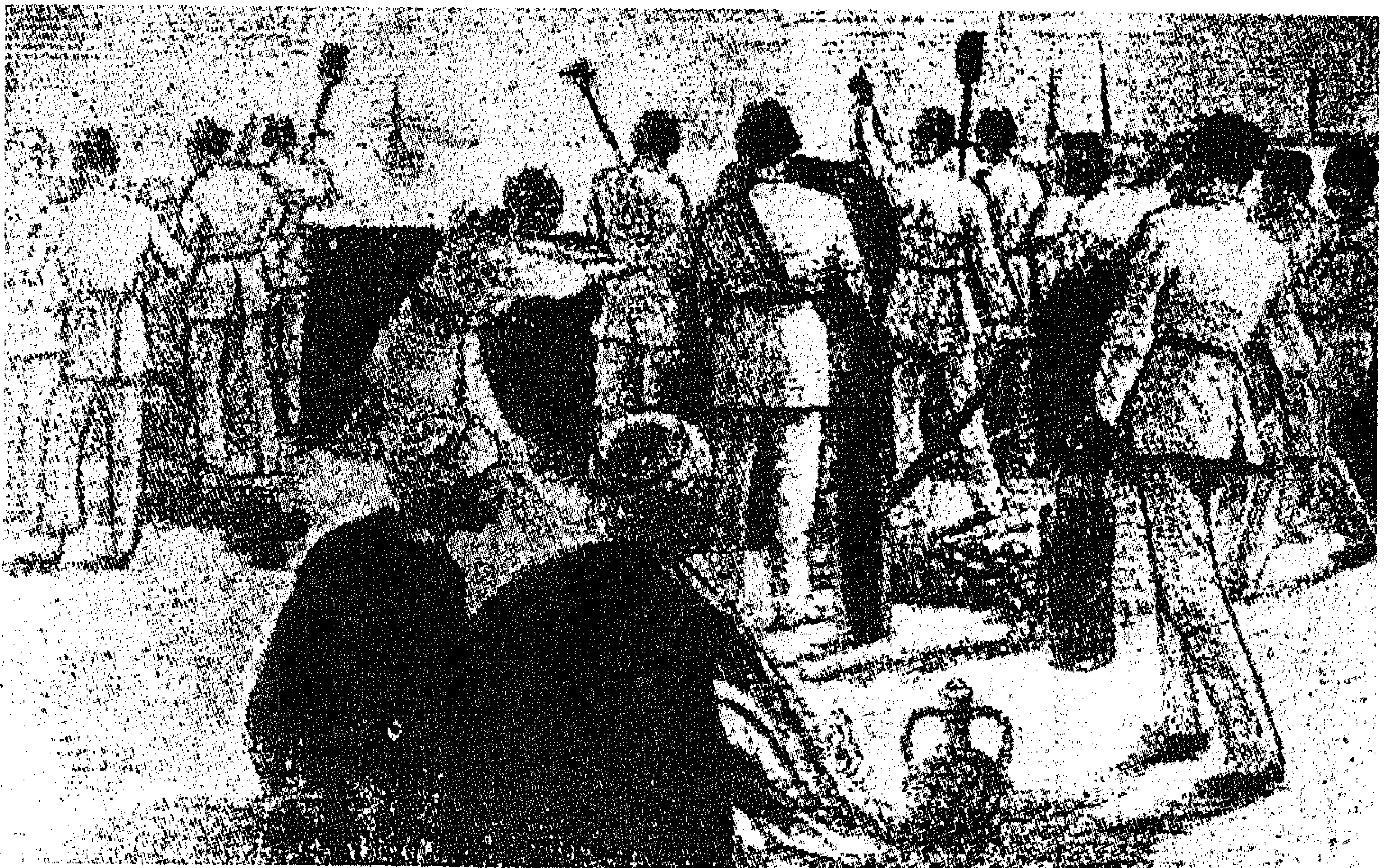
الخامسة وكان رماة المدافع يطلقون قنابلها بحماسة وأحكام أدهشا خصومهم الذين استمر عملهم الجهنمى عشر ساعات ونصف متوالية دون أن يستطيعوا المباهاة بنصر حاسم، وقد غطيت المدينة أثناء الضرب بطبقات كثيفة من الدخان والغبار، وكان قصف المدافع يصم الآذان، وحينما كانت الريح تبدد سحب الدخان كنا نشاهد كرات المدافع المصرية تسقط فى البحر فى منتصف المسافة بينها وبين بوارج الأسطول، ومع أن مدافع أرمسترنج المصرية كانت أقل عيارا من المدافع الانجليزية فإن رماتها قد أدوا واجبهم على أكمل وجه، بحيث إن سبع دوارع أصيبت بعطوب بعضها جسيم وبعضها خفيف، وكانت بوارج الأسطول تمرح فى رميها ومدافعها تطلق قنابلها على مرمى بعيد وتصيب بطاريات الشواطىء ولا تستهدف هى للخطر، وكل قنبلة منها يبلغ طولها مترا و٣٠ سنتى وزنتها ٤٨٠ رطلا وحشوها ٣٧٠ رطلا من البارود، وثمن الواحدة سبعون جنيها، وقد سقطت أولى هذه القنابل الهائلة فى طابية رأس التين دون أن تنفجر فاستوقف مشهدها نظر الجند والضباط، وقال ملازم ثان وهو يشاهدها: «أيها الاخوان تعالوا وانظروا مثلا من «إنسانية الانجليز!» قالها بلهجة تشف عن الذكاء الساخر، فضحك السامعون جميعا وواجهوا الضرب وهم باسمون».



«وكانت مهمة أسطول السير بوشان سيمور سهلة، إذ لم تستهدف بوارجه لخطر حقيقى، كما تدل على ذلك قلة عدد القتلى والجرحى، وكانت البوارج تتقدم نحو الضرب، مثنى مثنى، فى بطء وروعة، ثم تصطف فى هوادة تجاه كل طابية وتصب عليها قنابلها حتى تدكها دكا وعندئذ تقترب منها تدريجيا وتقف البطاريات والمدافع التى تكون قد

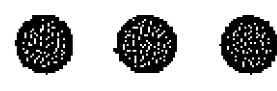
انقلبت عن موضعها تحت تأثير قنابل الأسطول، ثم تنثنى على الرماة فتحصدهم حصدا بنابل المتراليوزات المركبة على ساريات البوارج، يجب أن نعترف بأن هذه مجزرة همجية لا ضرورة لها ولم يكن لها أى مسوغ، وليس الباعث عليها سوى الشهوة الوحشية إلى القتل وسفك الدماء، ولقد كان بودى أن أسائل أولئك الضباط الذين كانوا يباشرون الضرب ويقذفون قنابل المتراليوزات، هل يستطيعون حينما يعودون إلى بلادهم ويجلسون حول موائد الشاى فى بيوتهم أن يتحدثوا إلى ذويهم عن آثار الفتك والتدمير التى خلفتها تلك المجازر البشرية؟ انى أشك فى ذلك، فليت شعرى أى اهانة لحقت الأمة البريطانية حتى تثأر لنفسها بهذه الفظائع».

«ومع ذلك فما كان أبدع هذا المنظر، منظر الرماة المصريين الذين كانوا قائمين على مدافعهم وهى مكشوفة فى العراء وكأنما هم فى استعراض حربى لا يرهبون الموت الذى يكتنفهم إذ لم يكن لهم دوارع



ضباط وجنود المدفعية في احدي قلاع الاسكندرية في يوليو ١٨٨٢

واقية ولا متاريس وكانت معظم الحصون بلا ساتر، ومع ذلك فهؤلاء الشجعان من أبناء النيل كنا نلمحهم وسط الدخان الكثيف كأنهم أرواح الأبطال الذين سقطوا فى حومة الوغى ثم بعثوا ليكافحوا العدو من جديد ويستهدفوا لنيران مدافعه، وكان الأئمة يزورون الحصون ويشجعون المقاومة، وقام الجميع بواجبهم من جند ورجال ونساء وصغار وكبار، ولم يكن ثمة أوسمة ولا مكافآت تستحث أولئك الفلاحين على أداء واجبهم، بل إن عاطفة الوطنية والثورة على الفظائع التى استهدفوا لها كانت تستثير الحماسة فى صدورهم وهم أولئك الشجعان المجهولون الذين لم يفكر أحد فى آلامهم».

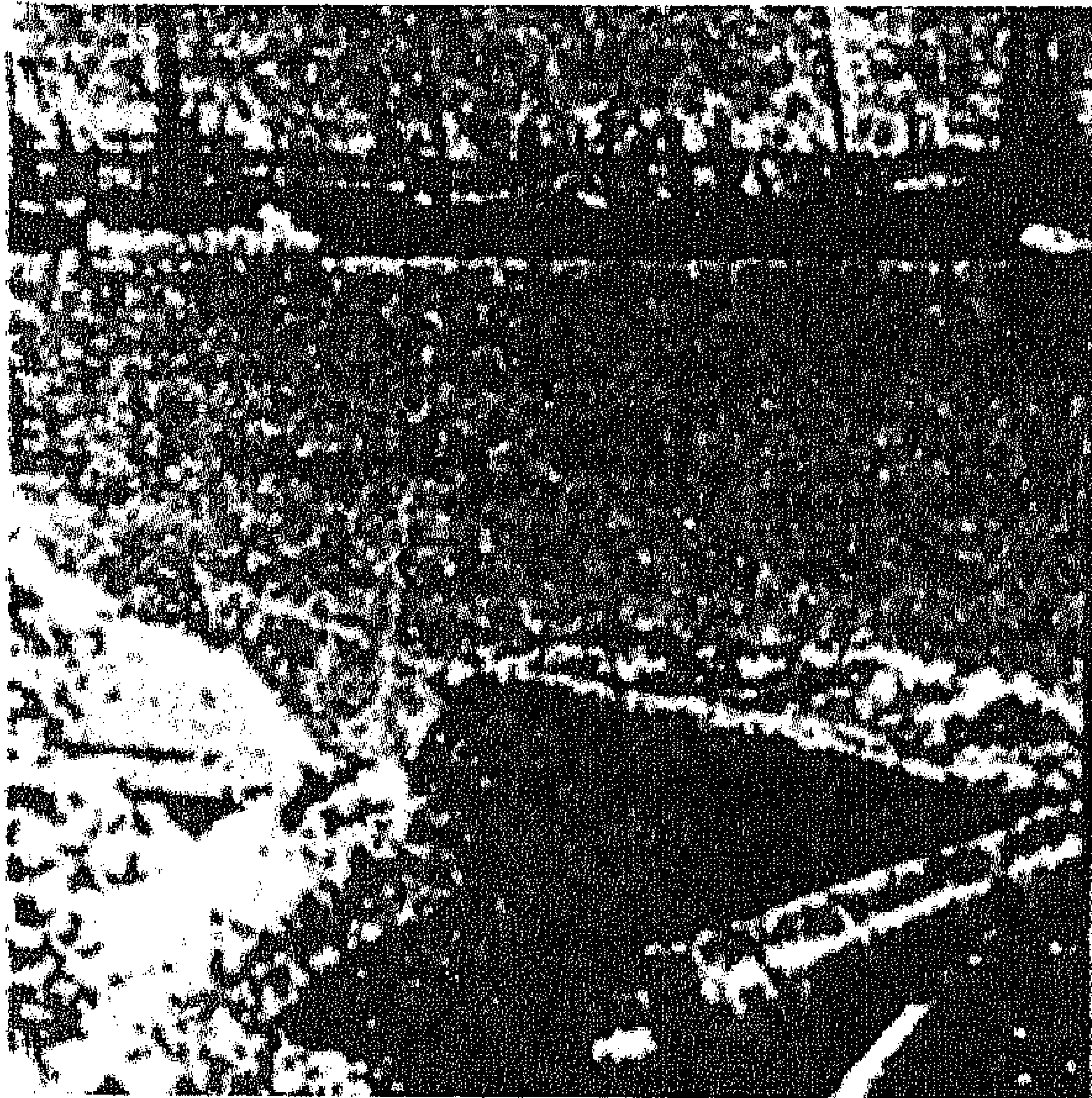


«وقد بدأت منذ الساعة العاشرة صباحا عملية نقل جثث القتلى، فظلت عربات النقل حتى الليل تحمل الجثث من الحصون وتخترق المدينة إلى شارع محطة الرمل، حيث المستشفى العسكرى، وهناك كانت تعاين ثم يؤمر بدفنها فى المقابر المجاورة للمستشفى بدون احتفال».

«أما الجرحى فكانوا أيضا ينقلون إلى المستشفى على عربات النقل، وقد كان مؤلما حقا مشهد تلك العربات تقل الواحدة عشرين أو ثلاثين قتيلا من الجنود أو الأهلين مشدودين بالحبال على ألواح من الخشب ممدودة فوق العربات، والدماء تقطر من أجسامهم، ومن بينهم بعض الأمهات محتضنات أبناءهن فى آخر رمق من الحياة، وجموع النساء يعدون خلف العربات صائحات نادبات، لاعنات من كانوا السبب فى هذه المجازر، ولقد كنت واقفا عند منعرج «الاجبسيان بار» ومرت أمامى عربتان تقلان جثث القتلى، وعندما لمحنى النساء هناك صاحوا مولولين واستنزلوا على اللعنات، إذ كانوا يلعنون كل إنجليزى وكل أوروبى ونادوا:

«تقتلون اخواننا وتأتون للفرجة على «جثثهم، اقتلوه! اقتلوه!»، وكاد يحاط بى لولا أن رآنى أحد رجال الضبط فعرفنى وانقذنى وعاد بى إلى دارى، وقد قل رجال الحفظ ولم أعد أرى أوروبياً واحداً فى الشوارع والطرقات فهذه الشوارع التى كانت فيما مضى عامرة بالناس زاخرة بالأعمال أصبحت وقد خيم عليها السكون الرهيب كأنما هى شوارع مدينة محقها الوباء».

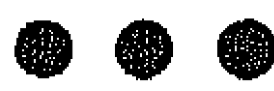
«وأقفلت الدكاكين والنوافذ والأبواب والبيوت فى المدينة كلها، وخيل إلى أننى فى بلدة قضى عليها بالخراب النهائى وكانت قنابل الأسطول الضخمة تنهال على المدينة وتخترق أحياءها فى كل جهة وتدور فوق رؤوسنا وهى تدوى دويها المفزع، فكانت تدمر المنازل فى ناحية وتشعل النيران فى ناحية أخرى، وترسل الموت فى كل مكان وقد مرت فوق رأسى خمس قذائف من «رسائل الإنسانية الغربية» على حد تعبير أحد الضباط، على سطح المنزل الذى كنت أقيم فيه تجاه حمامات «كارتونى» بالقرب من محطة الرمل، فاصابت إحداها مدرسة فدمرتها، وأصابت ثلاث أخرى بعض المنازل من قصور الأغنياء بالقرب من شارع باب شرقى فخربتها والخامسة قتلت أحد عشر شخصا وجوادين بأول شارع محرم بك، ولم يكن لهذه القذائف القتالة



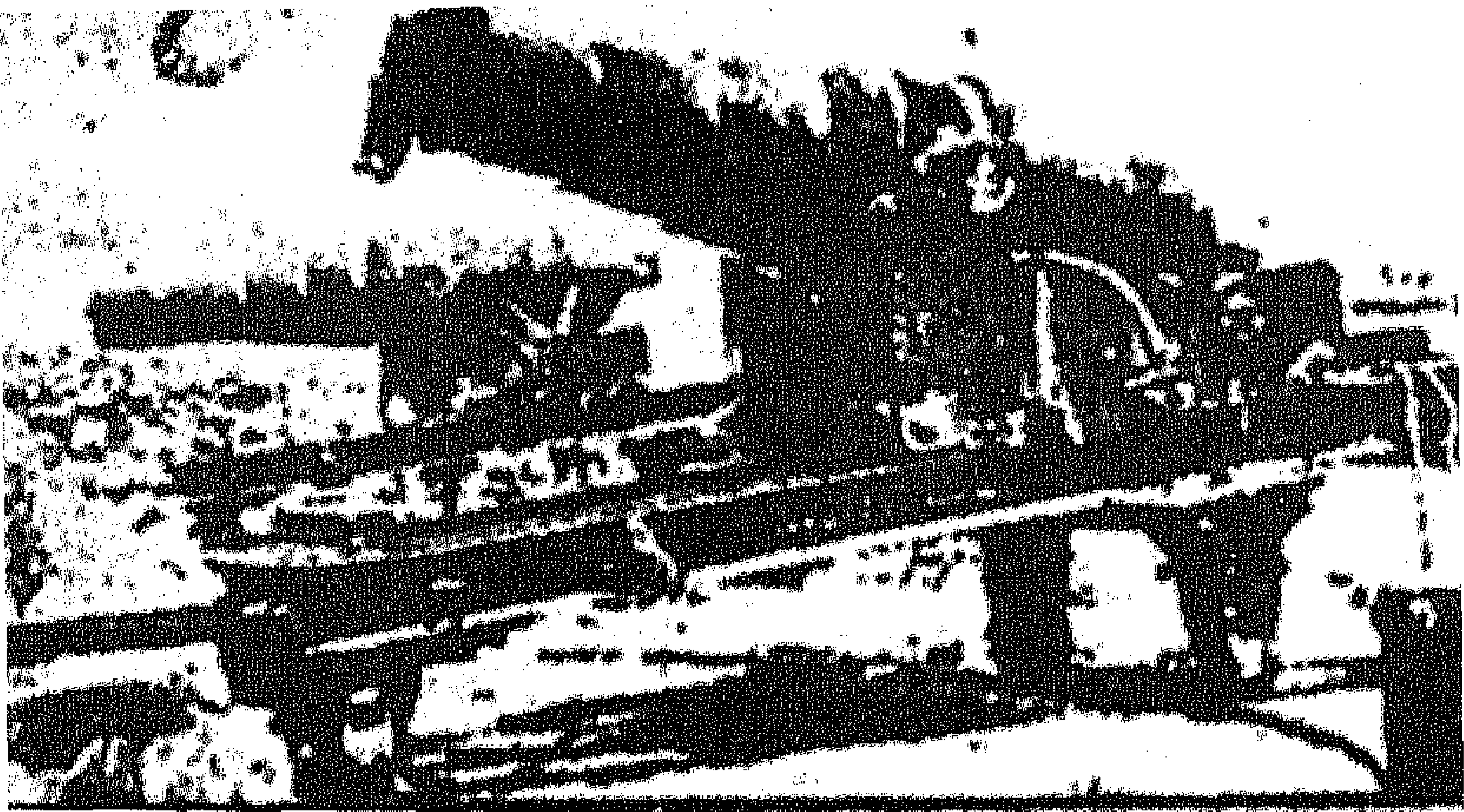
احدي قلاع الاسكندرية وقد دمرت .. ودمرت مدافعها .. ومن بعيد تبدو البواخر الإنجليزية .. في ١١ يوليو

التى أصابت قلب المدينة ما يقابلها من جانب المصريين فإن عرابى قد ارتأى منعا للدمار أن لا تشترك قلعتا كوم الناضورة وكوم الدكة في الضرب لوجودهما وسط المدينة».

«وقد أصابت ثلاث قنابل أخرى من حجم القنابل السابقة عدة منازل فى الحى المجاور لمسكنى، وأحدثت إحداها تشققا فى الواجهة الشمالية لوكالة «الدهان» التى كان يجرى بناؤها فى ذلك الحين أحدثت هذه القنابل كل هاتيك الآثار رغم أنها لم تنفجر، ولم تكن قذائف الإنجليز فى الجملة مصوبة بأحكام، وقد تحققت من ذلك فى إحدى اللحظات بأن أخذت منظارى بيدى ورأيت بعينى أن عدداً غير قليل من هذه القذائف التى كانت تدوى فى الجو لم تصب أى هدف، وكنت أرى تجاه نوافذ منزل على بعد ألف وثمانمائية متر على الأكثر طابية قايتباى «قلعة فاروس» قائمة فى أقصى حاجز الأمواج الأبيض بالميناء الشرقى، كانت هذه القلعة تبدو للناظر رائعة فى بنائها الضخم، بارزة فى البساط الأزرق للبحر الأبيض المتوسط بشكل يجتذب المشاعر، قائمة على صخرة تكتنفها أمواج البحر ومخاطره، يزينها مسجد بنى منذ سنة ١٤٥٠ ميلادية، تعلوه منارة جميلة هى تحفة من بدائع الفن العربى مزدانة بالنقوش العربية الجميلة التى يعرفها ويقدرها هواة الفنون، كانت هذه القلعة هدفا لضرب شديد استمر منذ شروق الشمس، فتهدمت بين الساعة الحادية عشرة والظهر ولم تكن مسلحة تسليحا كافيا وكانت مخابىء المدافع فيها مبنية بناء رديئا فأضرت بالدفاع عن القلعة».



«وكم كانت دهشتى حين رأيت فى نحو الساعة الرابعة مساء بارجتين شامختين من البوارج الإنجليزية ترابط غربى القلعة وتصب نيرانها من جديد على هذا البناء الذى تخرب معظم مدافعه وانقلبت على الأرض ولكن الإنجليز الذين كانوا يعملون على هدم طابية برج السلسلة وقلعة «كوم الدكة» مع أنهما لم يشتركا فى الدفاع، قد أرادوا على ما يظهر هدم هذا المسجد الجميل، على أن المصريين لم يسكتوا ازاء هذه الوحشية فاطلقوا بعض القذائف من مدفعين كانا لا يزالان قائمين فى الجهة الغربية الشمالية من القلعة، ولكن قذائفهم لم تجد شيئا إذ انهالت عليهم القنابل من البوارج الانجليزية، وقد أحصيت بنفسى اثنين وثلاثين قنبلة من هذه القذائف صوبت إلى هذا البناء الجميل الأعزل ولم تصب الهدف تماما، وكانت غالبية القذائف تصيب الصخور فتنسفها وتذريها فى الهواء ثم تنطلق فى الماء داخل الميناء الشرقى وتخرج ثانية فى دوى هائل فتثير فى الهواء عمودا من الماء كأنه اعصار بحرى لا يقل ارتفاعه عن ستين قدما، فما أشد روعة هذا المنظر،

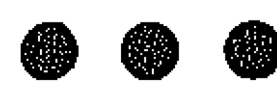


أحد مواقع حصون الاسكندرية في يوم ١١ يوليو ١٨٨٢

وأخيرا فى منتصف الساعة السادسة مساء تهدم هذا المسجد الصغير المسكين عن آخره ودفن تحت انقاضه أثنا عشر جنديا من الجرحى كانوا يأوون إليه».

«وقد شاهدت بمنظارى المكبر أولئك الجنود التعساء وهم يأوون إلى هذا المسجد ثم ماتوا لعدم امكان نقلهم إلى المستشفى العسكرى تجاه برج السلسلة إذا كانت قذائف المتراليوزات المعدة للاجهاز على الجرحى لا تنفك تنصب كالمطر وتمنع منذ الصباح كل اتصال بين القلعة والأرض اليابسة عن طريق الرصيف الضيق الذى يصلها بالمدينة».

«وبعد الظهر بقليل انفجر مخزن البارود فى قلعة الأطة، فسكتت مدافع هذه القلعة التى دافعت دفاعا مجيدا، وفى نحو الساعة السادسة مساء وقف الضرب من جانب الأسطول، وتبين أن الأميرال سيمور الذى تعهد بأن لا يضرب إلا القلاع قد تناسى عهده ونشر الموت والخراب فى كل أنحاء المدينة ورأيت الحرائق شبت فى عدة جهات دون أن يستطيع أحد اخمادها».



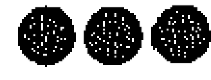
ويتحدث المؤرخ الكبير عبدالرحمن الرفعى عن تفانى الأهلين فى الدفاع عن المدينة، رغم أن الحرب كانت حرب مدافع وحصون وبوارج، فبذلوا كل ما فى استطاعتهم من تضحية وإقدام وينقل عن الشيخ محمد عبده قوله فى هذا الصدد: «فكان الرجال والنساء تحت مطر الكلل ونيران المدافع ينقلون الذخائر ويقدمونها إلى بعض بقايا الطوبجية الذين كانوا يضربونها، وكانوا يغنون بلعن الأميرال سيمور ومن أرسله وقال عرابى فى ذلك: «وفى أثناء القتال تطوع كثير من

الرجال والنساء فى خدمة المجاهدين ومساعدتهم فى تقديم الذخائر الحربية واعطائهم الماء وحمل الجرحى وتضميد جروحهم ونقلهم إلى المستشفيات».


محمود فهمي باشا

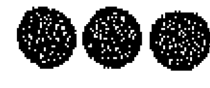
ويستشهد بما قاله محمود باشا فهمى فى كتاب «البحر الزاخر»:

«ورأيت فى ذلك الوقت بعينى ما حصل من غيرة الأهالى بجهة رأس التين وأم كبيبة وطوابى باب العرب وهمتهم فى مساعدة عساكر الطوبجية من جلبهم المهمات والذخائر وخراطيش البارود والمقذوفات هم ونساؤهم وأولادهم وبناتهم والبعض من الأهالى صار يعمر المدافع ويضربها على الأسطول».



استأنف الأسطول البريطانى ضرب الإسكندرية فى صباح يوم ١٢ يوليو ١٨٨٢ .. ووجه الأسطول قنابله إلى طابية قايتباى وطابية الاسبتالية.. فرفعت الأعلام البيضاء إعلانا عن طلب الهدنة فوقف الضرب وتوجه طلبه باشا عصمت إلى قائد الأسطول البريطانى محاولا إيقاف الضرب فطلب الأميرال البريطانى إنزال جنوده إلى البر واحتلال قلاع العجمى والدخيلة والمكس وإلا استأنف الضرب فى الثانية بعد الظهر ولم يتمكن طلبة باشا بعد ذلك من إبلاغه قرار مصر

بأنه لا يحق لها أن ترخص لجنود أجنبية بالنزول إلى البر.. واستأنف الأميرال سيمور الضرب فى نحو الساعة الرابعة مساء على قلعة المكس فرفعت الراية البيضاء فتوقف الضرب.



فى يوم الأربعاء ١٢ يوليو ١٨٨٢ شب حريق الإسكندرية بهدف منع الإنجليز من احتلال المدينة والاستقرار فيها.. ولكن هذا لم يحدث.. ونزل الجنود الإنجليز إلى البر فى صباح يوم الخميس ١٣ يوليو ١٨٨٢..

وكان العرابيون قد أدركوا فى يوم ١٢ يوليو أن الإنجليز لابد سيحتلون الإسكندرية، بعد أن دكوا قلاعها وحصونها، فاستقر رأى عرابى وصحبه على الانسحاب من الإسكندرية، فأخذ الجيش يخليها فى يوم ١٢ يوليو ١٨٨٢.. وغادرها عرابى مساء ذلك اليوم متوجها إلى جحر النواتيه حيث قضى ليلة هناك.. وفى الصباح فى يوم ١٣ يوليو توجه إلى عزبة خورشيد ثم كنج عثمان بالقرب من كفر الدوار واتخذها مقرا لقيادته، وبدأ محمود باشا فهمى ومحمد بك شكرى تخطيط استحكامات ما عرف بمعسكر كفر الدوار.. بينما أدرك الأميرال سيمور أن العرابيين قد انسحبوا فأنزل كتيبة من جنوده احتل بها سراى رأس التين وشبه جزيرة رأس التين.. وتوجه الخديوى إلى سراى رأس التين فى نفس اليوم فى الرابعة ظهرا.. فاستقبله الأميرال سيمور فى ساحة السراى ومعه جنوده.



ولكن من حرق الإسكندرية فى يوم ١٢ يوليو ١٨٨٢؟.. أجمعت

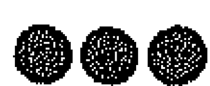
شهادات كل الشهود وكل المتهمين الذين استجوبوا فى محاكمات الثورة العرابية والتى نشرت كاملة فى أجزاء كتاب «مصر للمصريين» لسليم خليل نقاش أن سليمان سامى داود قائد الألاى السادس فى الإسكندرية هو الذى أمر جنوده بإضرام النار فى الإسكندرية لكى يحول الحريق دون نزول الإنجليز إليها واتخاذها قاعدة حربية لزحفهم.. ولكن ما حدث أن الانجليز نزلوا بالفعل إلى الاسكندرية فى يوم ١٣ يوليو ١٨٨٢ ولم يؤثر الحريق الذى أضرم المدينة فى اليوم السابق وجعلها شعلة من النيران حتى اليوم التالى، لم يؤثر فى منع الإنجليز من النزول إلى البر..

ويقول المؤرخ الكبير عبدالرحمن الرافعى: إن حريق الإسكندرية كان: «على غير رأى عرابى والوزراء، فأنفرد بأحداثه سليمان داود قائد الألاى السادس الذى كان مشهورا بالتهور والحمق، وكان يعتبر نفسه

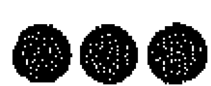


آثار التدمير فى مسجد ابراهيم بعد ضرب الاسكندرية

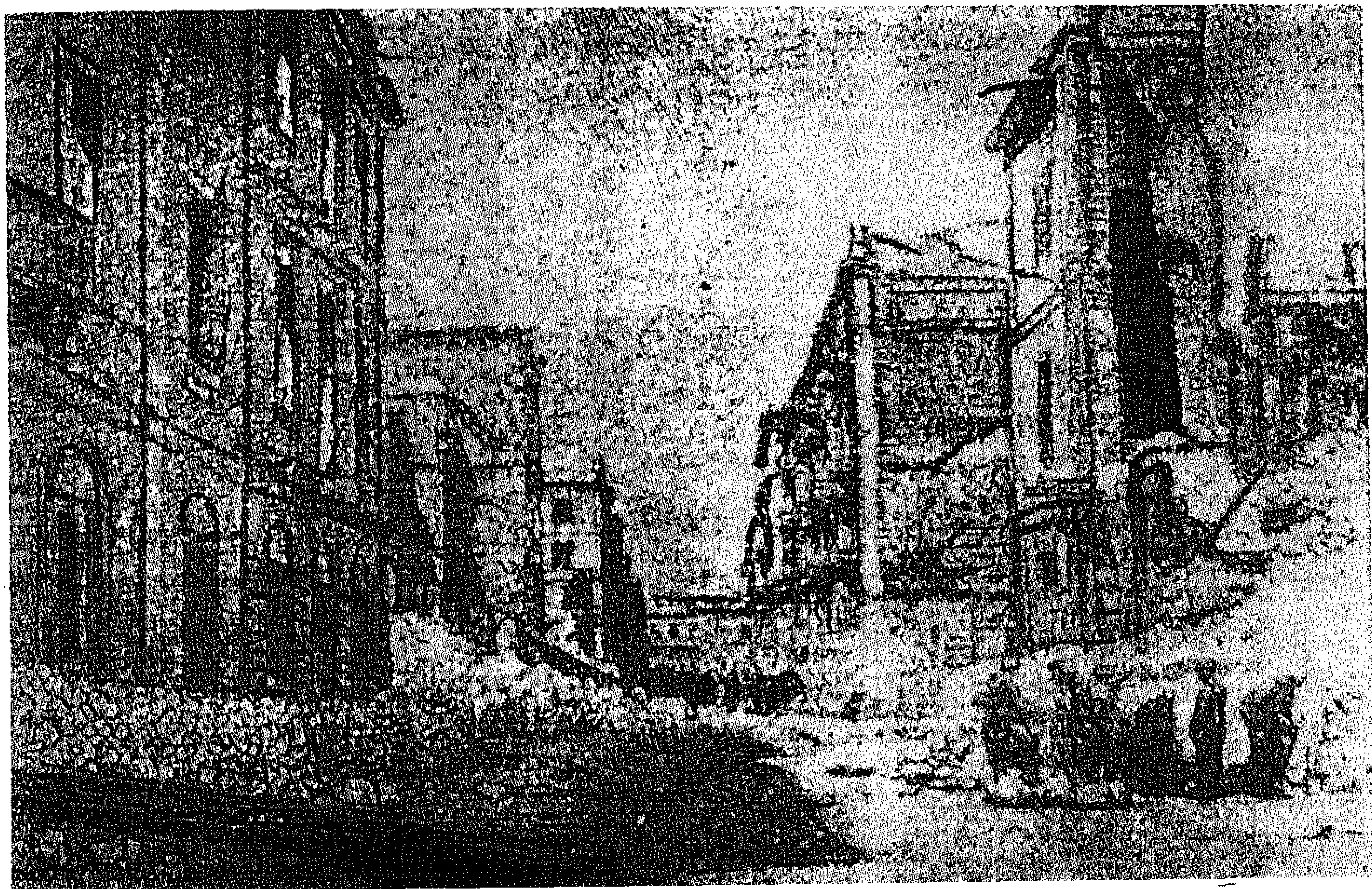
عـرابى آخـر بالإسـكندرية وقـد صـمم على ألا ينسـحب الجـيش من الإسكندرية إلا بعد أن يجعلها خرابا..» ويضيف عن الحـريق.. «الواقع أن عرابى لم يكن له دخل فيه.. ولما وقع لم يستطع أن يمنعه».



ولكن لا ينبغى أن نلصق تهمة حـريق الإسـكندرية بسليمان سامى داود وحده، فقد اشتـرك فى الحريق بعض الأوروبيين وبخاصة بعض الأروام والمالطيين، الذين مكثوا فى المدينة بعد هجـرة معظم الأوروبيين وكانوا يقصدون من ذلك كما يقول عبدالرحمن الرافعى «المطالبة بالتعويضات بعد انتهاء الحرب كما أنهم اشتركوا فى النهب».



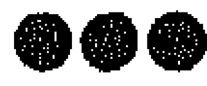
وفى كتابه «عـرابى باشـا» كتب جون نينيه عـميد الجالية السـويسـرية

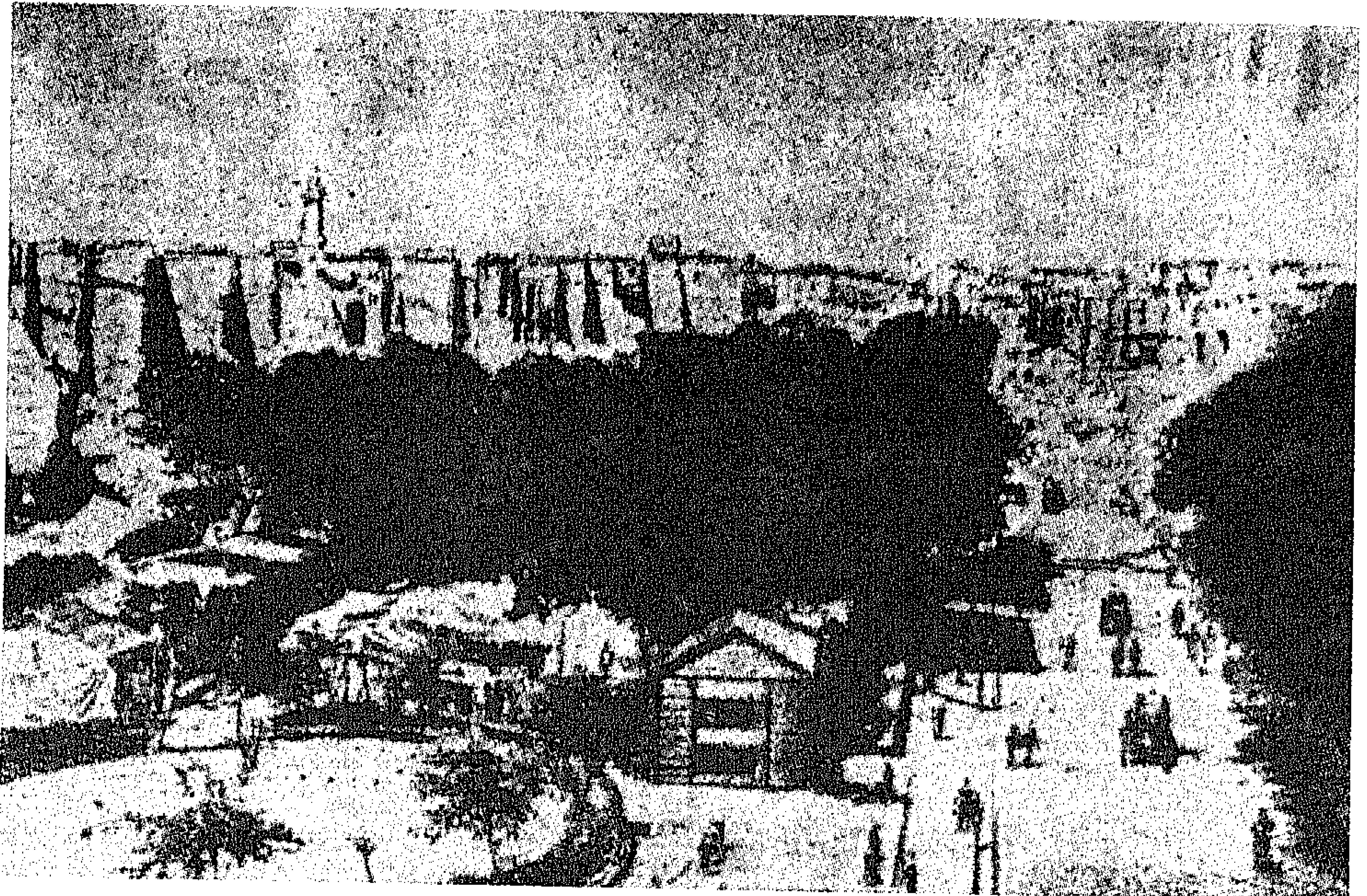


آثار التدمير في شارع سيزوستريس .. بعد الضرب في ١١ يوليو ١٨٨٢

فى الإسكندرية عن حريق الإسكندرية فى ١٢ يوليو ١٨٨٢ يقول:

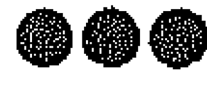
«إن الحرائق الأولى شبت فى الأحياء الأهلية من قنابل الأسطول الإنجليزى يوم الضرب ومن فعل بعض الأوروبيين الذين بقوا فى المدينة بقصد النهب وبعض الأشقياء الذين أطلق سراحهم من سجن البحرية «الترسانة»، أما فى الأحياء الأوروبية فهى من عمل عربان أولاد على الذين كانوا مجتمعين حول البلد يعاونهم بعض عساكر الرديف وبعض الأروام ثم بعض أصحاب الدكاكين من الأجانب ممن قصدوا الحصول على تعويضات، وقد ساعد على نشوب الحرائق إهمال الحكومة والخديو الذين غادروا المدينة دون أن يتخذوا أى احتياط لوقايتها من الحريق».





جانب من ميدان محمد عبده

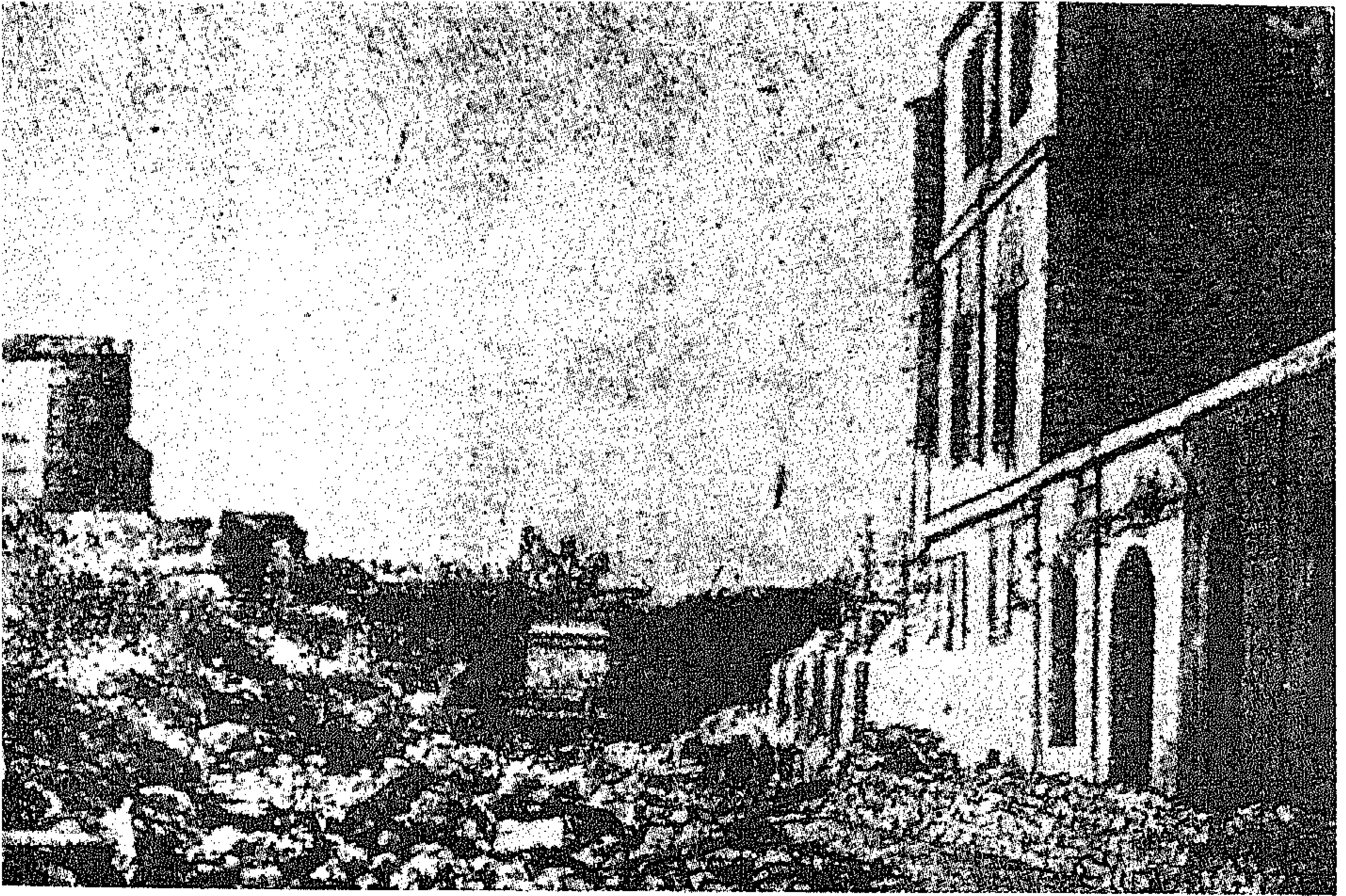
وأصبح جلياً للأهالى فى يوم مساء ١١ يوليو ١٨٨٢.. اليوم الأول لضرب الإسكندرية.. أن الموقف يمضى من سىء إلى أسوأ.. وأن القلاع قد دمرت وهزمت.. فقرروا الهجرة من الإسكندرية إلى داخل البلاد.. وتدافع الناس إلى محطة السكة الحديد فى مساء يوم ١١ يوليو.. وكانوا فى حالة رعب وفزع.. واستقلوا قطارات كانت قد أعدت لهم بالمجان.. باشرت نقلهم إلى المدن الواقعة على امتداد خط السكة الحديد.. واستمرت الهجرة فى الأيام التالية..



ويروى مأساة الهجرة من الإسكندرية كثيرون..

يقول المؤرخ الكبير عبدالرحمن الرافعى:

«فى يوم ١٢ يوليه وزع العرابيون منذ فجر ذلك اليوم رسلاً فى أحياء



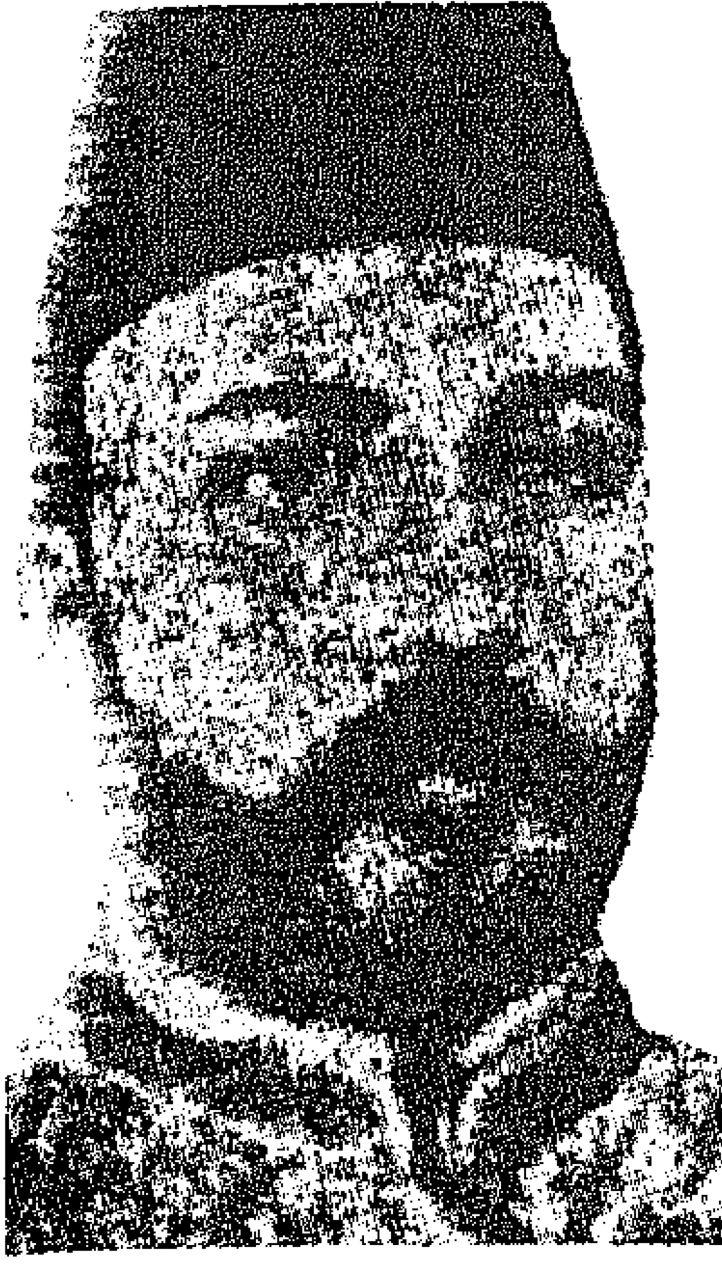
جانب آخر من ميدان محمد علي

المدينة يوعزون إلى الأهالى بالرحيل عنها على الفور، وكان العرابيون قد استقر عزمهم على الإنسحاب من المدينة، واعتزم سليمان داود اضرام النار فيها، فرأوا أن يجلو الأهالى عنها فى ذلك اليوم، وحرض سليمان سامى داود جنوده على نهب ما تصل إليه أيديهم قبل الإنسحاب، فاجتمعت أهوال الحريق إلى فظائع النهب وفجائع الهجرة، فكان ذلك اليوم وما تلاه مما تشيب له الولدان».

«وبلغ عدد المهاجرين من الأهلين ١٥٠ ألفاً، هاموا على وجوههم، إذ كانوا يخرجون من أبواب المدينة لا يدرون إلى أين يذهبون، فمنهم من قصدوا إلى العاصمة ومنهم من ساروا مشياً على جسر ترعة المحمودية ومنهم من قصدوا إلى جهة إدكو، ومنهم من كان كثير العيال فمكثوا على جسر المحمودية أو فى الملاحة، أما المرضى والحوامل الذين لا يستطيعون السير فقد تركهم أقاربهم بالإسكندرية، فمات كثير منهم لعدم وجدانهم من يعتنى بهم، وتفرق المهاجرون فى البنادر والأرياف والقرى، وذهبت أفواج منهم إلى العاصمة، فى حالة تفتت الأكباد، ومنهم كثير من الضعفاء والأيامى والأطفال».



قوات الانجليز تنزل الاسكندرية .. بعد ضربها في ١١يوليو ١٨٨٢


الخديو توفيق

ووصف جون نينيه جموع المهاجرين فى طريق كفر الدوار وهم فى حالة بؤس شديد وكانوا يلعنون توفيق وعرابى والإنجليز.

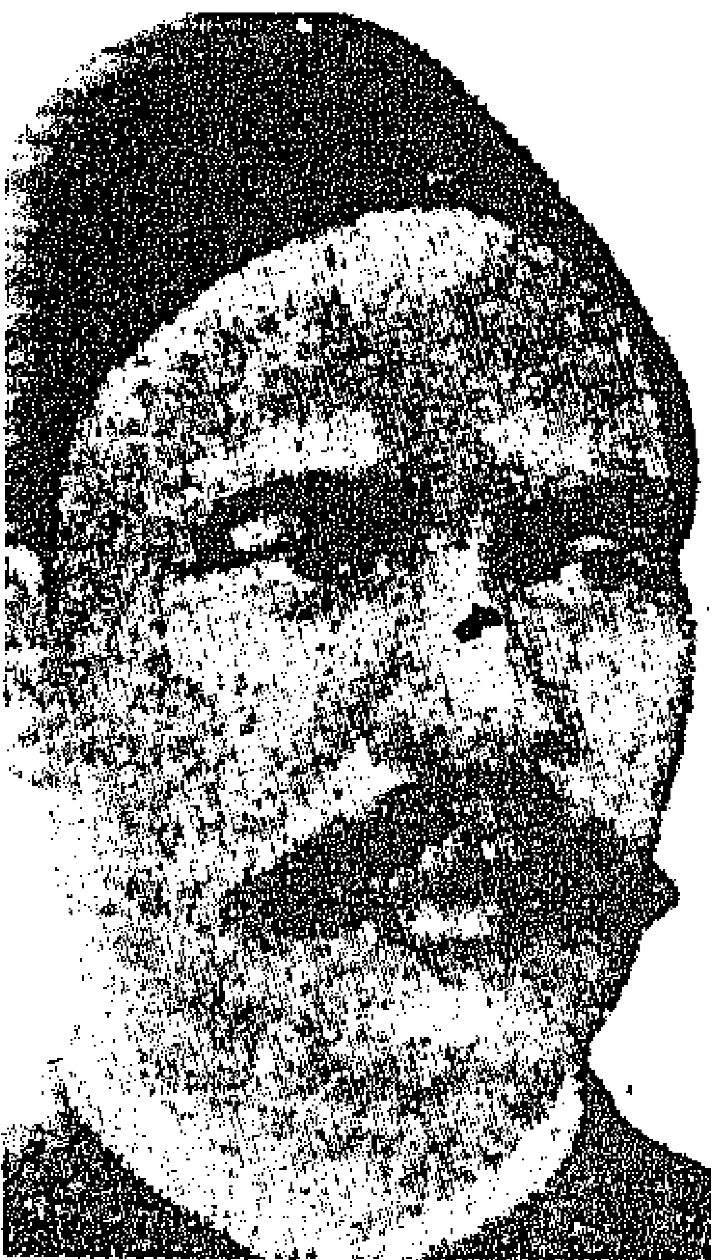
أما الإمام الشيخ محمد عبده فقد وصف فجائع الهجرة وصفاً موثراً قال فيه:

«نحو مائة وخمسين ألفاً من السكان مجردين من كل شىء، أخذوا فى الحركة لغير قصد ولا لمأوى، الموت والفزع ملء نفوسهم على شطوط المحمودية إلى دمنهور وجسر السكة الحديد من دمنهور إلى القاهرة».


الاميرال سيمور

«كانت المهاجرة تكون خطوطاً سوداء، تارة عريضة، وأخرى رقيقة، متحركة فى كل جهة، أشبه بسلسلة إنسانية طويلة، هنا ينزلون وهناك يمشون ببطء، لا وقاية ولا عيش، على طرفى تضاد مع سماء صافية وأرض خضراء نضرة».

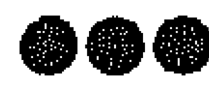
وأضاف الإمام الشيخ محمد عبده:


احمد عرابي

«أما الهاربون فكانوا كالأعاصير أو كماء انكسر سده فاندلق، يتصل بعضهم ببعض مزدحمين متراكمين فى حالة عقلية أشبه بالجنون، سائقين أمامهم أو حاملين على ظهورهم، ما خف حمله من أمتعتهم: حيوان، أثاث ضئيل، ثياب رثة، حتى بعض المفروشات التى لا قيمة لها».

«فى هذه الحالة ـ حالة شعب طرد من بيته ـ كان الحر شديداً، وغيم من الغبار سد الأفق، وأظلم الجو، نساء يبحثن عن أولادهن، يتشاجرن بعضهم مع بعض، يتضاربن، فى أخلاط لا يمكن التعبير عنه، عربات بلا عجل استعملت مساكن، عربات من كل نوع بعضها ساقط فى المحمودية، بعضها مقلوب، بعضها بخيل، بعضها بغير خيل، روائح شى اللحم، صياح على المارة: الخبز!الخبز!»

«وقد آوت الحكومة المهاجرين، وخصصت لسكناهم مدرسة المبتديان بالناصرية، ورتبت لهم ما يحتاجون إليه من المأكل والملبس، وتحركت عواطف الإنسانية والحمية الوطنية فى نفوس الخيرين فى العاصمة والأقاليم، فأكرموا وفادة المهاجرين، وآووهم فى دورهم وواسوهم وأنزلوهم منازل الرحب والسعة، وتبرع لهم أهل البر فى مختلف الجهات بما جادت به نفوسهم، فخففوا عنهم مصائب الهجرة قدر ما يستطيعون».



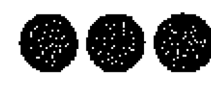
انحاز الخديو محمد توفيق إلى الإنجليز تماما.. ووضح هذا منذ عاد إلى قصر رأس التين بعد ظهر يوم ١٣ يوليو.. أى بعد أن إحتل الإنجليز القصر وجزيرة رأس التين.. واستقبله الأميرال سيمور وجنده.. أما عرابى فقد انسحب كما أوضحنا وأقام خط دفاع كفر الدوار لمواجهة الإنجليز عند زحفهم داخل البلاد.. وأما الإنجليز فقد استقروا فى الإسكندرية فى انتظار المدد من انجلترا.. وشرعوا فى تنظيم الإحتلال.. والخديو يساندهم..

وسجل منشورهم الأول الذى علق فى شوارع الإسكندرية فى يوم ١٧

يوليو ١٨٨٢ أنهم مخولون من جانب الخديوى بحفظ الأمن..

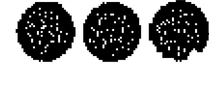
وبطلب من سيمور بعث راغب باشا رئيس مجلس الوزراء بخطاب إليه يعلمه فيه بمخالفه عرابى لأوامر الخديوى وعزم الخديو على عزله.. وفى نفس اليوم بعث الخديو ببرقية إلى عرابى يأمره بالكف عن الاستعدادات الحربية وحمله مسئولية ضرب الإسكندرية.. ويدافع كذلك عن الإنجليز ويقول إن الدولة الإنجليزية ليست محاربة مع الحكومة الخديوية.. ويستدعى عرابى إلى سراى رأس التين لتلقى تعليماته.

ورد عرابى على الخديو ببرقية يعتذر فيها عن الحضور طبقا لطلب الخديو لأن الإسكندرية أصبحت تحت إحتلال الإنجليز ويذكر الخديو بالأسباب التى تجعل حكومة الخديو فى حالة حرب مع الإنجليز ويدعوه إلى إرسال رئيس الوزراء إلى مركز الجيش للمداولة فى الأمر.



أصبح من المحقق إذن انحياز الخديو إلى جانب الإنجليز.. فأخذ عرابى يحتاط ضد التصرفات المتوقعة من الخديو التى يمكن أن تؤثر على استعداداته الحربية.. فبعث إلى جميع المديريات والمحافظات ببرقيات يتهم فيها الخديو بالانضمام إلى معسكر الأعداء ويحذر الجميع من إطاعة أوامره التى تخالف حالة الحرب.. كما بعث يعقوب سامى باشا وكيل وزارة الحربية من القاهرة فى يوم ١٧ يوليو ١٨٨٢ إلى جميع حكام البلاد يؤكد فيها خيانة الخديو للبلاد ويدعو إلى عقد جمعية عمومية من الأعيان والعلماء لتقرر ما يجب عمله لمواجهة خيانة الخديو بما يعنى بعبارة أخرى دعوة إلى خلعه.. وأذاع عرابى منشورا

آخر إلى كل المديريات ودواوين الحكومة يعلم الجميع بانضمام الخديو إلى جانب الإنجليز ويدعو إلى خلع طاعته.. كما بعث بخطاب آخر إلى يعقوب سامى يعلمه فيه بما ثبت لديه من إرسال الخديو أحد ضباطه ليدل الإنجليز على استحكامات سد أبو قير.




يعقوب سامي

فى نفس اليوم، ١٧ يوليو ١٨٨٢ نجح يعقوب سامى باشا وكيل وزارة الحربية فى القاهرة فى عقد مجلس من وكلاء الوزارات وبعض كبار الضباط لتدارس الموقف، وقرر هذا المجلس دعوة العلماء والأعيان والرؤساء الروحانيين والوجهاء وكبار موظفى الحكومة إلى إجتماع يعقد مساء اليوم نفسه فى ديوان وزارة الداخلية على هيئة جمعية عمومية أو مجلس العموم كما أسموه لتدارس الموقف واتخاذ القرارات اللازمة نيابة عن الأمة.. وعقد الاجتماع بالفعل وحضره نحو أربعمائه عضو كان من بينهم الأمير إبراهيم باشا ابن الأمير أحمد باشا والأمير كامل باشا فاضل ابن الأمير مصطفى فاضل والأمير أحمد باشا كمال ابن الأمير أحمد باشا والشيخ محمد الانبابى شيخ الجامع الأزهر كما حضر الاجتماع قاضى قضاة مصر ومفتى الديار المصرية وكبار العلماء والرؤساء الروحانيون والنواب ووكلاء الدواوين والمديرون والقضاة والتجار والأعيان، وتدارس المجتمعون الموقف واتخذوا ثلاثة قرارات أولها الاستمرار فى الاستعدادات الحربية ما دامت عساكر الإنجليز فى مدينة الإسكندرية ومراكبها فى مياهها.. وثانيها استدعاء النظار إلى

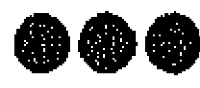
القاهرة للاستعلام منهم عن حقيقة ما حدث قبل الحرب وبعده ليتمكن المجلس من اتخاذ قراره فيما بعد.. وثالثها تعيين لجنة تضم ٦ مندوبين من المجلس للسفر إلى الإسكندرية ويبلغوا النظار قراراتهم ثم يدعونهم للحضور إلى القاهرة.





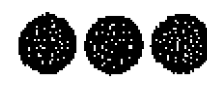
علي مبارك باشا

سافرت اللجنة إلى الإسكندرية وضمت فى عضويتها على مبارك باشا ومحمد رؤوف باشا وأحمد بك السيوفى وسعيد بك الشماخى والشيخ على نايل والشيخ أحمد كيوه.. وبدأت اللجنة عملها بالتوجه إلى معسكر الجيش فى كفر الدوار حيث التقت بأحمد عرابى وضباطه ثم سافرت إلى الإسكندرية فاجتمعوا بالخديو توفيق والنظار صباح يوم ٢٣ يوليو ١٨٨٢ وعادت اللجنة إلى القاهرة ما عدا على باشا مبارك وأحمد بك السيوفى فقد بقيا فى الإسكندرية.

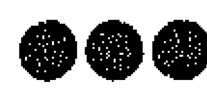


تولى المجلس العرفى إدارة الحكومة والمحافظة على الأمن والنظام واتخاذ التدابير العسكرية والتحضيرات العسكرية للدفاع عن الوطن، وكان يعقد اجتماعاته يوميا بوزارة الحربية ويرأسه يعقوب باشا سامى وكيل وزارة الحربية.. وقد أحيط المجلس علمابما وصلت إليه اللجنة التى أوفدها إلى الإسكندرية والتى تبينت أن الخديو أصبح أسيرا لدى الإنجليز ولا يستطيع العودة إلى القاهرة.

اتخـذ المجلس العـرفى عـدة قـرارات هـامـة بينهـا منع المراسـلات التلغـرافيـة الشـفـرية مـن مصـر إلى الخـارج والعكس، ووقـف مـا لا يكون واضحاً وصريحاً.. كما فرض الرقابة على الصحف ومنع السفر خارج مصر وأصدر عدة تعيينات فى المناصب الإدارية ووجه عنايته إلى حفظ الجسور لمواجهة فيضان النيل.. واضطلع بأعباء الحكم بكفاءة وهمة فى الظروف الصعبة التى كانت تمر بالبلاد.

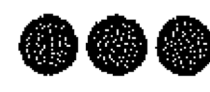


وقـرر الخـديو فى ٢٠ يوليـو ١٨٨٢ عـزل عـرابى من وزارة الحـربيـة وتعيين عمر لطفى باشا محافظ الإسكندرية وزيراً للحربية لما أسماء بمخالفة عرابى لأوامره واستمراره فى الاستعدادات الحربية.. وأذاع منشوراً علق فى شوارع الإسكندرية بأسباب العزل وأكد فيه أن «نية الإنجليز والفرنسيين ليست نية استيلاء بل نيه إصلاح» وحذر من الانضمام إلى عرابى، كما أذاع منشوراً آخر إلى كل أهالى مصر دعاهم إلى «الانضمام تحت لوائه ومناصرة الجيش الإنجليزى والامتناع عن معاونة العرابيين».. وهكذا أكد الخديو بما لا يقبل أى شك خيانته لمصر واستسلامه تماماً للإنجليز.


وحاول على باشا مبارك إصلاح ذات البين بين الخديو وعرابى من خلال لجنة من الجند يعينها عرابى ولجنة مؤلفة من على باشا مبارك وبعض الذوات للنظر فى الأحوال «والوصول إلى نتيجة ترضى الجميع».. ولكن عرابى رفض اقتراحه وأرسل منشورا إلى المديريات والدواوين يعلن فيه للجميع انضمام الخديو إلى جانب الإنجليز وخلع طاعته..

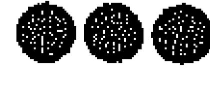
واستمر عرابى فى معسكره فى كفر الدوار يواصل استعداداته لصد الإنجليز.. وبعث إلى يعقوب سامى باشا يطلب منه عقد الجمعية العمومية للنظر فى أمر العزل، فاجتمعت فى ٢٢ يوليو ١٨٨٢ بعد اجتماعها الأول فى ١٧ يوليو ١٨٨٢ وحضرها نحو خمسمائة عضو بزيادة نحو مائة عضو عن المرة الأولى.. وفى هذه الجمعية اتفقت آراء الجميع على عدم قبول عزل عرابى ووقف أوامر الخديو ونظاره وعدم تنفيذها، واتهمت الخديو بأنه خرج عن الشرع الشريف والقانون المنيف.. وطلبت عرض قرارها هذا «على الأعتاب الشاهانية بواسطة وكلاء الوزارات».. ولم يؤثر قرار الخديو بعزل توفيق.. ولم تقبله الأمة أو تعترف به.. بل انضمت إلى جانب عرابى.. وأدانت بقاء الخديو فى الإسكندرية بعد احتلالها وتأييده للإنجليز.. وفقد الخديوى كل تأييد أو عطف.. وانصرف تأييد الأمة وعطفها إلى عرابى.. وأطلق عليه حامى حمى الديار المصرية.



هكذا احتل الإنجليز الإسكندرية للمرة الثالثة.. وبدأوا يعيدون العدة لاحتلال باقى البلاد.. وأخذ عرابى يعد العدة أيضاً للدفاع.. والتفاصيل بعد ذلك كثيرة.. ولكن النتيجة.. أن المقاومة لم تفلح فى صد الإنجليز.. وان الخيانة وسوء التقدير.. وعدم القدرة على حشد الإمكانات وغياب النظرة العسكرية السليمة.. والاستكانة إلى وعود دلسبس بحياد قناة السويس، وعدم سدها.. والانقسام بين معسكر عرابى ومعسكر الخديو.. وانحياز الخديو إلى الإنجليز وتأييده ودعمه لهم.. كل هذه عوامل أدت إلى ما تحقق من فشل فى صد الإنجليز.. وبالتالى وصولهم إلى القاهرة فى ١٥ سبتمبر ١٨٨٢، حيث أرسل الجنرال وولسلى قائد قوات الاحتلال الإنجليزية برقية إلى وزارة



الحربيـة الإنجليـزية يقـول فيهـا : «انـتهت الحـرب.. لا ترسلوا مـددا إلى مصـر».



انتهت الحـرب واسـتـسلم عـرابى ورفـاقـه فى طريقـهم إلى المحـاكـمة والنفـى والسـجن والإعدام.. وعـاد الخـديو إلى القـاهـرة يوم الاثنين ٢٥ سـبـتمـبـر ١٨٨٢ ليسـتقـبلـه فى مـحطة السـكة الحـديـدة الجـنرال وولسلى قـائد الجـيش البـريطـانى والدوق أوف كنـوت ابن الملكة فيكتوريا والسـيـر ادوارد مـالت المعتمد البـريطـانى.. ويستقل الثـلاثة معه العـربة التى أقلته إلى سـراى الإسـمـاعـيليـة وسط الجـنـود الإنجليـز التـى اصطفت على جـانبى الطـريق حـتى القـصـر.. بداية صـفـحـات سـوداء فى التـاريخ المصـرى.. ولكن معهـا لم تلبث صـفـحات أخـرى أن بدأت.. صـفـحـات من كفاح الشعب المصـرى لـم يهدأ فيهـا نضـالـه.. ولم تتوقـف فيـهـا تضحياتـه.. ولم تـخـمـد فيـهـا انتفـاضـاتـه وثوراتـه. حـتى خـرج الإنجليـز من مصـر بعـد ٧٥ عـامـاً.. فـى ١٣ يونيو ١٩٥٦.

«صـلاح عطية»

الجزء الثاني

صفحات من «تراث الجمهورية»

الفصل الأول: قصة الحرية (١)

الفصل الثانى: قصة الحرية (٢)

الفصل الثالث: مؤامرة الخدوى لتحطيم جبهة الضباط المصريين

الفصل الرابع: مذكرات قائد العمليات الحربية فى جيش عرابى (١)

الفصل الخامس: مذكرات قائد العمليات الحربية فى جيش عرابى (٢)

الفصل السادس: مذكرات قائد العمليات الحربية فى جيش عرابى (٣)

الفصل السابع: الشيخ الإمام محمد عبده يصف حريق الاسكندرية

الفصل الثامن: مذبحة ١١ يوليو عام ١٨٨٢

الفصل التاسع: وهؤلاء شهدوا المذبحة

الفصل الأول

قصة الحرية.. (١)

عندما غنى عبده الحامولى فبكى الخديو.. وضحك الشعب

«تقديم»

قصة الحرية



جمال الدين الأفغاني

عندما غنى عبده الحامولى فبكى الخديو وضحك الشعب

... سوى ايام قليلة .. ثم يجلو آخر جندى بريطانى عن .. مصر ... وستبدأ فى كتابة تاريخها .. بنفسها .. ... وهذه القصة التى ستقرأها هى صورة صادقة ... كفاح الشعبى ضد الاستعمار وتعبير صحيح ناطق عن الوعى ... الذى نشأ وترعرع فوجد امامه ملكية أجنبية واقطاعية فاسدة مستهترة ... فصمد الشعب فى ... وقف يناضل فى الميدان أكثر من سبعين عاما .. ثم .. فى النهاية .. وكان انتصاره عظيما .. لم ينس خلاله ما أريق ... بنائه .. وما أزهق من أرواحهم فى ... اليوم ... يوم النصر .

... نتقدم اليوم وبأيدينا كتاب الحرية ، ... دماؤهم ، نتقدم به اليهم ونحن أقوياء ... به مظاهر القوة المكافحة ولنسئلهم ... معانى التماسك الشعبى ..

كانت مصر تعيش أياما تاريخية.. وهى تترقب أن يخرج جيش الإحتلال الإنجليزى من مصر فى يونيو ١٩٥٦.. وتحقيق حلم الجلاء بعد احتلال دام نحو ٧٥ عاما، كان جيش الإحتلال فيها يجثم على أراضيها ويتحكم فى إراداتها ومصيرها.. كان الجميع ينتظرون تحقيق الحلم الذى كافح الأجداد والآباء والأبناء من أجل تحقيقه.. وروت دماء الشهداء منهم طريق الكفاح الطويل..

كان الموعد قد تحدد.. فى ١٨ يونيو ١٩٥٦.. ولكن الاستعمار أراد أن يهرب ليلا.. قبل موعده.. حتى لا يعيش لحظات الشماتة فيه.. فخرج قبل موعده.. بل تسللت فلوله راحلة فى الساعات الأولى من فجر يوم ١٣ يونيو ١٩٥٦.. ومن الغريب أن يتوافق هذا اليوم مع ذكرى حادثة دنشواى فى ١٣ يونيو ١٩٠٦ التى كانت علامة فارقة فى تاريخ النضال المصرى ضد الإحتلال الإنجليزى.. خرجوا بعد خمسين عاما من هذا الحادث الذى شهد تسلط المستعمر وعدوانه على شعب مارس حقه فى الدفاع عن نفسه وأرضه وماله.

ومع اقتراب الأيام من موعد الجلاء.. كانت صفحات «الجمهورية» فى تلك الأيام منذ عام ١٩٥٦ مليئة بصور من كفاح شعب مصر على

مر التاريخ.. هذا الكفاح الذى لم يتوقف.. ولم يضعف.

وكانت «قصة الحرية» واحدة من هذا الصور التى نقلتها «الجمهورية» على صفحاتها تتابع فيها ثورات الشعب المصرى المتواصلة عبر تاريخه المضىء دائما بحروف من نور.. تناولت فيها ثورة الشعب فى الإسكندرية على جحافل المماليك الذين جاءوها لنهب المتاجر وسلب أقوات الشعب.. ثم ثورة أخرى فى قلب القاهرة أرغمت المماليك على التوقف عن سلب أقوات الشعب بعد أن قاموا بغارتهم على بلبيس» .. ثم ثورة القاهرة مرتين على «الحملة الفرنسية».. وعزل الشعب للوالى التركى وتولية محمد على.. ثم هزيمة أهالى رشيد للحملة الإنجليزية بقيادة فريزر فى عام ١٨٠٧.. ويستمر الكفاح مع خلفاء محمد على بعد وفاته.. مع عباس.. واسماعيل.. حتى توفيق.. وقصة الحرية متصلة.. فى فصل آخر من هذا الكتاب.

«قصة الحرية: عندما غنى عبده الحامولى.. فبكى الخديو. وضحك الشعب».. هو الفصل الأول فى هذا الكتاب.. وقد نشرته «الجمهورية» فى يوم ٢٢ مايو ١٩٥٦.. ونتابعه معا على الصفحات التالية.

طائرة روسية لعبد الناصر

السفير الروسي يسلم الرئيس الطائرة المهداة إليه اليوم

الجمهورية

١٢ صفحة

١٠ مليمات

AL GOUMHOURIA 22 MAY 1956

صحف بريطانيا تحذر حكومتها من نفوذ عبد الناصر في عدن

تطورات خطيرة في عدن

صحف بريطانيا تحذر حكومتها من نفوذ عبد الناصر

وإن عدن ستكون أمر مذاقا من قبرص

... عدن و المحميات ، بثورة عنيفة على الاستعمار ... وأبواق الدعاية الانجليزية تختلق المزاعم عن عبور ... من رجال القبائل حدود المملكة السعودية ... تنذر بأن عدن ستكون « أمر مذاقا وأصلب عودا من ... » وتحذر حكومة لندن من نفوذ الرئيس جمال عبد الناصر ... وتقول إنها لن تترك الفرصة للرئيس المصري لكي ... المصالح الاستعمارية في جنوب شبه الجزيرة العربية ..

عدن في ٢١ – وكالات الأنباء – قالت المصادر البريطانية اليوم أن الطائرات النفاثة البريطانية انقضت على جماعة من رجال القبائل وهم يعبرون حدود عدن من ناحية المملكة العربية السعودية لـ ... سيارات نقل ...

مصرع ١٠٣

من الجنود الفرنسيين والخونة في الجزائر

السفير التركي يقدم إيضاحات حكومته لخطاب مندريس

السفير المصري في تركيا يعود إلى القاهرة

الجيز بالآلة بدلا من الرغيف

وصول أنور السادات إلى القاهرة

بلاغ مشترك

الكتلة الشرقية لن تبيع أسلحة لإسرائيل

روسيا تهدي طائرة خاصة للرئيس

ميادين جديدة للتبادل التجاري بين مصر وأمريكا الجنوبية

دورة استثنائية للبرلمان السوري لبحث الاعتراف بالصين الشعبية

استقالة وزير الدولة السوري

لجنة مقاطعة فرنسا

مكاريوس يضرب عن الطعام

الصفحة الأولى من «الجمهورية» في يوم ٢٢ مايو ١٩٥٦

ثورة مصر

الأرض

شهيدات!

قصة الحرية

لم يبق سوى ايام قليله .. ثم يجلو اخر جندى بريطانى عن ارض مصر ..

سيتحرر مصر ... وستبدأ فى كتابة تاريخها .. بنفسها، وبايدى ابنائها ، وهذه القصة التى ستقراها هى صورة صادقة لانتصار الكفاح الشعبي ضد الاستعمار وتعبير صحيح ناطق عن الوعى القومي المصرى الذى نشأ وترعرع فوجد امامه ملكية اجنبية مستبدة والاعيب فاسدة مسعوره ... فصمد الشعب فى المعركة ووقف يناضل فى الميدان أكثر من سبعين عاما .. ثم .. تم انتصر فى النهايه .. وكان انتصاره عظيما ، لم ينس خلاله ما اريق من دماء ابنائه .. وما ازهق من ارواحهم فى سبيل ذلك اليوم ... يوم النصر .

الى هؤلاء نتقدم اليوم وبايدينا كتاب الحرية ، الذى سطره هؤلاء ، نتقدم به اليهم ونحن أقوياء .. لنتجدد به مظاهر القوة المكافحة ولنستلهم من هذه القوة معانى التماسك الشعبي ..

عندما غنى عبده الحامولى بكى الخديوى وضحك الشعب

جمال الدين الافغاني

الجلاء يحقق عزة كاملة وكرامة كاملة وهو اول الطريق نحو مصر القاهرة

جمال عبد الناصر

احمد عرابي

الشيخ عبد الله الشرقاوي

الصفحة الخامسة من «الجمهورية» فى يوم ٢٢ مايو ١٩٥٦

قصة الحرية.. (١)

لم يبق سوى أيام قليلة.. ثم يجلو آخر جندى بريطانى عن أرض مصر.. *

ستتحرر مصر.. وستبدأ فى كتابة تاريخها.. بنفسها.. وبأيدى أبنائها، وهذه القصة التى ستقرأها هى صورة صادقة لانتصار الكفاح الشعبى ضد الإستعمار.. وتعبير صحيح ناطق عن الوعى القومى المصرى الذى نشأ وترعرع فوجد أمامه ملكية أجنبية معربدة وإقطاعية فاسدة مستهترة.. فصمد الشعب فى المعركة، ووقف يناضل فى الميدان أكثر من سبعين عاماً.. ثم .. ثم انتصر فى النهاية.. وكان انتصاره عظيماً لم ينس خلاله ما أريق من دماء أبنائه.. وما أزهق من أرواحهم فى سبيل ذلك اليوم.. يوم النصر.

---

*نشر هذا المقال قبل أيام من الموعد الرسمى لجلاء قوات الاحتلال الإنجليزى فى يونيو ١٩٥٦

إلى هؤلاء نتقدم اليوم وبأيدينا كتاب الحرية الذى سطرته دماؤهم.. التقدم به إليهم ونحن أقوياء لنجدد به مظاهر القوة المكافحة.. ولنستلهم من مذ القوة معانى التماسك الشعبى..

منذ مطلع العصر الحديث بدأ كفاح الشعب المصرى ضد الطغاة والمستعمرين.

فى أواخر عهد المماليك ثار الشعب على طغيانهم مرتين:

الأولى فى الإسكندرية حين أرسل المملوكان مراد وإبراهيم حملة يقودها كاشفان.. كان هدفها نهب المتاجر وسلب أقوات الشعب.. فأمر الشيخ المسيرى كبير علماء المدينة الأهالى بحمل السلاح والتأهب للحرب وحين قدمت الحملة المملوكية ورأت تأهب الشعب للقتال ألقت سلاحها وارتدت على أعقابها.

أما الثورة الثانية فكانت فى قلب القاهرة، حينما قدمها أهالى بلبيس سائرين على أقدامهم مشردين بعد أن نهب المماليك قريتهم، والتجأوا إلى الأزهر حيث ارتفع صوت الثورة على حكم مراد وإبراهيم المملوكين، وأمر الشيخ عبدالله الشرقاوى بإعلان العصيان وإغلاق الأسواق والسير إلى بيت نقيب الأشراف لإقرار حقوق الشعب.

ووسط جمهرة الشعب الثائر جاء «أيوب الدفتردار» وزير مالية الطغيان المملوكى وأعلن أن المماليك قد تابوا وأنابوا وكتبوا حجة بأنهم لن يتعرضوا للشعب ووقع الباشا التركى المقيم بالقلعة على وثيقة توبة المماليك عن سلب حقوق الشعب.

حملة نابليون

ونكبت مصر فى أعقاب ذلك بحملة نابليون بونابرت وانهزم جيش المماليك أمام قوة الفرنسيين، ولكن الشعب المصرى لم ينهزم بل أعلنها ثورة على جيش الإحتلال، فثارت القاهرة مرتين، واشتعلت نيران الثورة فى أرجاء مصر واضطر بونابرت إلى إطلاق المدافع على القاهرة، بعد أن قتل الثوار الجنرال ديبوى قائد حامية القاهرة فى شارع الصناديقية بحى الأزهر.

انزل .. بالأمر

وبعد خروج جيش الإستعمار الفرنسى تحت ضغط الكفاح الشعبى، دخلت مصر فى مرحلة من مراحل الثورة العملية القوية التى كانت تهدف إلى التخلص من النفوذ التركي ومن سيطرة المماليك على السواء.

وقال الشعب للوالى التركى..

انزل من القلعة..

وقال الوالى:

أنا مولى من قبل السلطان ولا أعزل بأمر الفلاحين، ولكن الفلاحين عزلوا الوالى ووضعوا مكانه رجلاً آخر .. واستطاع أن يدافع الشعب عن أهدافه الحقيقة.. وكان اسم هذا الرجل: محمد على.. الألبانى من أهل قوله!

فليحضر إلى هنا..

وبعد سلسلة من المكر والخداع استطاع الوالى الذى رفعه الشعب إلى القلعة، أن يعبث بمصائر الملايين من المصريين وأن ينفى زعيم الشعب السيد عمر مكرم وأن يتنكر لليد التى وضعت على رأسه العمامة وألبسته الجبة باسم الشعب!..

ورغم طغيان محمد على لم يستسلم الشعب ولم تندثر فى مراحل كفاحه القوى الثورية الأصيلة ، بل إن رجلاً من الفلاحين هو شيخ دسوق ثار فى

وجه محمد على وأعلن عليه الحرب حين أرسل بعض زبانيته يطلبون من الشيخ أن يخرج من مدينته ليقابل الباشا محمد على ويقدم إليه أقوات الشعب وأرزاق الناس، فرفض الشيخ وقال لجنود محمد على:

إذا أراد الباشا أن يقابلنى فليحضر إلى هنا..

ولم يعجب هذا الكلام الباشا الطاغية فأرسل جيشاً إلى دسوق وأعمل فى أهلها قتلاً وسفكاً للدماء، ودخل جنوده مسجد سيدى إبراهيم الدسوقى بالخيول وقتلوا المجاورين المكفوفين.

ولم يقل التاريخ الذى سجل على جنود نابليون أنهم دخلوا الجامع الأزهر بخيولهم أن جنود محمد على دخلوا مسجد إبراهيم الدسوقى بخيولهم أيضاً.

وعى يتدفق

ولم يقف الوعى الثورى عند هذا الحد فى حكم محمد على الطاغية الأول، بل استمر متدفقا واعيا.

وحدث حينما غزا الأسطول الإنجليزى مصر، أن التقى شعب رشيد بجنود بريطانيا، ودارت المعركة الهائلة الخالدة، فى كل ركن من أركان المدينة، وفى كل بيت، وفى كل غرفة، وقبل أن تحدث معركة ستالينجراد بأكثر من مائة عام، وإنهزم جيش بريطانيا وفر أمام قوى الشعب الثائر، إلى «الحماد».. حيث تمت هزيمته..

وأخيرا صحا محمد على، وذهب ليوقع صكوك خروج جيش الاستعمار الذى هزمه الشعب ولم يهزمه جيش محمد على.

الخديوى المجنون

ودالت دولة محمد على.. وخلفه فى الحكم ربيبه إبراهيم.. ثم جاء عباس.. الخديوى المجنون.. فبدأت سلسلة المؤامرات الإستعمارية.. وبدأ التدخل الأجنبى الغربى ينفذ إلى مصر عن طريق القناصل.. واستمر

الشعب فى ثورته.. فينذر أحياناً بجنون عباس.. ويتكتل أحياناً ليكون الجبهة المصرية القوية التى بدأها محمد على وسط أطماعه ومآربه الشخصية.. ثم قتل عباس بيد غلمانه وحمل فى عربته مرتدياً ملابسه الرسمية ووقفت الجماهير تنظر إليه ميتاً يخدع بجثته الناس.. وقال الشعب فى صوت واحد.. الحمد لله.. الحمد لله.

وجاء سعيد الذى حاول أن يكون مصرياً فلم يستطع، بل ارتمى فى أحضان ديلسبس وباع له مشروع قناة السويس فى لحظة من لحظات التعاسة، وبدأ الصراع بين الشعب وبين معسكرات القهر والمتربصين بمصر من المستعمرين يبدو واضحاً.

وبدأت مشاهد المسرحية الهازلة تتأرجح أمام أعين الشعب حين أطلقت مدافع الفرح بتولية إسماعيل عرش مصر فى القاهرة فى نفس اللحظة التى تحرك فيها حاملو نعش سعيد فى الإسكندرية.

حقوق الشعب

إن اسم إسماعيل يكفى وحده لرسم صورة كاملة للحالم المستبد المتهوس الغارق فى اللذات.

كانت سنوات حكمه تجربة قاسية للشعب المصرى الذى غلت فى عروقه دماء الحرية وأصبح بركاناً وشيك الانفجار.

فى كل مكان.. كان الناس يتحدثون عن حقوق الشعب.

أهل القاهرة يطلقون عليه إسم «شيخ الحارة» ولا تسعفهم القوة المادية التى تخلعه عن عرشه فيجعلونه موضع الفكاهة والتندر تنفيساً عن الألم المكبوت فى صدورهم.

الصحافة الثورية تبدأ عملها فى وضح والنهار وتنقد تصرفات الحاكم الغاشم المتهوس، فيزداد جنونه ويقضى عليها.. دعوات الثورة يتناقلها الصفوة من المصريين محاولين وضع حد للحكم الجائر الذى حمل ألوف

الفلاحين لحفر قناة السويس بأظافرهم واستدان ملايين الجنيهات لينفقها ولى النعم على ملذاته.

أين المرتبات

الضباط يتجمعون ويقتحمون مبنى وزارة المالية بحثاً عن مرتباتهم التى عجزت الحكومة عن سدادها، ويصادفهم فى الطريق نوبار رئيس الوزارة فيضربونه ويضربون معه ريفرز ويلسون وزير المالية.. ولم يكن الضباط يسيرون وحدهم نحو الهدف بل كان معهم الشعب وكان يسير فى ركبهم بعض ممثلى الشعب فى الجمعية التشريعية.

جمال الدين الأفغانى.. كان فى مصر يتحدث عن الشرق وثورة الشرق وحقوق الشعب وظلم الملوك، وحين سئل عما يجب أن يفعله الشعب المصرى بالملك الغاشم إسماعيل قال:

اقتلوه

وأصبح البركان شعلة قوية ملتهبة فى قلب الشعب.. وذات مساء اكتشفت قنبلة فى صندوق وضع تحت مقصورة إسماعيل فى دار الأوبرا، وكان مقدراً أن يسهر الخديوى فى الأوبرا، ولكنه نجا من الموت، وأمر بالقبض على مدير الدار الإيطالى وجمع له القناصل ليحاكموه على إهماله.

الفرار

ومضت قنبلة الأوبرا.. ولم يسكت الشعب.

فى مايو ١٨٦٨ سافر إسماعيل إلى اسطنبول ثم عاد فى سبتمبر ١٨٦٨ وركب عربته من ميناء الإسكندرية إلى محطة مصر، وعند عبوره ميدان محمد على، وعند مبنى البورصة القديمة ألقيت عليه كرتين من الحديد المدبب ولم يصب الخديوى المستهتر.. وارتفعت الأبصار إلى المكان الذى ألقيت منه كرات الحديد.. واقتحم البوليس مبنى البورصة.. وصعد إلى الدور العلوى.. فوجده مهجوراً ليس فيه أحد من السكان.

وازداد الصـراع بين الشـعب وبين الطاغيـة.. وتكلم نواب الشـعب فى الجمعية التشريعية كلاماً لم تسمعه مصر من قبل، وقالوا عندما أمر إسماعيل بفض الدورة قبل انتهائها، انهم معينون من قبل الشعب، ولا يعزلهم إلا الشعب وطالبوا بجميع حقوقهم وبمراجعة الميزانية التى ابتلعها اسماعيل.

وتذكر الشعب قصة إسماعيل المفتش الذى قبله إسماعيل خوفاً من إفشاء أسراره.. وتذكر كيف كان يعيش المفتش فى قصر يضم ٧٠٠ جارية وتفرش بعض قاعاته الريالات الذهبية.

الاستعمار يطل برأسه

صراع رهيب.. وتدخل أجنبى كامل شامل.. وسيطرة على أجهزة الدولة من دول الإستعمار.. وديون تتزايد وتثقل.. وفساد ورشوة.

ثم يطل الإستعمار برأسه مرة أخرى ليرى كيف تم افساد مصر.

وذات صباح خرج إسماعيل من قصر عابدين متجهاً إلى قصر الجزيرة.. وفى الطريق قابله شاعره الشيخ على الليثى.. وسأل الخديوى شاعره:

ماهى الأخبار؟

وقال الشاعر:

الأخبار . عند أفندينا

وقال إسماعيل:

لقد انتهى كل شىء.. وعزلت بأمر السلطان.

وفى قصر الجزيرة.. كان عبده الحامولى يغنى لإسماعيل آخر أغنية سمعها فى مصر..

أنا استحق اللى جرى

ماحد غيرى إللى انظلم
طاوعت أسباب الهوى

حتى غدا خصمى حكم

وبكى الخديوى المستهر.. وأشفق عليه الشاعر الذى نظم له الأغنية..

وضحك الإستعمار.. لأنه أفسد خطة الشعب وزحزح الكابوس عن قلب الشعب الثائر.. ثم فتح صفحة جديدة لحاكم جديد اسمه توفيق.

وضحك الشعب أيضاً.. لأنه لم يكن يهمه نوع الحاكم، بل كان يهمه نوع الصراع..

لقد قال التاريخ إن توفيقاً ثمرة لبرهة هوى، بين إسماعيل وإحدى جواريه، وأنه تربى مع خادمات، وأنه كان أبله أو قريباً من البله.

ورقة رابحة

ووجد الاستعمار فى توفيق الورقة الرابحة التى يلعب بها إلى نهاية الشوط، فاتفق معه على حكم مصر.. وعلى عزل أبيه إسماعيل الذى كان يكرهه كرهاً شديداً.

وفى محطة القاهرة تمت التمثيلية الاستعمارية الكبرى، ووقف الخديوى المخلوع والخديوى الوارث.. وقف الوالد والولد يتعانقان وقال إسماعيل لولده:

كن أسعد حالاً من أبيك..

وعلى ظهر المحروسة حمل اسماعيل إلى منفاه.. ومنذ تلك اللحظة بدأ الكفاح الشعبى طوره الجيدة المتبلور.

كان الشعب يؤمن بحقه فى الحياة وكان القصر والباشوات يؤمنون بحقهم فى إذلال الشعب.. ثم بدأت المعركة التى قادها الشعب أملا فى تحطيم عرش توفيق.. ولهذه المعركة قصة طويلة أخرى..

● نشر فى «الجمهورية» يوم ٢٢ مايو ١٩٥٦

الفصل الثانى

قصة الحرية (٢)



وقعت قصة المسرحية التى
تابعناها امس عند المشهد الذى
وقف فيه اسماعيل فى محطة
مصر يعانق ابنه توفيق ويقول
له : كن أسعد حالا من ابيك ،
ثم حملت الباخرة المحروسة ،
الخديو المخلوع الى منفاه ..

«تقديم»

فى هذا الفصل تواصل «الجمهورية» تقديم صور من كفاح شعب مصر من أجل الحرية بداية من الثورة العرابية ومواجهة الثوار للخديو توفيق وتسليم الخديو بطلباتهم.. مرورا بحادثة قصر النيل حيث دبر الخديو ووزير حربيته مكيدة لعرابى ورفاقه.. ولكن الضباط أحبطوا المكيدة بعد أن كان قد قبض على عرابى ورفيقيه.. وتوجه عرابى وجنوده إلى قصر عابدين وأرغم الخديو على عزل عثمان رفقى وزير الجهادية وتعيين محمود سامى البارودى وزيرا للجهادية.

ولكن المؤامرات والدسائس بدأت.. وأحس قادة الثورة بما يدبره الخديو.. فكانت حادثة عابدين الثانية ووقف عرابى يردد كلماته الخالدة فى ذلك اليوم «نحن لسنا عبيدا ولن نورث بعد اليوم» وانتصرت الثورة.. ولكنها كانت البداية فى مواجهة سافرة بين الشعب والخديوى.. استعان فيها الخديو توفيق بالاستعمار الانجليزى وفى ضرب الاسكندرية فى ١١ يوليو ١٨٨٢ وبداية الاستعمار الذى استمر ٧٥ عاما.. لم يتوقف خلالها كفاح الشعب.. فظهر مصطفى كامل

واستطاع كفاح الشعب المصرى اخراج «كرومر» المعتمد البريطانى فى مصر بعد حادثة دنشواى.. وتكتل الشعب ضد الطغيان والاستعمار.. وقامت ثورة ١٩١٩ وواصل الشعب كفاحا لم يتوقف حتى قامت ثورة يوليو.. وخرج الاستعمار البريطانى من مصر فى عام ١٩٥٦.

«قصة الحرية».. الفصل الثانى فى هذا الكتاب نشرته «الجمهورية» فى يوم ٢٣ مايو ١٩٥٦.. ونتابعه معا على الصفحات التالية.

دالاس يشرح سياسة أمريكا تجاه مصر

الفرنسيون يبيدون قرية فى الجزائر

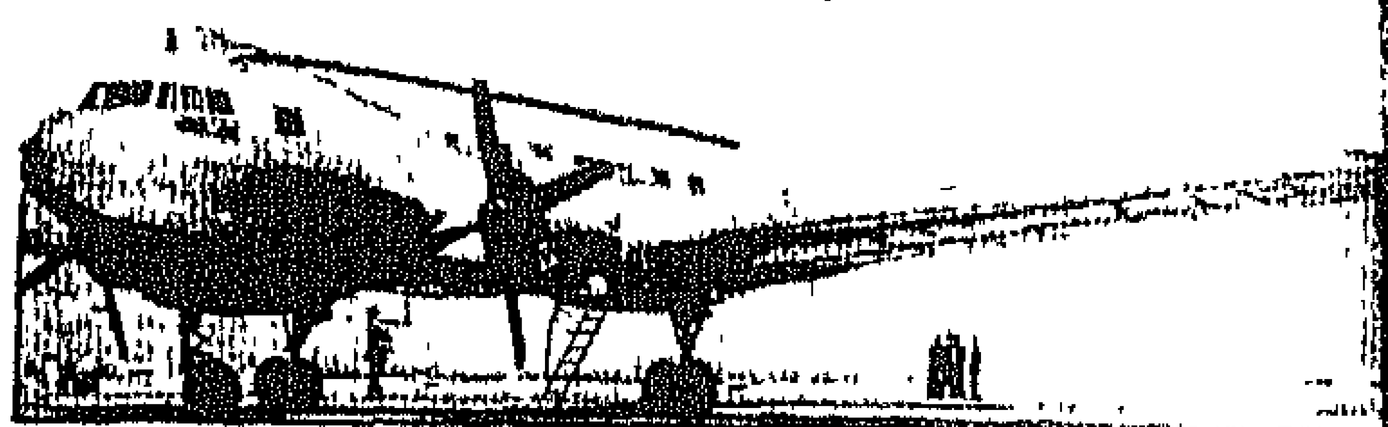
١٢ صفحة — الجمهورية — ١٠ مليمات

AL GOUMHOURIA 23 MAY 1956

- السالوري سحن مشكلة (المهر)
- توزيع ٨٥٠٠ فدان بأسيوط
- سوريا تبحث الاعتراف بالصين
- متحف الكفاح الشعبى ص ٦

الرئيس يهدى الطائرة الروسية لسلاح الطيران المصرى

السفير الروسى يسلم الطائرة للرئيس أمس



هذه هى الطائرة الروسية التى اهديت للرئيس جمال عبد الناصر .. وقد سلمها لسيادته صباح امس سفير روسيا

الرئيس والسفير الروسى داخل الطائرة ..

وقد اهدى الرئيس الطائرة لسلاح الطيران المصرى

(التفاصيل ص ٥)

أمريكا تعرض

٧٠ مليون دولار لبدء تنفيذ السد العالى

أعرب مستر دالاس عن أسفه لقرار مصر الخاص بالاعتراف بالصين الشعبية ... ولكنه قال ان الولايات المتحدة ستؤيد الرئيس جمال عبد الناصر فى كل عمل يعمله بوصفه المتحدث الذى يطالب باستقلال شعوب الشرق الاوسط .

واعلن ان امريكا لا تريد الانضمام الى روسيا فى تمويل اى عمل فى الشرق الاوسط .. ثم قال ان العرض الامريكى لتمويل السد العالى لا يزال مستمرا وان امريكا تعرض ٧٠ مليون دولار للبدء فى تنفيذ المشروع الى جانب قرض البنك الدولى البالغ ٢٠٠ مليون دولار .

وقد كان هذا فى الاجتماع الاسبوعى الذى يعقده مستر دالاس لمندوبى الصحف ووكالات الانباء ..

خاطر الصباح

قلق لندن على مصير الامبراطورية البريطانية

٣ ملايين ميل مربع تضم ٥٠٠ مليون نسمة ضاعت منذ الحرب

بريطانيا مهددة بالتخلف الى المرتبة الثانية بين دول العالم

بريطانيا فى مركز حرج ، وقواعدها فى انحاء العالم فى خطر ، وصحفها فى فزع ورعب وقلق على مصير الامبراطورية ، خشية ان تتحول بريطانيا الى مرتبة ثانوية فى العالم

لندن فى ٢٣ - وكالات الانباء - الصحف البريطانية فى فزع ... حول مركز الامبراطورية البريطانية ، والثورات التى تهددها فى كل مكان .

مشكلة التغالى فى « المهر »

الثورة بدأت فى عدن

إعلان الجهاد ضد الاستعمار البريطانى فى جنوب شبه الجزيرة العربية

٨٥٠٠ فدان توزع فى أسيوط

القبرصيون يستعدون لخطف مكاريوس

السادات يفتتح معرض الشعوب الاسلامية الاسيوية

البقية صفحة ١١

سوريا تبحث الاعتراف بالصين الشعبية

صرح السيد سعيد الغزى رئيس وزراء سوريا امس ، بان بلاده تبحث فى الوقت الحاضر مسألة الاعتراف بالصين الشعبية

هرب ٢٠٠ سجين سياسى فى الدار البيضاء

الفرنسيون يبيدون قرية فى الجزائر

الجيش المصرى يتعلم من صحفى أمريكى

والسياسة المصرية فى صحيفة نيويورك تايمز

الصفحة الثالثة من «الجمهورية» فى يوم ٢٣ مايو ١٩٥٦

الجمهورية

رأى

قصة "القصيدة" التي سجن من أجلها المنفلوطي

والتي أغلقت بسببها جريدة "الصاعقة"!...

القصيدة الأصلية

القصيدة بعد تشطيرها

قضية السفهاء..!

رغم مصاعب الاستيراد

راديو

الصفحة الثالثة من «الجمهورية» فى يوم ٢٣ مايو ١٩٥٦

قصة الحرية
(٢)

وقفت قصة الحرية التى نشرناها فى الفصل السابق عند المشهد الذى وقف فيه إسماعيل فى محطة مصر يعانق ابنه توفيق ويقول له: «كن أسعد حالاً من أبيك» ثم حملت الباخرة «المحروسة» الخديو المخلوع إلى منفاه..

وبدأ الكفاح الشعبى طوره الجديد المتبلور، وبدأت المعركة التى قادها الشعب أملاً فى تحطيم عرش توفيق..

والآن تقرأون بقية القصة.. قصة الحرية.. وتعرفون كيف سارت المعركة.. وكيف انتهت إلى نجاح.. نجاح للكفاح... وللأحرار...

ولم تكن ثورة عرابى مفاجئة إلا لأولئك الذين غرقوا فى أرستقراطيتهم الشركسية والتركية من حكام مصر..

لم يكن هؤلاء الباشوات يظنون أن الفلاح يستطيع أن يصفعهم.. ولكن النذر كانت تقول إن الثورة على الأبواب.

وفهم عثمان رفقى وزير حربية توفيق أنه يستطيع أن يمحو الفلاحين وأن يحرم عليهم مناصب الجيش الهامة بقانون يصدره.. وفعلاً أصدر هذا القانون وقرر عدم ترقية فلاح من تحت السلاح إلى رتبة ضابط.. وأنه يجب على الفلاح أن يظل أربع سنوات جندياً ثم يعود إلى بلده، ويستمر خمس سنوات جندياً احتياطياً وبعدها يشطب اسمه من دفاتر الجيش المصرى!.

وكان معنى ذلك حرمان الفلاحين إلى الأبد من رتب الجيش وتخصيصها للشراكسة الذين يحكمون مصر... ويتحكمون فى جيش مصر.

اجتماع خطير

واجتمع أربعة ضباط من الفلاحين لبحث هذا الأمر الخطير.

اجتمع على فهمى، وعبدالعال حلمى، وأحمد عبدالغفار فى منزل أحمد عرابى ليلاً للنظر فيما يجب أن يفعلوه.. واتفق الضباط الأربعة على جمع ضباط فرقهم وضباط الصف وإفهامهم ما يلحق الضرر بهم وبذويهم من المواطنين إذا نُفِّذ قانون عثمان رفقى.

وأقسم جميع الضباط وضباط الصف على المصحف والسيف أن يكونوا يداً واحدة وقلباً واحداً لمساعدة الضباط الكبار الفلاحين.

وتزعم الحركة الأميرالايات الثلاثة: أحمد عرابى وعلى فهمى وعبدالعال

حلمى، وكتب قواد الحركة تقريراً رفعوه إلى مجلس الوزراء وطالبوا بخلع عثمان رفقى من وزارة الحربية وتنصيب غيره من الوطنيين.

وقرر الخديو محاكمة الضباط الثلاثة.. وأمر عثمان رفقى بإجراء المحاكمة.

عيون ترقب

وصدر الأمر إلى الأميرالايات الثلاثة بالتوجه إلى قصر النيل للتشاور معهم فى ترتيب الاحتفال بزفاف الأميرة جميلة هانم شقيقة الخديو.. وأحس عرابى وصاحباه بالمكيدة، واتفقوا على الذهاب بصحبة بعض ضباط ألاى الحرس المعسكر فى عابدين ليكون هؤلاء الضباط عيوناً يرقبون الحالة من بعيد.

وفى قصر النيل انعقد المجلس العسكرى وتلا على الأميرالايات الثلاثة أمر سجنهم ومحاكمتهم، ثم نزعت منهم سيوفهم وأودعوا سجن الديوان.

الباشوات يهربون

وتحرك ألاى حرس من عابدين بعد لحظات قاصداً قصر النيل، وهجم الجنود على القصر.. وهرب الباشوات وعلى رأسهم عثمان رفقى وزير الحربية الذى قفز من النافذة.

وأرسل عرابى رسله إلى ألاى طرة والعباسية لمقابلته فى عابدين.. والتقت الفرق الثلاث فى الميدان وألقى عرابى خطاباً حماسياً وسط الجنود والجماهير، ثم تقدم إلى الخديو وطلب منه العفو عن الجنود وخلع عثمان رفقى.. ووافق الخديو على الفور، وعين محمود سامى البارودى وزيراً للحربية.

وبدأ الجواسيس يعملون لحساب الخديو والباشوات الشراكسة، وتزعم

عبدالقادر باشا محافظ القاهرة شبكة الجاسوسية وفرض عيونه على الضباط واجتماعاتهم..

واستمرت حالة الرعب مسيطرة على النفوس حتى صدر أمر وزير الحربية إلى ألاى القلعة بالتوجه إلى الإسكندرية.. وأمر إلى ألاى الإسكندرية بالحضور إلى القاهرة.

الخديو يتلاعب

وأيقن قادة الثورة أن الخديو بدأ يتلاعب بالجيش وقرر عرابى الاجتماع بفرق الجيش كلها فى ميدان عابدين يوم أول سبتمبر سنة ١٨٨١.

وحاول توفيق أن يرد عرابى عن عزمه فأرسل إليه بعض الباشوات لإقناعه، ولكنه لم يرجع عما اعتزمه.

وفى لحظات اليأس توجه توفيق إلى ألاى الحرس بعابدين ونصح جنوده.. ثم أخذ الوزراء وصعد بهم إلى القلعة.

وسأل الخديو العساكر عن سبب عدم إطاعتهم للأوامر؟. فقالوا إنهم مطيعون، فالتفت إلى إبراهيم حيدر قائدهم فقال:

- إن الذى أغراهم على عدم السفر هو البكباشى فودة حسن.

فالتفت رياض رئيس الوزارة إلى فودة حسن وجذبه من طوقه وقال له:

- أمثلك يعارض الحكومة فى أوامرها؟.

وضرب أحد البروجية نوبة إنذار بأمر اليوزباشى محمد السيد.. فركَّب الجنود الحراب على رءوس البنادق وأحاطوا بالخديو صارخين:

- اترك البكباشى..

فأمر الخديو رئيس وزرائه بترك البكباشى.. وعاد إلى قصر عابدين ليشهد الصيحة الأولى للشعب..

سيوف مسلولة

كان أول من حضر إلى عابدين من الجنود ألاى السوارى الأول بقيادة أحمد عبدالغفار ثم جاء ألاى عرابى.

وتبعه ألاى الطوبجية يقوده إسماعيل صبرى، وكانت بطاريات المدفعية تتخلل الأورط أثناء المسير، وعشرة من ضباطه على ظهور الخيل وبأيديهم السيوف مسلولة، يسيرون حول عرابى حراساً له وهو ممتط صهوة جواده وسيفه مشهر فى يده.

وعند وصوله إلى ميدان عابدين اكتمل اجتماع الجيش، وكان الميدان غاصاً بجماهير الشعب، ونوافذ البيوت وأسطحها ملآى بالناس.

المواجهة التاريخية

ونزل توفيق إلى السلاملك، وأمر بإحضار عرابى، فحضر راكباً جواده شاهراً سيفه ومن حوله الضباط، وتقدم إلى الخديو الذى سأله عن أسباب حضوره بالجيش؟.

فقال عرابى:

- لنوال طلبات عادلة..

الخديو: وما هى هذه الطلبات؟.

عرابى: هى إسقاط الوزارة وتشكيل مجلس النواب وزيادة عدد الجيش، والتصديق على قانون العسكرية الجديد.

الخديو: كل هذه الطلبات ليست من خصائص العسكرية، وأنا خديو البلد وأعمل زى ما أنا عاوز!.

عرابى: ونحن لسنا عبيداً ولن نورث بعد اليوم.

ونصح مستر كوكستون ممثل الاستعمار البريطانى وقنصل بريطانيا فى مصر الخديوى بأن يدخل إلى القصر خوفا من سوء المصير.

وعاد كوكسون ومعه السير أولكتى كولفن وبدأ يناقش عرابى فى طلباته مندوبا منِ خديوى مصر!

وأذعن الخديو لطلبات الجيش.. على أن تنفذ بالتدريج وأن يبدأ بسقوط الوزارة.. وخرج رياض من الوزارة وغادر مصر خوفا على حياته، ثم خلفه شريف فى الوزارة.. وأسند وزارة الحربية إلى محمود سامى البارودى.

الإنتصار الأول

وكان هذا هو الإنتصار الأول للثورة الشعبية المصرية.. وكان أيضا بداية المعركة السافرة بين الشعب وبين الخديوى والباشوات والإستعمار.

وفى ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ أطلق الاسطول البريطانى قذائفه على الإسكندرية.. وبدأت المؤامرة التى اشترك فيها توفيق الخديوى الخائن مع الاستعمار لتسليم مصر وتضييع الشعب.

وتتابعت سلسلة الدسائس والخيانة خارج صفوف الجيش المصرى وداخل صفوفه للتمهيد للإحتلال.

الإسكندرية تحترق

احترقت الاسكندرية وتعاون الخديوى مع اسطول الإستعمار على إحتلال مصر وأرسل مندوبه محمد سلطان ليكون فى ركب المستعمر عند دخوله

قناة السويس بأساطيله.. ودس توفيق الخائن جواسيسه فى الجيش وفى صحراء مديرية الشرقية.. وفتح الطريق أمام جيش الإستعمار ثم وقعت واقعة التل الكبير وسط الخيانة والغدر، وسقطت مصر فريسة للإستعمار والعروش والمتآمرين.

ولكن الشعب كان موجودا على أبواب القاهرة.. فى العباسية.. وخرج بالعصى والسكاكين ليدافع عن ثورته ضد جيش الاحتلال المسلح.

لم يستسلم

فشلت الثورة العرابية ولكن الشعب المصرى لم يستلم للهزيمة.. بل ظل يكافح فى جمر وحرارة.. واستمر يناضل فى سبيل حريته.

ومن بين صفوف الشعب خرج مصطفى كامل هاتفا للحرية وداعيا لتحرير مصر مناهضا الإستعمار والعرش معا.

واستطاعت القوى الشعبية أن تهزم «كرومر» بعد حادث دنشواى المشئوم، وتخرجه مدحورا.

ثم ظل التيار الثورى سائرا فى طريقه، وإزداد تكتل الشعب ضد الطغيان والإستعمار حتى كانت ثورة ١٩١٩ التى تحدت الإستعمار، ولفتت أنظار العالم كله إلى مصر، وأيقظت الشرق بأسره من سباته.

وفشلت الثورة الشعبية الثانية وسط أمواج الدسائس والمؤامرات والأعداء، التى صنعها العرش والإقطاعيون والنهازون أعداء الشعب.

برلمانات.. واحزاب

وقامت المؤامرة بخلق البرلمانات والأحزاب.. واستطاع الملك والمستعمر أن يكونا جبهة قوية تضيع كفاح الشعب وتشرب دماء الشهداء.. واستطاعت

الأهواء الرخيصة أن تبدد جهاد المجاهدين وتخلق طبقة من الساسة المنافقين الكاذبين المخادعين.

وفى سنة ١٩٣٥ ثار الإستعمار فخدعه الزعماء بمعاهدة ١٩٣٦.

وفى سنة ١٩٤٨ حدثت المذابح فى القاهرة.

وفى سنة ١٩٥١ مذابح فى القنال

وكان خلف هذا الكفاح تيار الخيانة والرشوة والفساد الذى بدد كل الكفاح وضيع دماء الأبرار.. وأثرى المرتشون من صفقات الأسلحة الفاسدة التى أرسلت إلى جيش مصر فى فلسطين، ومن أقوات الشعب فى السوق السوداء وفى المتاجرة بالمناصب وكراسى الحكم وكراسى البرلمان.

وفى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ تكتلت القوى الشعبية كلها خلف الجيش فاستطاع جمال عبدالناصر أن يحطم الأحزاب والفساد والرشوة بضربة واحدة.

ولأول مرة فى تاريخ مصر الشعبى خرج زعيم من بين طبقة الكادحين وحكم مصر باسم الشعب.

ولأول مرة فى تاريخ مصر حطم زعيم مصر الإستعمار وحررها من التدخل الاجنبى.

● نشر فى «الجمهورية» فى يوم ٢٣ مايو ١٩٥٦

الفصل الثالث

مؤامرة الخديو لتحطيم جبهة الضباط المصريين

مؤامرة الخديو لتحطيم جبهة الضباط المصريين

هذا هو الجانب السياسى من حياة الشيخ محمد عبده والى ... للقارىء خفايا السياسة فى مصر، فى العهد الذى شبت فيه نيران الثورة العرابية ... طغيان اسرة محمد على وجبروتها

لقد اشترك الاستاذ الامام فى الثورة، وسجن بعد فشلها ثم ... وقد سجل الامام حوادث الثورة وذكرياتها فى مذكراته.

نحن نقدم اليوم بعض هذه المذكرات.

... هنا يتحدث عن بدء حركة أدت الى تكاتف الضباط المصريين

قال الشيخ الامام :

بداية النهاية

«تقديم»

هذه صفحة من مذكرات الإمام الشيخ محمد عبده نشرتها «الجمهورية» بعد أن نشرت صفحات أخرى من هذه المذكرات... دون أن تذكر فى المرة الأولى أنها من مذكراته.. مكتفية بذكر اسم الإمام الشيخ محمد عبده، واصفا لحريق الإسكندرية فى عام ١٨٨٢.

وعندما ذكرت «الجمهورية» أن هذه الصفحات من مذكرات محمد عبده.. وذكرت أن للمذكرات بقية.. لم تتح الظروف «للجمهورية»- فيما يبدو- تكمله هذه المذكرات.. ولذلك رأينا نحن فى «تراث الجمهورية» أن نكمل هذه المذكرات التى وعدت «الجمهورية» باستكمالها منذ أكثر من خمسين عاما..

وفى هذه الصفحات التى نشرتها «الجمهورية» من المذكرات تحت عنوان «مؤامرة الخديو لتحطيم جبهة الضباط المصريين» يتحدث الإمام الشيخ محمدعبده عما حدث بعد اخراج أحمد عرابى من سجنه فى حادثة قصر النيل.

وتقول مقدمة هذا الجانب من المذكرات كما نشرتها «الجمهورية» أن الإمام قد اشترك فى الثورة وسجن بعد فشلها.. والحقيقة أن الإمام كان معارضا تماما للثورة قبل أن يتدخل الانجليز بضرب الاسكندرية.. وكان يرى أن الاصلاح يبدأ بالتعليم أولا... ولكن

الموقف تغير بعد أصبحت البلاد فى حرب مع الإنجليز.. وكان لابد أن يساند الامام الشيخ محمد عبده الثورة ، لأن البلاد فى حالة حرب.

والصفحات التى نشرتها «الجمهورية» من المذكرات تتناول فترة الدسائس والمؤامرات التى بدأ الخديو توفيق ينسج شباكها حول الجيش ليتخلص من عرابى ورفاقه.. بعد حادثة قصر النيل التى حيكت فيه مؤامرة للقبض على عرابى ورفيقيه.. وتمكن زملاء عرابى من إفشالها واطلاق سراحهم.. فبدأ الخديو يحيك دسائسه واحدة بعد الأخرى وإذا انكشفت مؤامرة، أبدى أنه بعيد عنها تماما..

وبعد تكرار هذه الحوادث والوقوف على مصادرها وثبوت أن خاصة الخديو هم العاملون فيها.. ولا يمكن أن يحدث ذلك إلا بناء على رأيه، أخذ عرابى يحتاط للأمر.. ويبعد من لا يثق فيه من كبار الضباط.

«مؤامرة الخديو لتحطيم جبهة الضباط المصريين» هو الفصل الثالث فى هذا الكتاب.. وقد نشرته «الجمهورية» فى يوم ٧ يونيو ١٩٥٦.. ونتابعه معا على الصفحات التالية.

لماذا لم تتزوج فوزية حفيد امبراطور البرازيل (مذكرات كريم ثابت ص ٥)

لا حرب

"بولجانين"

انقسام الجيش الفرنسي بسبب سياسة الحكومة

١٢ صفحة — الجمهورية — ١٠ مليمات

AL GOUMHOURIA 7th JUIN 1956

طه حسين يقوم بانقلاب فى رسم حروف الكتابة العربية

"مصطفا أعطاموسا هذا الكتاب"!

طه حسين ينفذ الانقلاب غدا

قام الدكتور طه حسين بانقلاب خطير فى رسم الكتابة باللغة العربية، وسينفذه ابتداء من غد.

لقد كتب «للجمهورية» مقالا ورسم حروف المقال على قاعدة جديدة تهدف الى رسم الكلمات العربية كما تنطقها...

انقسام فى الجيش الفرنسي

اضطراب سياسة الحكومة الفرنسية يحدث تذمرا فى هيئة قيادة الجيش

٤ طائرات تدريب و ٢٠٠٠ بندقية

عبد الحكيم عامر

الراحل الأخير...!!

تصريح لوزير المالية

تأمين سوق القطن من التقلبات

قانونان جديدان

لحماية المنتجين والتجار والغزالين

مصنع جديد للسكر

الفدائيون القبرصيون يهددون بنسف

نهرو يرفض مرتين

وزير الخارجية البريطانية

الغاء اصلاحية الرجال

فرنسا تكرر اعتذارها

الجيش الأردني

خاطر الصباح

١٢ ألف جنيه

بولجانين يقول: "لا حرب"

الصفحة الأولى من «الجمهورية» فى يوم ٧ يونيو ١٩٥٦



مؤامرات الخديو لتحطيم جبهة الضباط المصريين

من مذكرات الشيخ الإمام محمد عبده عن الثورة العرابية

قال الشيخ الإمام

الدول في الكلام

في سبيل الجلاء

> ليس الدستور خاتمة للكفاح .. ولكنه بداية ..
>
> جمال عبد الناصر

من محاكمات ثورة ١٩١٩

الإفراج ..

هذه المجلة .. وهذه الدار الصحفية

رأى

الصفحة الثالثة من «الجمهورية» فى يوم ٧ يونيو ١٩٥٦

مؤامرة الخديو لتحطيم جبهة الضباط المصريين

هذا هو الجانب السياسى من حياة الشيخ محمد عبده والتى تبين للقارىء خفايا السياسة فى مصر، فى العهد الذى شبت فيه نيران الثورة العرابية ضد طغيان أسرة محمد على وجبروتها.

لقد اشترك الأستاذ الإمام فى الثورة، وسجن بعد فشلها ثم نفى، وقد سجل الإمام حوادث الثورة، وذكرياتها فى مذكراته.

ونحن نقدم اليوم بعض هذه المذكرات.



الإمام الشيخ محمد عبده

إنه هنا يتحدث عن بدء حركة أدت إلى تكاتف الضباط المصريين ضد الخديو مصدر الخطر ضد بلادنا.

قال الشيخ الامام:

بداية النهاية

أصبح الخديو بعد حادثة قصر النيل واخراج الجيش لعرابى من سجنه بالقوة، يطلب الخلاص من أولئك الضباط وسطوتهم النافذة فى جيشه فشغله ذلك وأخذ يدبر الوسائل، لكن لا مع وزرائه والمسئولين عن الأمن فى حكومته، بل مع حاشيته وبعض رجال معيته ومن كان يختصهم من خدمه، وذلك هو بداية النهاية.

العمل فى الظلام

بدأ توفيق خطة الخداع والمكر وشرع ينفذها فى عبدالعال حلمى ظنا منه أنه أجرؤهم وأشدهم نفوذا فى عساكره، وأفضى بسره فى ذلك الوقت إلى يوسف كمال، وكان ناظر دائرته الخاصة فأخذ يوسف على عهدته تنفيذ إرادة مولاه.

استخلص يوسف من صف ضباط آلاى السودان باشجاويشا شركسيا ودعاه إلى بيته فى أوائل شهر مارس سنة ١٨٨١ وأكرمه وكلفه ببث الفتنة بين العساكر والصف ضباط وتحريضهم على عدم طاعة ضباطهم فيما يأمرونهم به وأن يفهمهم بأن ضباطهم لا يريدون بهم خيراً .. فإذا صدر الأمر بنقل أميرالاياتهم أو غيره من كبار الضباط إلى آلاى آخر فعليهم أن لا يعارضوا فى ذلك وأن يقبلوا كل ضابط يعين لهم، فذهب الأحمق وكتب عريضة ضمنها أن العساكر والصف ضباط لا يحبون ضباطهم ولا يريدون أن يكونوا تحت قيادتهم وإذا نقل أى واحد منهم إلى أية جهة فلا يعارضون أمرا من الأوامر التى تصدر بذلك.. وطلب منهم أن يختموا عليها قائلا أنها عريضة طلب فيها زيادة المرتبات لهم.. فانصاع الجميع لهذا الطلب لجهلهم

بالقراءة والكتابة، غير أن أمين أحد البلوكات أطلع على العريضة، فأخبر اليوزباشى سليم الزيدى بها، وسلمها إليه وسلمها هو بدوره إلى عبدالعال، فقدمها عبدالعال إلى نظارة الجهادية، فأوصلها الناظر إلى الجانب الخديوى فأمر بالتحقيق لمعرفة منشأ هذا الفساد، فصرح الباشجاويش بأن يوسف كمال هو الذى أمره، فصدر أمر الخديوى بفصله ظنا منه أن ذلك ينفى الشبهة فى أن لجنابه يدا فى الحادثة ولكن الضباط كانوا على يقين تام من أن ناظر الدائرة الخاصة لم يعمل الا بإرادة مولاه، ويقال أن عزل يوسف كمال كان بناء على طلب عبد العال ومساعدة عرابى له.

دسائس خديوية

وفى أوئل شهر أبريل ١٨٨١ حدثت حادثة أخرى. ذلك أن رجلا يسمى فرج الزيني، من أمراء الآلايات المستودعين كان يسكن فى طره بجوار مركز الاى السوادن، وكان من خدم الخديوى السابق رجل يسمى إبراهيم أغا التوتنجى، وكان من رأيه أن يلقى الخلاف بين العساكر وبين أميرالاى عبد العال بواسطة «فرج الزينى» واتفق معه على ذلك وكان لفرج الزين صهر يساكنه فى بيت واحد فاتخذه آلة لتنفيذ ما يريد. فتعرف إلى جاويش يسمى عبد الخير، ودعاه إلى فرج الزينى فأكرمه وطلب منه أن يكثر من التردد إليه هو وأعوانه، فذهب عبدالخير وأخبر البكباشى خضر بما حدث له. فسمح له بالتردد وأمره بأن يخبره بكل ما يحدث

مؤامرة فرج الزيني

واجتمع عند فرج الزينى إثنا عشر من صغار ضباط السودان فى إحدى ليالى شهر أبريل ١٨٨١ فأبلغهم سلام الخديوى، وأنه يريد أن يؤمر عليهم أميرا هو فرج الزينى نفسه، وأن متى صار الأمير منهم، رقى الباشجاويش إلى بكباشى والأنباشى إلى ملازم، فتلقوا ذلك منه بالقبول وانصرف عبد الخير وأفضى بالأمر إلى خضر.

ثم اجتمعوا مرة ثانية فى مزرعة قمح وطلب منهم فرج الزينى أن يرفعوا على ضباطهم شكاية من تصرفهم إلى الخديوى ليبنى عليها ذلك التغيير.

فعندما سمعوا ذلك قام واحد منهم وقال هذا لا يريد بنا خيرا وعلينا أن نكرهه على الوقوف بين يدى ضباطنا فى الحال، واتفقت كلمتهم على ذلك .وطلبوا منه أن يسير معهم فأبى، فاحتمله عبد الخير وساعده إخوانه حتى أحضروه عند خضر. فكتب بذلك إلى أميرالآلاى فحضر وطلب محاكمة فرج

الزينى فحوكم وظهرت معه رسائل من إبراهيم أغا تدل على أنه مصدر هذا الشغب وحكم على فرج الزينى بإنزاله من رتبة القائمام إلى رتبة البكباشى، فعفا عنه الخديوى!!

تأثير دسائس الحاشية الخديو فى عرابى

سيطر الخوف على عرابى بعد حادثة قصر النيل، ودخوله فى يمين الأمان مع على فهمى لم يخفف من حدة قلقه. وقد زاد فى اضطرابه تكرار هذه الحوادث والوقوف على مصادرها وأن خاصة الخديوى هم العاملون فيها. وذلك لايحدث إلا بناء عن رأيه.

فاحتاط للأمر وأخذ يبعد من كبار الضباط من لا يثق بهم. فأوحى إلى ضباط آلاى العباسية « آلاى عرابى» أن يخالفوا أوامر البكباشى ألفى يوسف وأن يهينوه متى سنحت الفرصة ، فتجاوزوا الحد فى سوء المعاملة معه إلى أن كلفوه يوما بتقديم استقالته فأبى. ودافع عنه يوزباشى يسمى خليل على . وعندما علم عرابى بذلك ألزم البكباشى بتقديم استقالته وحوكم اليوزباشى فحكم عليه بالسجن مكبلا بالحديد مع عدم عودته إلى الخدمة العسكرية.

وكذلك أشار إلى ضباط آلاى القلعة فطلبوا إلى النظارة عزل أميرهم حمدى بك صدقى فعزل، وعين بدله ابراهيم حيدر، وكذلك فعل آلاى الطوبجية. فعزل حاكم الآلاى حسين بيك وعين بدله اسماعيل صبرى.

.. هكذا فتحت «الجمهورية» هذه الصفحات التى اقتطعتها، بتصرف، من مذكرات الإمام الشيخ محمد عبده.. ولكنها لم تستكمل هذه المذكرات ولهذا رأينا أن نعيد نشر هذه المذكرات كاملة فى هذا الكتاب.

● نشر فى «الجمهورية» فى يوم ٧ يونيو ١٩٥٦

الفصل الرابع

مذكرات قائد العمليات الحربية في جيش عرابى (١)

- قصة عزل إسماعيل وثورة الجيش على نوبار
- الضباط يضربون نوبار .. ويسقونه «الزيت الحار»!
- وزير الداخلية يهرب إلى «الأقطار الأوروبية»
- كيف تزعَّم عرابى ثورة الجيش؟..



مذكرات قائد العمليات الحربية فى جيش عرابى

. قصة عزل اسماعيل وثورة الجيش على نوبار

. الضباط يضربون نوبار..

وزير الداخلية يهرب الى الاقطار الاوربية

كيف تزعم عرابى ثورة الجيش..؟

«تقديم»

بهذا الفصل نبدأ فى نشر هذا الجانب من مذكرات المهندس محمود فهمى، قائد العمليات الحربية فى الجيش المصرى خلال الثورة العرابية.. وهى مذكرات كتبها فى جزيرة سيلان (سيرى لانكا الآن) بعد نفيه إلى هذه الجزيرة مع عرابى وزعماء الثورة العرابية.. ويتحدث فيها عن الأحداث التى شاهدها أو اشترك فيها.. وقد نشرتها «الجمهورية» فى ثلاث حلقات وقدمتها بنبذة عن محمود فهمى تحت عنوان :

«محمود فهى قائد العمليات الحربية فى معارك عرابى. وصاحب فكرة ردم قناة السويس»..

وقد قالت عنه فى هذا التقديم أنه ولد فى قرية الشنطور مركز ببا بمديرية بنى سويف.. من عائلة فقيرة وتعلم فى مكتب «بوش» ثم انتقل بعد الإمتحان إلى المدرسة التجهيزية بالأزبكية وأتم تعليمه فى مدرسة الهندسة ببولاق وبعد تخرجه ألحق بأورطة المهندسين بطرا وتخصص فى هندسة الاستحكامات العسكرية. وعندما أنشئت المدرسة الحربية الهندسية بالقناطر الخيرية عين مدرسا فيها لعلم الاستحكامات والفنون العسكرية.

عمل مهندسا عسكريا بقسم الساحل على البحر الأبيض المتوسط وأنشأ ١٧ قلعة على ساحل البحر من أبى قير إلى طابية فنار البرلس.

وفى حروب الصرب والجبل الأسود اشتغل رئيسا لأركان حرب الفرقة المصرية وبعد هذه الحرب اشتغل مفتشا بهندسة الأقاليم الوسطى وتشمل

مديريات الفيوم وبنى سويف والمنيا وأسيوط.

وعندما عين محمود سامى الباردوى وزيرا للحربية عين محمود فهمى فى وظيفة باشمهندس الاستحكامات المصرية وسافر إلى الاسكندرية لاصلاح القلاع والطوابى.

وفى وزارة محمود سامى البارودى عين محمود فهمى وزيرا للأشغال.

وعند نشوب الحرب بين الجيش المصرى والجيش البريطانى، كان محمود فهمى قائد العمليات الحربية وهو الذى تولى اقامة التحصينات فى كفر الدوار وأرغم الجيش البريطانى على الارتداد أمام هذه التحصينات وكان من رأيه ردم قناة السويس حتى لا يستطيع الأسطول البريطانى المرور منها.

وفى الحلقة الأولى من المذكرات يعود محمود فهمى إلى البدايات الأولى لحركة ضباط الجيش زملاء عرابى.. ويشرح كيف ساءت أحوال مصر فى عهد اسماعيل بسبب اسرافه واقتراضه لمواجهة مصروفاته الباهظة مما أوقع البلاد فى قبضة أصحاب الديون ، ووافق اسماعيل على تعيين ناظر مالى انجليزى وآخر للأشغال فرنسى.

وبعد تولى محمد توفيق الخديوية المصرية بدأ فصل جديد فى التاريخ المصرى... وكانت بداية حركة الضباط برياسة عرابى.. مع عزمهم على مواجهة تصرفات عثمان رفقى، وزير الحربية، الشركسى الذى كان يضطهد المصريين فى الجيش ، فبايع الضباط عرابى رئيسا لهم وعزموا على مواجهة عثمان رفقى.. وتوجه عرابى وعلى فهمى وعبدالعال إلي رياض باشا رئيس النظار الذى استجاب لهم.. وأبطل ما كان عثمان رفقى قد اتخذه من قرارات.. لتبدأ بعدها مؤامرة رفقى مع الخديو توفيق للقبض على الضباط الثلاثة ومحاكمتهم وسجنهم.

«مذكرات قائد العمليات الحربية فى جيش عرابى».. فى فصلها الأول، هى الفصل الرابع فى هذا الكتاب.. وقد بدأت «الجمهورية» نشرها فى يوم ٢٧ مايو ١٩٥٦.. ونتابع معا هذا الفصل على الصفحات التالية.

تمرد في الجيش الفرنسي

الجنود يرفضون السفر الى الجزائر والشعب يساعدهم على الفرار

الجمهورية

AL GOUMHOURIA — 27 MAY 1956

١٢ صفحة — ١٠ مليمات

الكاريكاتير صفحة كاملة ص ١٢

استيلاء حكومة السودان على مدارس الارساليات التبشيرية

قانون محاكمة رئيس الجمهورية والوزراء وقانون عضوية مجلس الأمة

عرضها على مجلس الوزراء في جلسة خاصة في أوائل الشهر

ينتظر ان يعقد مجلس الوزراء جلسه خاصة ، في اوائل الشهر القادم ، لبحث التشريعـات المنظمة للحكم .. وفي مقدمتها قانون محاكمة رئيس الجمهورية والوزراء ، وقانون عضوية مجلس الامه . وقد عكف الرئيس جمال عبد الناصر امس الاول على مراجعة هذه القوانين تمهيدا لعرضها على المجلس .

استيلاء حكومة السودان على جميع مدارس الارساليات التبشيرية

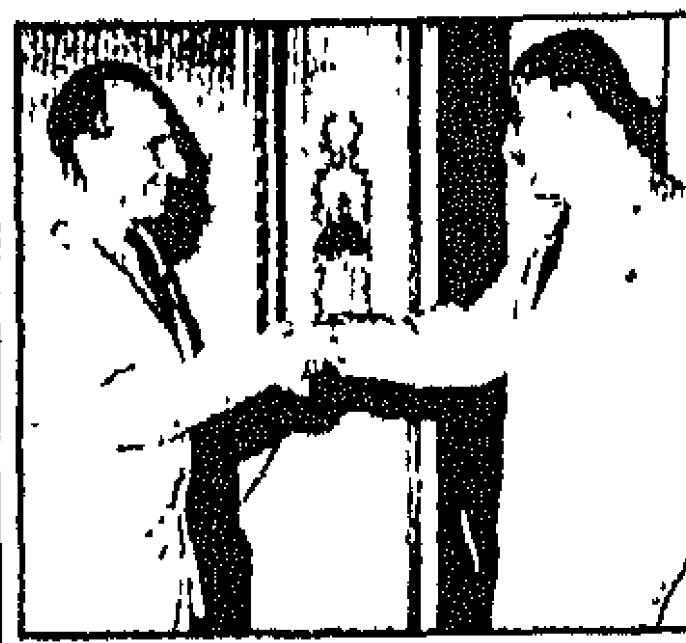
خطاب الرئيس

في مؤتمر التعاونيين يتناول جميع المسائل التي تشغل الرأي العام

الناخبون يتسلمون

تيتو يزور موسكو

القلة حكومة شرق الباكستان وتعطيل دستورها



أبو نوار ينذر اسرائيل

لا شكوى ولا احتجاج بعد اليوم سنرد اعتداءات اسرائيل بالسلاح

قال اللواء ابو نوار القائد الجديد للجيش الاردني امس ان هدف الجيش الاردني هو الدفاع عن حدود بلاده وكرامتها ، وان تحسد العرب لن يتم الا باسترداد الجزء المغتصب من اراضيهم

وقال ان البعثة العسكرية الاردنية ستتولى الشمام بزيارة الدول العربية لمواجهة اسرائيل بجيش عربي موحد ، وان الايام التي كان يرد فيها على اعتداءات اسرائيل بشكوى قد انتهت .

الطائرات البريطانية تضرب سكان عدن

بسبب الصقور وتثير الرمال في الجو

فرموزا تتوقع هجوما صينيا

روسيا تستطيع تدمير امريكا سنة ١٩٥٩

روسيا ترفض احتجاجا للغرب

تمرد في الجيش الفرنسي

الشعب الفرنسي يساعد الجنود على العصيان ويوقف القطارات لاخراجهم منها

انتشرت حركات العصيان والتمرد بين الجيش الفرنسي في جميع انحاء فرنسا ، وساهم الشعب الفرنسي في مساعدة الجنود على الفرار من صفوف الجيش حتى لا يرسل بهم الى الجزائر ، ليلاقون هناك المصير الرهيب .

الانجليز يجلدون الوطنيين في قبرص ويسجنون الاطفال والفتيات في كينيا

اتخذت السلطات البريطانية في قبرص وكينيا امس على اعمال وحشية رهيبة ضد الوطنيين .. حتى الفتيات الصغيرات والاطفال لم ينجوا من وحشية الانجليز ، واعمالهم الارهابية التنسيقية

(التفصيل صفحة ٧)

سر الاعتراف بالصين الشعبية

بقلم : أمين شاكر

الصفحة الأولى من « الجمهورية» في يوم ٢٧ مايو ١٩٥٦

من هو ..؟

محمود فهمي

قائد العمليات الحربية وصاحب فكرة ...

مذكرات قائد العمليات الحربية في جيش عرابي

قصة عزل اسماعيل وثورة الجيش على نوبار

الضباط يضربون نوبار.. ويسقطون الوزارة الحالة!



وزير الداخلية يهرب إلى الأقطار الأوربية

كيف تزعم عرابي ثورة ...؟

وأخيرا .. سقط الاستعمار

من أهل الشعب

استغلال وادي النطرون

الجلاء أول الطريق نحو مصر الفاخرة ...

جمال عبد الناصر

الدستور الذي سنستفتى فيه

مستوى لائق من المعيشة

صور من ثورة ١٩١٩

جمهورية زفتى

من الشعر الثوري

عرش غريب

للشاعر الوطني أحمد نسيم

الصفحة الثالثة من « الجمهورية» في يوم ٢٧ مايو ١٩٥٦

مذكرات قائد العمليات الحربية في جيش عرابى (١)

بقلم :
محمود فهمي

كان إسماعيل مولعاً بالزخرفة والأبنية، وكان ينفق المصاريف الباهظة اللازمة لتنفيذها ولا يهتم بصرف مرتبات الضباط والعساكر، فتراكمت الديون إلى حد كبير جداً على الحكومة المصرية مما أوجب قلق الدول الأوروبية التى اتفقت على تعيين مجلس أسموه «مجلس التصفية».



محمود فهمي

ولما رأى هذا المجلس حصول العجز الكبير فى الإيرادات ألزم الخديو إسماعيل بتنازله عن أملاكه الخاصة وأملاك عائلته وسلمت لأرباب الدين ووافق إسماعيل على تعيين ناظر مالى إنجليزى اسمه «ريفرز ولسن» وآخر للأشغال اسمه «ديلنير» فرنساوى وشكل وزارة تحت رئاسة نوبار.

تسريح الجيش للاقتصاد

وفى أثناء ذلك كانت مرتبات الضباط والجنود موقوفة الصرف منذ شهور عديدة وتقرر فى جلسات النظّار فصل بعض الضباط وتسريح بعض الجنود اقتصاداً للمال.

ليس للخديوى كلمة نافذة

وكان نوبار وولسن وديلنير متقلدين زمام الحكومة المصرية وليس للخديوى كلمة نافذة..

الحجر على إسماعيل

ثم أدخل كل من نوبار وولسن وديلنير أحباءهم وأقاربهم وأصحابهم من بلادهم فى خدمة الحكومة، وأخذوا يرفتون من شاءوا ويخدمون من شاءوا.. وحجروا على إسماعيل وأولاده.

وافتقر ضباط العسكرية حتى آل أمرهم إلى السؤال، فعرضوا أخيراً عريضة على إسماعيل يطلبون منه صرف مرتباتهم المتأخرة، فحولهم على النظار.

وكان نوبار رئيس النظار فاتفق الضباط على يوم معلوم يلتقون فيه فى شارع ديوان المالية، وقبضوا على نوبار وسقوه الزيت الحار، وألزموه بصرف مرتباتهم وضربوه مع ريفرز ولسن ناظر المالية وذهبوا إلى ديوان المالية شاهرين سيوفهم وكانوا أكثر من ٤٠ ضابطاً، وحصل لغط وهياج ووصلت

أخبار هذه الثورة إلى إسماعيل، فأسرع بالحضور إلى ديوان المالية وأمر بصرف مرتبات الضباط والجنود، وصرفها ولسن ناظر المالية على الفور.

الهرب إلى الأقطار الأوروبية

وبعد هذه الإهانة والاحتقار استقال نوبار وولسن كما استقال رياض من الداخلية وخرج سريعاً كما هى عادته هارباً إلى الأقطار الأوروبية.

أمور مرتبكة

وفى يوم ٢٦ يونيه ١٨٧٩ تولى محمد توفيق الخديوية المصرية وكانت أمورها مرتبكة وأحوالها مختلفة بسبب ما طرأ عليها من المصاعب والآفات، من عسر المالية وعدم انتظام العسكرية، وما حدث من تدخل الأجانب فى أحوال البلاد مدة الوزارة النوبارية، واشتداد وطأتهم على رجال الجيش حتى أوجد الضغائن فى صدر الضباط.

وزير الحربية شركسى

كان هناك نفور بين الضباط المصريين وبين عثمان رفقى ناظر الحربية لأنه شركسى، حتى أن البعض منهم مثل «على فهمى» و«أحمد عبدالغفار» كانا ينبذان أوامره ولا يعملان بها، فأراد استبدال هؤلاء بغيرهم من الشراكسة أبناء جنسه وحرر بذلك أوامره.. ولما بلغ عرابى ورفقاءه هذه الأخبار قامت القيامة وقلقوا واجتمع عليهم الضباط وسارت لهم مجالس وحفلات، تارة فى منزل عرابى وتارة فى منزل عبدالعال أو أحمد عبدالغفار.

زعامة عرابى

وقال عرابى لعبدالعال وعلى فهمى وأحمد عبدالغفار الذى فصله عثمان رفقى فعلاً:

- إن كنتم رجالاً ولكم قدرة على خلاص وطنكم فها هو قد آن الوقت.. وإن لم يكن فيكم قدرة ولستم برجال فخلوا الشراكسة يفعلون فيكم ما

يفعلون..

فقالوا له:

- نعم وأنت الرئيس علينا..

فقال لهم:

- قبلت ذلك..

العريضة الأولى

وتحالفوا فيما بينهم وكان ذلك فى منزل عرابى ثم اجتمع عليهم الضباط الآخرون وتقرر أن هؤلاء الثلاثة: عرابى وعلى فهمى وعبدالعال، حيث إنهم رؤوس الألايات، يكتبون عريضة يتظلمون فيها من أعمال وإجراءات عثمان رفقى فى حقهم وصدور أوامره برفتهم، ويقدمونها لرئيس النظار رياض، فتوجه الثلاثة إليه وعرضوا عريضتهم عليه فأخذ رياض عريضتهم وجبر خاطرهم ووعدهم بما يكون فيه الصلاح لأنفسهم.

مخبرون لمراقبة عرابى

وأبطل رياض ما صدر من أوامر عثمان رفقى بعد أن تكلم معه أمام توفيق كلاماً ثقيلاً فقال توفيق:

- لابد من محاكمة هؤلاء وترتيب الجزاء اللازم عليهم..

رفقى يطالب بالمحاكمة العسكرية..

فقال عثمان رفقى:

- أنا أحب من أفندينا أن يصدر لى أمراً بمحاكمتهم بواسطة مجلس عسكرى، ومعاقبتهم على ما فعلوه من هذه الوقاحة..

فقال له توفيق:

ـ إنه ربما ينشأ من ذلك ثورة عسكرية يصعب إطفاؤها..

مؤامرة لقتل الأبطال

قال عثمان رفقى:

ـ بنفسى أفندينا لا يحصل شىء وأنا المسئول..

وساعده فى ذلك خيرى باشا الشركسى ويوسف باشا الشركسى، وحصل عثمان رفقى على أمر من الخديوى بمحاكمة الضباط الثلاثة وتجريدهم من رتبهم وقتلهم.

" محمود فهمي »

● نشر فى «الجمهورية» فى يوم ٢٧ مايو ١٩٥٦

الفصل الخامس

مذكرات قائد العمليات الحربية في جيش عرابي (٢)

- عرابى يبدأ المعركة بكلمة «ولدنا أحراراً»
- ثورة الناس ضد الخديوى الذى باع البلاد
- النساء يتبرعن بحليهن لتزويد الجيش
- الخديوى يفتح الطريق أمام الأسطول البريطانى
- وكيل محافظة الإسماعيلية التركى يسلم منطقة القنال

مذكرات

قائد العمليات الحربية في جيش عرابي

الحلقة الثانية

- عرابي يبدأ المعركة بكلمة «ولدنا أحرارا»
- ثورة الناس ضد الخديوي الذي باع البلاد
- النساء يتبرعن بحليهن لتزويد الجيش
- الخديوي يفتح الطريق أمام الأسطول البريطاني
- وكيل محافظة الإسماعيلية التركي يسلم منطقة القناة

«تقديم»

تتابع «الجمهورية» فى هذا الفصل من مذكرات محمود فهمى وصف ما حدث عندما تسلم عثمان رفقى أمر الخديوى بقتل الضباط الثلاثة عرابى وعلى فهمى وعبدالعال.. ومؤامرته لاستدراجهم إلى ديوان الحربية بقصر النيل.. وتنبه الضباط إلى أن هذا الاستدعاء يعنى مؤامرة عليهم.. فسعوا لإفشالها.. ونجحوا فى ذلك وتمكن زملاؤهم من إطلاق سراحهم بعد أن كان عثمان رفقى قد قبض عليهم بالفعل.. وكانت النتيجة هى تجمع ثلاث فرق حاملة السلاح فى ساحة عابدين.. وتقدم عرابى إلى الخديوى طالبا خلع عثمان رفقى فوافق الخديو وعين محمود سامى البارودى ناظرا للجهادية.

وتتابع «الجمهورية» في هذا الفصل من المذكرات تطور الأحداث فى التوتر الحادث بين الخديو والضباط، مرورا بحادث قصر عابدين التاريخى.. والذى تجمع فيه عرابى وزملاءه وجنود الجيش.. وهتف عرابى فى وجه الخديو «لقد ولدنا أحرارا ولن نستعبد بعد اليوم».

وتتابع الأحداث حتى ضرب الاسكندرية بقنابل الأسطول البريطانى.. وخيانة الخديو توفيق وانضمامه إلى الإنجليز.. وقرار العلماء والمديرين والتجار فى القاهرة بخلع الخديو الذى خالف الشرع والقانون..وقراره ببقاء عرابى على خط الحرب للمدافعة عن الأمة التى تكاتفت فى جميع المدن والأقاليم وقامت بجمع الإعانات اللازمة للعساكر من نقود وغلال وملبوسات ومؤكولات وحيوانات لجر المدافع.. ولكن الخيانة كانت تؤدى دورا قاتلاً.. وتزعم الخونة محمد سلطان باشا وعدد من العربان.. وطلب عرابى من محمود فهمى ردم قناة السويس.. ولكن الخيانة كانت قد أحدثت فعلها.. وبواسطة الضباط الشراكسة استحوذ الإنجليز على جميع جبهات القتال.. وهرب الجنود منها.. وبدأت صفحة سوداء فى تاريخ الوطن.

«مذكرات قائد العمليات الحربية فى جيش عرابى: عرابى يبدأ المعركة بكلمة ولدنا أحرارا».. هو الفصل الثانى من مذكرات هذا القائد.. وهو الفصل الخامس فى هذا الكتاب.. وقد نشرته «الجمهورية» فى يوم ٢٨ مايو ١٩٥٦.. ونتابعه معا على الصفحات التالية.

الإفراج عن المسجونين

الذين أمضوا نصف مدة العقوبة بمناسبة أعياد الجلاء

الجمهورية

AL GOUMHOURIA — 28 MAY 1956

١٢ صفحة — ١٠ مليمات

- مصر فى يوم الطيران الروسى
- اسرائيل ترشو صحف تركيا
- وفاة آخر عبد
- معركة بالخناجر فى قبرص

إنذار المدارس الأجنبية التى تتهرب من تدريس الدين

الإفراج عن المسجونين

الذين أمضوا نصف مدة العقوبة بمناسبة أعياد الجلاء

تعد الجهات المختصة الآن مشروع قانون بالافراج عن المسجونين غير الخطرين على الامن الذين لاتزيد سوابقهم على خمس سوابق، والذين امضوا نصف مدة العقوبة المحكوم بها عليهم فى يوم ١٨ يونيو القادم، بمناسبة عيد الجلاء.

اشتراك الجيش السورى فى احتفالات مصر بالجلاء

مصر تنوب عن دول باندونج فى بحث مشكلة الجزائر

خاطر الصباح

اسرائيل تفرج عن الطائرة الهولندية

مصر تبلغ الدول اصرارها على اجابة مطالب الشعب الجزائرى

دماء الشهداء

وفاة آخر عبد



مشروع القرار البريطانى المقدم لمجلس الأمن

بشأن تقرير همرشلد يتكون من ٧ مقترحات

أم تسترد ولدها فيعود إليها بصرها

عاد الى أم بصرها امس عندما سمعت صوت ابنها الذى غاب عنها ثلاث سنوات فقدت خلالها البصر حزنا عليه.

بعثة مصرية

اسرائيل ترشو صحف تركيا !!

حاكم قبرص

بريطانيا ترحب

اجتماع الرئيس بالسفير البريطانى

انذار المدارس الأجنبية التى تتهرب من تدريس الدين

١٥ ألف سهم من شركة السكر

الأسرة المالكة البريطانية تقطع اجازتها

خوفا من انتقام الفدائيين القبرصيين !

قتال بالخناجر فى قبرص

مؤامرة جديدة

الصفحة الأولى من «الجمهورية» فى يوم ٢٨ مايو ١٩٥٦

مذكرات

قائد العمليات الحربية فى جيش عرابى

الحلقة الثانية

هذه هى الحلقة الثانيــــة من مذكرات المهندس محمود فهمى ، قائد العمليات الحربية فى جيش عرابى .. لقد كتب هذه المذكرات فى منفاه بجزيرة سيلان .. وهو هنا يحدثنا عن الخيــــانات التى ارتكبها الخديوى والباشــــوات الاقطاعيون والاتراك الذين خانوا مصر وفتحوا ابوابها لجنود الاحتلال

* عرابى يبدأ المعركة بكلمة « ولدنا أحرارا »
* ثورة الناس ضد الخديوى الذى باع البلاد
* النساء يتبرعن بحليهن لتزويد الجيش
* الخديوى يفتح الطريق أمام الأسطول البريطانى
* وكيل محافظة الإسماعيلية التركى يسلم منطقة القنال

قال محمود فهمى فى مذكراته

فشل المؤامرة

ولدنا احرارا ..

خلع الخديوى

الأمة تتكلم

حوادث تاريخية

توفيق يخضع للجيش

الخيانة فى الاسكندرية

الخديوى يتعاون مع الاعداء

خيانات اخرى

باب النصر .. مقدس !!

فى اللحظة الاخيرة

ثم بدأت المعركة

« اقرأ بقية المذكرات غدا »

واخيرا ... سقط الاستعمار

واخيرا سقط الاستعمار .. وخرج جنوده من ارض الوطن .. ان لصنائع الاستعمار البريطانى قصــــة طويلة دامية ، كانت بدايتها مليئة بالخيانات .. وزاخرة بصور البطولة والمقـــاومة ان الصورة المنشورة هنا ... تبين مدينة الاسكندرية وهى تتحول الى قطعة من الجحيم .. لقد اشعل المصريون النيران فيها لتسقط فى أيدى المحتلين وقد تحولت الى رماد .

مواطن الشعب

الطرق .. والمواصلات

حرصت الثورة على وضــــع سياسة ثابتة لنظام من النقل يضمن ربط مراكز الانتاج بمراكز الاستهلاك وتتوافر فيه عناصر الراحة والسرعة وانخفاض الاجور حتى يكون ذلك عونا على نجاح الخطة الانتاجيــــة الضخمة التى وضعتها ..

وقد تم تنفيذ الخطة على الوجه التالى :

● الطرق البرية :

اعد برنامج للنهوض بشئون الطرق البرية بحيث يكفل التوسع فى انشاء الطرق الجديدة على احدث الاساليب الفنية مع ادخال مايلزم من التعديلات والاصلاحات على الطرق القائمــــة بما يضمن قيامها بوظيفتها على اتم وجه .

وقد قسم البرنامج قسمين :

اولا : القسم الاول : البرنامج العاجل ، ويتضمن الاعمال العاجلة التى لاتحتمل التأجيل بحيث تنفذ خلال المدة من عام ١٩٥٣ الى ١٩٥٧ وقد اعتمد له مبلغ ٩ ملايين جنيه ويشمل :

● رصف ٦٠٠ كيلو متر من الطرق وتوسيع ٩٥٠ كيلو متر من الطــــرق بالوجهين البحرى والقبلى ..

● انشاء ١٠٠٠ كيلو متر من طرق البحر الاحمر من السويس الى الطور ومن السويس الى مرسى علم .

● تجديد كبارى الطرق

● انشاء طرق بمناطق المياه بالوجه القبلى

● تحسين شبكة الطرق الصادر بها قانون لتسيير سيارات نقل الركاب .

قامت الثورة خطوة ايجابية فى سبيل دعم اسطولنا التجارى ، ولكى يتحمل السفن المصرية فى نقل البضائع ، كما تقرر اتخاذ الاجراءات الآتية للنهوض بشركات الملاحة المصرية ومساعدتها على التوسع :

١ - تكوين صندوق لدعم الاسطول التجارى وتخصيص موارد هذا الصندوق لدفع لوائد لروض الشركات التى ستقوم بانشاء وحدات جديدة .

٢ - تكوين الاسبقية فى برنامج الانشاء ناقلات البترول لسفن نقل البضــــائع ومدن الركاب .

● مشروعات لتحسين الموانى المصرية : ومنها المشروعات الآتية ، لتحسينهـــا حال الموانى المصرية تلبى جميع احتياجات الملاحة المتزايدة :

١ - مشروع لتعميق حوض البترول بالسويس .

٢ - مشروع انشاء حوض جاف بميناء الاسكندرية .

٣ - مشروع ترسانة بحرية .

● التليفونات والتلغرافات :

« البقية ص ١١ »

فى هذا العام ..

من الشعر الثورى

الصفحة الخامسة من «الجمهورية» فى يوم فى يوم ٢٨ مايو ١٩٥٦

مذكرات قائد العمليات الحربية فى جيش عرابى (٢)

بقلم :
محمود فهمى

هذا هو الفصل الثانى من مذكرات المهندس محمود فهمى، قائد العمليات الحربية فى جيش عرابى.. لقد كتب هذه المذكرات فى منفاه بجزيرة سيلان.. وهو هنا يحدثنا عن الخيانات التى ارتكبها الخديوى والباشوات الإقطاعيون، والأتراك الذين خانوا مصر وفتحوا أبوابها لجنود الإحتلال.



محمود فهمي

قال محمود فهمى فى مذكراته..

استلم عثمان رفقى أمر الخديوى بقتل الضباط الثلاثة وسار به فى الحال إلى ديوان الحربية وحرر أوامر إلى عرابى وعبدالعال وعلى فهمى بأنه لابد من حضورهم فى موكب زفاف أخت الخديوى وأن يكون حضورهم إلى ديوان الحربية بقصر النيل، ولما وصلت هذه الأوامر أحسوا بما سيحدث لهم وأخذوا فى أداء طرائق التحفظ.

وفى صباح اليوم الثانى سار عرابى وعبدالعال إلى ديوان الحربية ، وأما على فهمى فإنه أرسل بدله خورشيد بسمى قائمقام الألاى، فلما دخل الديوان أعاده عثمان رفقى وقال له: لست أنت المطلوب بل المطلوب الأميرالاى فاذهب وارسله.

فشل المؤامرة

فعاد خورشيد إلى الآلاى فى عابدين وأخبر على فهمى بذلك، وكان على يقين مما سيحدث فدعا البكباشى محمد عبيد وقال له:

سأحضر الآلاى وعند حضور أول اشارة لك أسرع إلى قصر النيل. وأخذ على فهمى معه واحدا من البروجية وسار حتى دخل ديوان الجهادية مع عرابى وعبدالعال، فلما دخل الثلاثة جردوهم من سيوفهم فأوعز على فهمى إلى البروجى الذى خرج مسرعا إلى الآلاى فى عابدين وضرب بنفيره نوبة حملة وهجوم، فقام محمد عبيد مسرعا وأخذ أورطه من الآلاى أحاط بها الخديوى توفيق فى عابدين وأخذ أورطة أخرى وسار إلى قصر النيل وهجم على الديوان وأخرج الأميراليات الثلاثة من السجن، وفى أثناء هذا هرب

عثمان رفقى من أحد شبابيك غرفته ملتجئا إلى الخديوى.

توفيق يخضع للجيش

وخرج محمد عبيد وعساكره مع الضباط الثلاثة وتوجهوا جمعيا إلى عابدين وأرسل عرابى إلى آلايه فى العباسة وآلاى عبد العال حلمى فى طره، وبعد قليل إجتمعت الفرق الثلاث حاملة السلاح فى ساحة عابدين، فقام عرابى خطيبا فيهم وشكرهم وأثنى عليهم، ثم تقدم إلى الخديوى وطلب فى الحال خلع عثمان رفقى فأجاب الخديوى الطلب وعين محمود سامى البارودى ناظرا للجهادية.

باب القصر.. مقدس!!

وفى ٢٥ يوليو ١٨٨١ كان الخديوى مصيفا فى الإسكندرية وصدمت عربة أحد التجار جنديا من جنود الطوبجية فقضى عليه فى الحال، فحمله رفقاؤه إلى سراى رأس التين وطلبوا من الخديوى النظر فى أمره . ولما رآهم الخديوى فى هذه الحالة وعدهم وأمن خاطرهم.

وفى الحال أمر الخديوى بعقد مجلس حربى وبعد الفحص أصدر هذا المجلس أمرا يقضى بسجن عسكرى بالأشغال الشاقة مدى الحياة وسجن زملائه وعددهم ثمانية بثلاث سنوات فى الليمان.

ولما بلغ عبدالعال حلمى هذا الخبر أخذه الحمق وأرسل إلى ناظر الجهادية محمود سامى يشكو إليه قسوة هذا الحكم ، فعرض محمود سامى تلك الشكوى على الخديوى فغضب واستدعى النظار من القاهرة إلى الاسكندرية وعقدوا مجلسا تحت رياسته وقدم محمود سامى إسقالته وعهد الخديوى إلى داود يكن بنظارة الجهادية.

ثم بدأت المعركة

ولما استقال محمود سامى من نظارة الجهادية وتوجه إلى منزله فى القاهرة توجه إليه أحمد عرابى سرا فى الليل وتعاهد معه. ولما استوثق عرابى من ذلك عاد إلى منزله وتوجه فى صباح اليوم التالى إلى العباسية

وخاطب الآلايات ليستعدوا فى الحضور إلى عابدين وأرسل خطابا إلى الخديوى وإلى نظارة الجهادية يخبرهم به أن الجيش سيحضر إلى عابدين بخصوص طلبات عادلة تتعلق بإصلاح البلاد وراحة العباد، وكتب بذلك أيضا إلى قناصل الدول.

ولدنا أحرارا

فأرسل الخديوى رسلا إلى عرابى وعبد العال وأحمد عبد الغفار يحثهم على عدم إجراء مثل هذه الحركة.

وتكامل اجتماع الآلايات فى ٩ سبتمبر ١٨٨١ وكان الميدان غاصا بالجماهير، وكان قناصل الدول فى داخل السراى.

وقال عرابى لتوفيق فى ذلك اليوم: لقد ولدنا أحرارا ولن نستعبد بعد اليوم.

حوادث تاريخية

كتب محمود فهمى بعد ذلك حوادث تاريخية معروفة ليس فيها جديد، وشرح الأحوال التى أعقبت حادثة عابدين وسفر عرابى إلى رأس الوادى ثم توليه وزارة الحربية، وما تلا ذلك من ضرب الإسكندرية بقنابل الأسطول البريطانى.

ثم عاد يقول:

خلع الخديوى

وبعد ضرب الإسكندرية عقد اجتماع فى القاهرة فى ديوان الداخلية من المديرين والحكام والعلماء والتجار وقام الخطباء فى هذا المجلس وصرحوا بأن الخديوى باع الوطن للإنجليز.

وأخيرا استقر الرأى فى هذا المجلس على أن الخديوى مادام خالف الشرع والقانون فليس له حكم على البلاد ولا سلطة على العباد وأنه مخلوع وتقرر بقاء عرابى فى منصبه على خط الحرب للبقاء للمدافعة عن الأمة

وختموا جميعا على هذا القرار وبعثوا بذلك للسلطان فى الاستانة وعينوا لجنة مؤلفة من ستة أشخاص يتوجهون إلى الإسكندرية لاستدعاء النظار إلى القاهرة للاستعلام منهم عن حقيقة ما حصل.

الأمة تتكتل

وتكاتفت الأمة المصرية فى جميع المدن والأقاليم وجمعت الإعانات اللازمة للعساكر من نقود وغلال وملبوسات ومأكولات ولحوم وخضروات وخيول وبغال لجر المدافع وتبرعت السيدات بحليهن.

الخيانة فى الإسكندرية

وفى نفس الوقت وصل القائد وولسلى إلى الإسكندرية واستلم قيادة الجيش الإنجليزى ومعه محمد سلطان باشا دليلا له وممهدا سبل سيره وحركاته، وأرسل محمد سلطان باشا خطابات بطريق السر إلى عربان موجودين فى كفر الدوار وكذلك أرسل على مبارك باشا إلى عربان نواحى الشرقية بشأن ترك الحركة العسكرية العدوانية أمام الجيوش الانجليزية ولهم من الخديوى الانعامات الجليلة والإحسانات والرتب.

الخديوى يتعاون مع الأعداء

وشرع الخديوى توفيق فى كسر خنادق قلاع باب العرب حتى تدخل مياه البحر الابيض المتوسط فى بحيرة مريوط وتستطيع القوارب الحربية الانجليزية الضرب منها على مواقع كفر الدوار وطلب الخديوى ٢٥ مدفعا من ذوات المقذوفات الطويلة لتركيبها على قلاع عملت فى ناحية سرايا الرمل لأجل الضرب بها أيضا على مواقع كفر الدوار والمحمودية وسواحل بحيرات أبو قير.

خيانات أخرى

وسار الأسطول الإنجليزى من الإسكندرية متوجها إلى بورسعيد ولما بلغ عرابى الخبر قال لى:

كيف العمل؟

فقلت له:

ابق أنت هنا وأنا أتوجه إلى الناحية الشرقية وركبت قطارا مخصوصا ووصلت إلى رأس الوادى وتقابلت مع راشد حسنى قائد المنطقة فقال لى أن على يوسف وخالد باشا توجها نحو السويس، فسرت خلفهما حتى قابلتها فى آخر محطة عند السويس ورأيت من عيونهما عدم الرغبة فى أى دفاع أو مقاومة، وبلغنى سرا من الضباط أن على أن على يوسف وخالد باشا أصدرا أوامرهما للعساكر بأنهم متى رأوا عساكر الانجليز يفرون أمامهم ويفتحون لهم المسالك والطرقات، ورجعت ليلا إلى الإسماعيلية ولما قربت منها سمعت فى وقت الفجر ضرب المدافع على الاسماعيلية من الأسطول الانجليزى، وبمساعدة وكيل محافظة الاسماعيلية التركى صار احتلالها بواسطة عساكر انجليزية ثم سارت نواحى القتال خالية من المصريين.

فى اللحظة الأخيرة

وأرسلت تلغرافا إلى عرابى فى كفر الدوار فأرسل لى تلغرافا يقول: ابذل جهدك فى ردم قناة السويس والأنفار وارده إليكم غدا.

فأخبرته أنه بواسطة ضباط الشراكسة استحوذ الانجليز على جميع جهات القنال وهرب الجنود منها تحت ملاحظة خالد باشا وعلى يوسف خنفس الشركسيين.

« محمود فهمي »

● نشر فى «الجمهورية» فى يوم ٢٨ مايو ١٩٥٦

الفصل السادس

مذكرات قائد العمليات الحربية في جيش عرابي (٣)

- ٤٠٠٠ مصرى يحاولون ردم قناة السويس
- كيف وقع قائد عمليات عرابى فى الأسر
- الخديوى حاول قتله ولكن الإنجليز رفضوا
- الخائن محمد سلطان يدخل القاهرة بالأعلام البريطانية
- كيف تم القبض على عرابى ورفاقه

قائد العمليات الحربية فى جيش عرابى

٤٠٠٠ مصرى يحاولون ردم قناة السويس

كيف وقع قائد عمليات عرابى فى الأسر

الخديو حاول قتله ولكن الإنجليز رفضوا

الخائن محمد سلطان يدخل القاهرة بالأعلام البريطانية

كيف تم القبض على عرابى ورفاقه



«تقديم»

هذا فصل حزين.. فى مذكرات المهندس محمود فهمى قائد العمليات الحربية فى جيش عرابى.. إنه يروى فيه تبعات الخيانة التى أدت إلى هزيمة جيش عرابى.. وانتهت الهزيمة باحتلال الانجليز لمصر.. وعاد الخديو محمد توفيق إلى القاهرة قادما من الاسكندرية وركب عربته من محطة القاهرة متوجها إلى سراى الاسماعيلية وعلى يساره ابن ملكة انجلترا وأمامه القنصل ماليت والقائد الإنجليزى وولسلى.. قمة الخيانة.

يحكى محمود فهمى كيف أسر فى الاسماعيلية بعد أن عجز عن سد قنال السويس بعد أن تفرق الأنفار الذين أعدهم لردم القنال.. وبقى وحده حتى أسره عساكر السوارى الإنجليز ونقل إلى الإسكندرية ليأمر الخديو بسجنه.

ويروى محمود فهمى ما حدث فى التل الكبير حيث عرابى بجيشه يتأهب لقتال الإنجليز.. ولكن الخائن على يوسف خنفس ضلل عرابى وكان مكلفا من عرابى باستكشاف خطط العدو فأخبره أن الإنجليز لن يتحركوا كما أشار إلى بعدهم عن الموقع.. وبدأ الإنجليز هجومهم عند الفجر ومعلومات خنفس تقول بعكس هذا.. وفى موقعة استمرت

عشرين دقيقة لأنها كانت مفاجأة غريبة.. استولى الانجليز على كل ما كان فى التل الكبير من ذخائر ومؤن وغير ذلك من إعانات الأمة المصرية.. وعندما احتل الانجليز قشلاقات العباسية خرج إليهم مئات من أبناء البلد من باب الشعرية والحسينية يحملون العصى والطوب والسكاكين يريدون محاربتهم ولكن مأمور ضبطية القاهرة أعادهم.. واستسلم لطلبات الانجليز بالقبض على عرابى وطلبة عصمت.. وجاء بهما إلى العباسية ليسجنا.. واحتل الانجليز باقى القاهرة وأقام وولسلى فى قصر عابدين.. وصدر أمر من الخديوى بإجراء التحقيق مع كل من كان له يد فى هذه الحوادث.. وامتلأت سجون القاهرة والاسكندرية والأقاليم بأكثر من تسعة وعشرين ألف نفس.. أما الخائن محمد سلطان باشا فقد نال مكافأة قدرها عشرة آلاف جنيه من الخديو.. ولم يكتف بها بل صار يرتشى ممن يدفعون عن نفسهم تهمة التداخل مع عرابى حتى لا يدخلوا السجن.. صفحة مظلمة.. فى التاريخ الحديث.. لا يجب أن تنسى.. سجلها المهندس محمود فهمى قائد عمليات جيش عرابى فى الجزء الأخير من مذكراته التى نشرتها «الجمهورية» فى يوم ٢٩ مايو ١٩٥٦ ونتابعها معا على الصفحات التالية..

قانون عضوية مجلس الأمة

المجلس يتكون من ٣٥٠ عضوا

١٢ صفحة — **الجمهورية** — ١٠ مليمات

AL GOUMHOURIA 29 MAY 1956

- الافراج عن المحكوم عليهم بالمؤبد
- سوريا تعترف بالصين الشعبية
- دلاس يعدل سياسة امريكا
- زلزال فى اليابان

انجلترا تضطر لتعديل مشروعها لمجلس الأمن نتيجة لمعارضة الدول العربية

اجتماعات عربية هامة لبحث المشروع البريطاني لمجلس الأمن

- أمريكا لا تؤيد المشروع البريطاني
- روسيا تتقدم بمشروع قرار جديد
- موقف عربي موحد ضد اى محاولة للصلح مع اسرائيل
- اعتبار تحويل مجرى نهر الأردن عدوانا مسلحا
- انجلترا تعدل مشروعها بعد معارضة الدول العربية

تعديل مشروع القرار البريطاني

على ضوء ملاحظات الحكومات العربية

١٨ يونيه

عيد قومي

الافراج عن المحكوم عليهم بالمؤبد

ولمن قضوا ١٥ سنة بمناسبة عيد الجلاء

مجلس الأمة يتكون من ٣٥٠ عضوا

علم المحرر السياسي للجمهورية انه قد تم بحث قانون عضوية مجلس الأمة، وسيصدر فى الاسبوع القادم باعتباره مكملا للدستور.

وينص القانون على ان يكون اعضاء مجلس الامة ٣٥٠ عضوا، وان تقسم الدولة الى ٣٥٠ دائرة انتخابية .. ويشترط فيمن يرشح لعضوية مجلس الامة ان يكون مصريا، وان يكون مقيدا فى احد جداول الانتخاب وان يكون بالغا من العمر ٣٠ سنة .. كما علم مندوب الجمهورية السياسي انه لم يتم تقسيم الدوائر حتى الآن، ولكن هناك دراسة لطريقة التقسيم لم تنته بعد.

لا عقوبة على الحجاج المتخلفين عن الاستفتاء

خاطر الصباح



الملك حسين يقول: لا حياة لنا الا بالوحدة

الرئيس القوتلي يقول: سيجدد العرب انتصارات صلاح الدين وخالد بن الوليد

قال الملك حسين فى خطاب الترحيب بالرئيس شكري القوتلي فى مأدبة العشاء فى قصر بسمان امس، لا حياة لنا الا بالوحدة، ولا كرامة لامتنا الا اذا وقفنا صفا واحدا وقلبا واحدا لنكون خير امة اخرجت للناس.

وقال الرئيس شكري القوتلي ردا على خطاب الملك حسين ان اول واجباتنا التآزر والتساند فى نطاق ممكن وحشد القوى مادية ومعنوية فى جبهة مشتركة موحدة يجدد بها العرب انتصارات صلاح الدين وخالد بن الوليد .. فان العدو يترقب الفرصة فى صفوفنا

سوريا تعترف بالصين الشعبية

دمشق فى ٢٨ — لمكتب الجمهورية:

قررت الحكومة السورية الاعتراف بالصين الشعبية، وسيعلن هذا القرار بعد عودة السيد صبري العسلي من عمان.

الثورة فى عدن على الحماية البريطانية

زلزال فى اليابان

نتيجة لانفجار هيدروجيني فى بكيني

دلاس يعدل سياسة أمريكا الخارجية

وشنطن فى ٢٩ — و.ت.ا — صرح مستر دالاس، وزير خارجية امريكا بانه يرحب باعادة النظر بدقة فى السياسة الخارجية الامريكية بمناسبة حملة الانتخابات المقبلة.

برنز فى نيويورك

انسحاب فرنسا من اول قاعدة بمراكش

٧٠٠٠ طلب لاستئجار ١٠٠ شقة !!

وزير الدفاع الفرنسي يهاجم الرئيس جمال والحكم الحالي فى مصر فى مؤتمر الجنود القدماء فى فيشي

«الجمهورية» تعلق على هذا التهجم ..

بقلم: امين شاكر — ص ٧

الصفحة الأولى من «الجمهورية» فى يوم ٢٩ مايو ١٩٥٦

مذكرات قائد العمليات الحربية في جيش عرابي

الحلقة الثانية

• عرابي يبدأ المعركة بكلمة «ولدنا أحرارا»
• ثورة الناس ضد الخديوي الذي باع البلاد
• النساء يتبرعن بحليهن لتزويد الجيش
• الخديوي يفتح الطريق أمام الأسطول البريطاني
• وكيل محافظة الإسماعيلية التركي يسلم منطقة القنال

هذه هي الحلقة الثانية من مذكرات المهندس محمود فهمي، قائد العمليات الحربية في جيش عرابي .. لقد كتب هذه المذكرات في منفاه بجزيرة سيلان .. وهو هنا يحدثنا عن الخيانات التي ارتكبها الخديوي والباشوات الاقطاعيون والاتراك الذين خانوا مصر وفتحوا ابوابها لجنود الاحتلال

قال محمود فهمي في مذكراته

فشل المؤامرة

ولدنا احرارا ..

حوادث تاريخية

خلع الخديوي

الأمة تحكم

الخيانة في الاسكندرية

الخديوي يتعاون مع الاعداء

خيانات اخرى

في اللحظة الاخيرة

توفيق يخضع للجيش

باب القمر .. مقدس !!

لم بدأت المعركة

• الى بقية المذكرات غدا •

واخيرا ... سقط الاستعمار

واخيرا سقط الاستعمار .. وخرج جنوده من ارض الوطن .. ان لمستعمر الاستعمار البريطاني قصة طويلة دامية، كانت بدايتها مليئة بالخيانات، وزاخرة بصور البطولة والمساواة. ان الصورة المنشورة هنا ... تبين مدينة الاسكندرية وهي تتحول الى قطعة من الجحيم .. لقد اشعل المصريون النيران فيها لتسقط في ايدي المحتلين وقد تحولت الى رماد •

مراحل الشعب: الطرق .. والمواصلات

• الطرق البرية :

• التليفونات والتلغرافات :

• البقية ص ١١ •

في هذا العام ..

من الشعر الثوري

الصفحة الخامسة من «الجمهورية» في يوم ٢٩ مايو ١٩٥٦

مذكرات قائد العمليات الحربية فى جيش عرابى (٣)

بقلم :
محمود فهمي

فى هذا الفصل الأخير من مذكراته يتحدث المهندس محمود فهمى قائد العمليات الحربية فى جيش عرابى عن معارك القنال والتل الكبير.. وعن الدور الخائن الذى لعبه الباشاوات لخدمة مصالحهم وخدمة المستعمرين.



محمود فهمي

فى الصباح وردت قطارات السكة الحديد تحمل نحو٤٠٠ شخص لأجل سد القناة وعمل الاستحكامات اللازمة وحضر راشد حسنى باورطتين وبطاريتين طوبجية كروب وبطاريتين مدافع جبلية، وهرب على يوسف وتوجه إلى رأس الوادى وشرعت أنا فى عمل الإستحكامات وسددت ترعة الإسماعيلية سدا محكما وخرجت العساكر الانجليزية من الإسماعيلية واستمر راشد حسنى فى حرب معهم طوال النهار بنيران الطوبجية وانتهى ضرب النار بين الفريقين فى الساعة السابعة والنصف.

وفى صباح اليوم التالى قبل طلوع الفجر خرجت سوارى الإنجليز مركبة من عشر أورط وخلفها عساكر البيادة وبطاريات الطوبجية ودارت السوارى حول الموقع وابتدأ ضرب نار المدافع وتشتت الأنفار الذين أعددتهم لردم القنال وبقيت أنا واقفا فى الموقع وحدى ولا أعلم أين أتوجه!

اعتقال

بينما أنا فى هذه الحالة إذ أحاط بى عساكر السوارى الإنجليز واقترب منى واحد من ضباطهم وكلمنى بالانجليزية فكلمته بالفرنسية فوضع الحراس على وتوجه وعاد ومعه قائد السوارى الإنجليزى فكلمنى بالفرنسية وسألنى عن اسمى فأخبرته باسمى، فاخرج ورقة من جيبه ونظر فيها وقال:

أحمد عرابى ومحمود سامى ومحمود.. نعم هذا من أصحاب عرابى.

وأرسل قائد السوارى تلغرافا إلى وولسلى بضبطى وأسرى وأمره بالمحافظة على حتى يحضر، ولما حضر أرسلنى إلى الإسماعيلية مع الحرس اللازم ومنها ركبت مركبا إنجليزيا حتى وصلت الاسكندرية.

لا يعرفوننى

ونزلت من المركب، وتوجهت محاطا بالحرس إلى سراى رأس التين، فقابلنى عمر لطفى وعلى مبارك، واجتمع الباشوات للفرجة على كأنى ما كنت معهم

ولا كانوا يعرفوننى من قبل، وفى الحال صدر أمر الخديوى إلى عمر لطفى محافظ الاسكندرية سابقا وناظر الجهادية فى ذلك الوقت بحبسى والمحافظة على فى ديوان محافظة الاسكندرية، فوضعونى فى غرفة أحكموا بابها وسدوا شبابيكها ووضعوا على بابها إثنى عشر جنديا من الترك والطليان ورتب الخديوى المأكول والمشروب وما يلزم من سجاير، وأصبحت أشبه بأسير من دولة أجنبية فى دولة أخرى.

الخائن محمد سلطان

وفى يوم وصولى الإسماعيلية وجدت فيها محمد سلطان ومحمد زكى تشريفاتى الخديوى وزهراب باشا وكثيرين من أركان الحرب المصريين «يقصد الشراكسة فإن هؤلاء جميعا لم يكونوا مصريين إطلاقا» مع الإنجليز وفى أثناء توجهى من الإسماعيلية للإسكندرية أحضر لى قبطان السفينة جريدة ليجبت فقرأت فيها أن الخديوى كتب إلى الحكومة الإنجليزية يطلب فيها الموافقة على قتلى فى حال وصولى إلى الإسكندرية فأجابته الحكومة الإنجليزية تحذره من ذلك وقالت له: إنه الآن أسير فى يد الحكومة الإنجليزية وعند تمام الحرب ينظر فى أمره، وحذرته من حصول أى ضرر لى وألزمته بالمحافظة على دمى وحياتى.

هذا ما وجدته بالجريدة فاطمأن خاطرى لأنى كنت معتقدا حقيقة أنه عند وصولى إلى الإسكندرية لابد من قتلى.

فى التل الكبير

جاءت إلى التل الكبير أورطتان من آلاى عبدالعال حلمى من دمياط وجاء عرابى من كفر الدوار، وقام على فهمى بآلاى عابدين ووصل أيضا إلى التل، وأرسل إلى عساكر الصالحية بالتوجه إلى القصاصين والهجوم على الإنجليز فيها.

وبعد ذلك أخذ الرنجليز فى الاستعداد للهجوم على التل الكبير وكان هناك عرابى وتحت قيادته نحو ٤٠٠٠ رجل، وفى نفس الليلة التى استعد فيها الإنجليز للهجوم، كتب على يوسف خنفس إلى عرابى يخبره بعدم تحرك العدو أو قربه من الموقع، وعند قرب الفجر أطلق الإنجليز مقذوفات

مدافعهم على معسكر عرابى الذى كان مطمئنا إلى قيام على يوسف خنفس بأعمال استكشافات خطط العدو واستمرت الموقعة عشرين دقيقة لأنها كانت مفاجأة غريبة واستولى الانجليز على ما كان فى التل الكببير من ذخائر ومؤن وغير ذلك من إعانات الأمة المصرية.

شركسى يرفع البيارق البيضاء

ووصل عساكر الإنجليز الخيالة إلى العباسية وكان بها محمد رضا باشا مديرا للعساكر الموجودين فيها فلما رآهم رفع أمامهم البيارق البيض، ولما وصل العساكر السوارى واحتلوا قشلاقات العباسية، خرج إليهم مئات من أبناء البلد من باب الشعرية والحسينية يحملون العصى والطوب والسكاكين يريدون محاربتهم فخرج إليهم إبراهيم فوزى مأمور ضبطية القاهرة وأعادهم ثم تقابل مع قائد الإنجليز فأمرهم بحضور عرابى وتسليمه، فعاد إبراهيم فوزى وقبض على عرابى وطلبة عصمت وتوجهوا إلى العباسية، وسلم الإثنان سيوفهما إلى قائد السوارى الإنجليزى وسجن الإثنان هناك وأرسل قائد السوارى تلغرافا إلى القائد وولسلى والقائد محمد سلطان باشا وأخبرهما بذلك.

بداية الاحتلال

واحتل العساكر الانجليز قلعة القاهرة وقصر النيل والعباسية، ودخل محمد سلطان القاهرة تخفق على رأسه الأعلام الانجليزية وشرع فى حبس الناس ظالما أو مظلوما.

ودخل وولسلى القاهرة وأقام فى سراى عابدين، ثم قام الخديوى من الإسكندرية متوجها إلى القاهرة وبصحبته شريف باشا والنظار، ولما وصل إلى محطة القاهرة ركب متوجها إلى سراى الإسماعيلية على شماله ابن ملكة الإنجليز وأمامه القنصل ماليت والقائد وولسلى..

بداية المظالم

وصدر أمر من الخديوى بإجراء التحقيق مع كل من له يد فى هذه الحوادث، فاجتمع المجلس فى ضبطية القاهرة وشرع فى التحقيق وامتلأت سجون

القاهرة والإسكندرية والأقاليم حتى صار إحصاؤهم فوجدوا نحو تسعة وعشرين ألف نفس..

ثمن الخيانة

وأهدى محمد سلطان باشا إلى وولسلى زوجا من الطبنجات مشغولا بالذهب وقال له:

إن مصر الأن تعد فى فتوح جديد.. وأنعم الخديوى توفيق على محمد سلطان بعشرة آلاف جنيه من ديوان المالية نظير ما عمله معه من المعروف فى إجلاسه على الأريكة الخديوى ثانية.

وجاس أعوان محمد سلطان خلال الديار، وحبسوا العمد ومشايخ البلاد وأغنياءها واتهموهم بالتداخل مع عرابى، فكانوا يتخلصون من هذه التهمة بدفع نقود ورشاوى، واستطاع سلطان بذلك أن يجمع مالا وفيرا.

« محمود فهمى »

«انتهت المذكرات»

● نشر فى «الجمهورية» فى يوم ٢٩ مايو ١٩٥٦

الفصل السابع

الشيخ الإمام محمد عبده يصف حريق الإسكندرية



الشيخ الإمام محمد عبده يصف

كتب الاميرالاى سيمور لطلبه باشا فى شان وضع المدافع
جهيز الدفاع فى الاسكندرية وتوعد بالضرب ان لم يسلمه
بية راس التين لتجريدها من السلاح • ولم يكن شيء من
تجهيزات قد وصل فى يوم ١٠ يوليو ١٨٨٢ فارسل طلبة باشا
يه قرارا من مجلس النظار تحت
اسة الخديو وحضره ايضا كثير
ن الاعيان مؤداه أن مصر لايمكنها
سليم موقع من مواقعها الا قهرا
ن شيئا مما يدعيه لم يحصل من
م صدور امر السلطان بمنع
ك • وما كان قد حصل فهو من
ت سنوية • وان المدافع

عرابى لم يزل يحول ...
وقد سأل أحد الأمراليات المديرى
تونيسق ..
— ما مصير الاسكندرية او سربها
الانجليز ؟
فأجابه المديرى :
— فى ستين داهية !!
دمر كله •

«تقديم»

هذه صفحات من مذكرات الإمام الشيخ محمد عبده ولكن «الجمهورية» عندما نشرتها لم تنشرها تحت هذا العنوان وانما وضعت عنوانا موضوعيا لها: «الشيخ الإمام محمد عبده يصف حريق الاسكندرية».. والصفحات تتناول باختصار شديد ما حدث قبل وبعد يوم ١١ يوليو ١٨٨٢.. حينما تحرش بمصر الأميرال سيمور قائد الأسطول البريطانى الذى توافد على ميناء الاسكندرية بنية العدوان على مصر.. والذى كان يبحث عن ذريعة لضرب الاسكندرية بمدافعه.. فادعى ان أعمالا عدوانية - فى تقديره - تجرى فى الاسكندرية.. مثل اصلاح الطوابى وتجهيزها بالمدافع وتجهيز المدافع نفسها للضرب.. ولم يكن شيئا من ذلك صحيحا.. ورفضت مصر طلب الأميرال سيمور نافية ما ادعاه.. ورفضت تسليمه طابية رأس التين لتجريدها من السلاح.. وأرسل إليه طلبة باشا قرار مجلس النظار الذى رأسه الخديو وحضره أيضا كثير من الأعيان وكان قاطعا صريحا: مصر لا يمكنها تسليم موقع من مواقعها إلا قهرا.. ودعى الأميرال سيمور ليزور الطوابى بنفسه ليتأكد انه لا يوجد شىء مما يدعيه، فرفض، مصرا على ما ارتآه.. ولم يكن الأميرال سيمور ليقبل.. فقد كانت النية

واضحة.. ضربُ الإسكندرية مهما كان رد مصر.. وبدأ الضرب فى السابعة من صباح يوم ١١ يوليو ١٨٨٢.. لتبدأ به صفحة سوداء فى تاريخ بريطانيا.. وصفحة كفاح فى تاريخ مصر.. استمرت ٧٥ عاما حتى تحقق جلاء الانجليز عن مصر.. ويصف الإمام الشيخ محمد عبده فى مذكراته التى نشرتها «الجمهورية» عن حريق الاسكندرية ما حدث فى تلك الأيام المشئومة.. وكيف قتل كثير من النساء وهن حاملات أطفالهن على أيديهن ومات الأطفال أيضا وهدم المسجد فى طابية قائد بك عمدا وقد وجهت إليه النار عن قصد.. وقد هاجر من الاسكندرية نحو مائة وخمسين ألفا من السكان مجردين من كل شىء.. أخذوا فى الحركة بغير قصد ولا هدف.. الموت والفزع ملء نفوسهم على شطوط المحمودية إلى دمنهور.. وجسر السكة الحديد من دمنهور إلى القاهرة.. ويتكرر الضرب فى اليوم الثانى.. فى الثامنة صباح يوم ١٢يوليو.. ويبدأ نهب المدينة بواسطة قبائل العربان وعساكر الرديف.. وبدأ الحريق فى المدينة فى الساعة ١١ مساء وتوجه الخديو فى ١٣ يوليو من الرمل إلى رأس التين.. وعسكر عرابى فى كفرالدوار التى وصلها فى ١٤يوليو.. وتتوالى الوقائع والأحداث.. لصفحات أخرى تثير فى النفس الأسى.. ولكن كفاح المصريين لم يتوقف حتى انطوت صفحة الاحتلال.. بعد ٧٥ عاما.

«الشيخ الإمام محمد عبده يصف حريق الإسكندرية».. هو صفحات من مذكرات الإمام.. نشرتها «الجمهورية» فى يوم ٢٣ مايو ١٩٥٦.. ولم تستكمل هذه الصفحات.. ونستكملها نحن فى نهاية هذا الكتاب.. أما هذه الصفحات فنتابعها معا على الصفحات التالية ..

الشيخ الإمام محمد عبده يصف حريق الإسكندرية

بقلم :
الإمام الشيخ محمد عبده

كتب الأميرال سيمور لطلبة باشا فى شأن وضع المدافع وتجهيز الدفاع فى الإسكندرية، وتوعد بالضرب إن لم يسلمه طابية رأس التين لتجريدها من السلاح.. ولم يكن شىء من التجهيزات قد وصل فى يوم ١٠ يوليو ١٨٨٢، فأرسل طلبة باشا إليه قراراً من مجلس النظار تحت رئاسة الخديو، وحضره أيضاً كثير من الأعيان، مؤداه أن مصر لا يمكنها تسليم موقع من مواقعها إلا قهراً، وأن شيئاً مما يدعيه لم يحصل من يوم صدور أمر السلطان بمنع ذلك.. وما كان قد حصل فهو من الترميمات السنوية.. وأن المدافع لم تزل على حالها من سنين.



الإمام الشيخ محمد عبده

وصل الجواب إليه، وقيل له:

إن شاء فليزر بنفسه الطوابى ويتحقق مما يدعيه.

فأجاب بأنه مُصِّر على وعيده، وأن عرابى لم يزل يحول بينه وبين مصر.

وقد سأل أحد الأميراليات الخديو توفيق:

ـ ما مصير الإسكندرية لو ضربها الإنجليز؟.

فأجاب الخديو:

ـ فى ستين داهية!!..

وهز كتفيه..

قال الضابط:

ـ لكن السكان سيحرقونها، فأرجو أن تتوسط لدى الأميرال والوقت لم يزل يسمح بذلك، استدع ـ ذو الفقار ـ وأمره أن يحافظ على المدينة، فعنده من الرجال الكفاية.

فأجاب الخديو توفيق:

ـ فلتحرق المدينة جميعها ولا يبقى بها طوبة على طوبة، حرب بحرب، كل ذلك يقع على رأس عرابى وعلى رءوس الفلاحين، وسيذوق الأوروبيون الملاعين عاقبة هروبهم مثل الأرانب.

وذهب الخديو من رأس التين إلى الرمل. وانسحب المحافظ وموظفو المحافظة ثم اختفوا.

حرق الإسكندرية

وضربها والمهاجرة منها

بين من حرقوا الإسكندرية أروام بلباس عرب رؤيت جثثهم بتلك الثياب

أثناء الحـريق، ومنهم عـربان من أولاد على ممن كـانوا علـى صلة بالخـديو، ومنهم من أهـالى الإسـكندرية، ومنهم أوروبيــون بقــصــد المبــالغــة فى التعويضات، وذلك بعد ما أخليت الإسكندرية ممن يخشى عليهم.

وفى ١١ يوليو ١٨٨٢ الساعة ٧ صباحاً ضُربت الإسكندرية، وكان عرابى قد أوصى ضباطه ألا يضربوا إلا بعد خامس طلقة من المراكب.

وقد قتل كثير من النسـاء وهن حـاملات أطفـالهن على أيديهن، ومـات الأطفال أيضاً، وهُدم المسجد الذى فى طابية قائد بك عمداً، وقد وجهت إليه النار عن قصد.

وقد هاجر من الإسكندرية نحو مائة وخمسين ألفاً من السكان مجردين من كل شىء. أخذوا فى الحـركة بغير قـصـد ولا هدف، الموت والفـزع ملء نفـوسهم على شطوط المحمـودية إلى دمنهـور وجسـر السكة الحـديد من دمنهور إلى القاهرة.

كانت المهـاجرة، تكون خطوطاً سـوداء، تارة عـريضـة، وأخـرى عـريضـة، متحركة فى كل جهة.. هنا ينزلون، هناك يمشون ببطء ، لا وقاية ولا عيش، على طرفى تضاد، مع سماء صافية وأرض خضرة نضرة..

وفى ١٢ يوليو الساعة ٨ صباحاً عاد الضرب إلى الساعة الحادية عشرة، وأصاب المستشفى وهجرها الكثير من المرضى والجرحى وكان عليها العلم الأبيض بالهلال الأحمر.

وبعد أن رفع طلبة باشا، العلم الأبيض على نظارة البحرية، ذهب إلى الأميرال يسأله عن سبب عودة الضرب؟

فأجاب أحد الضباط على لسان الأميرال:

- إنه يطلب تسليم الطوابى والقشلاق أيضاً..

وأراد طلبة باشا المخابرة مع مجلس النظارة.

وانتشر الخبر فى المدينة، وأخذ العساكر فى إخلائها، هلع الناس وأخذوا فى الهرب ثانية.

ودخل أولاد على للنهب، وسليمان سامى سلم محافظة محلة الأوروبيين إلى عساكر الرديف الذين لم يكونوا أفضل من العربان فانضموا إليهم فى النهب آخر النهار.

أما الهاربون فكانوا كالأعاصير، أو كماء انكسر سده فاندلق، يتصل بعضهم ببعض مزدحمين، متراكمين، فى حالة عقلية أشبه بالجنون، سائقين أمامهم أو حاملين على ظهورهم ما خف حمله من أمتعتهم: حيوان، أثاث ضئيل، ثياب رثة، حتى بعض المفروشات التى لا قيمة لها..

فى هذه الحالة - حالة شعب طرد من بيته - كان الحر شديداً، وغيم الغبار، سد الأفق وأظلم الجو، نساء يبحثن عن أولادهن، تتشاجرن بعضهن مع بعض، تتضاربن، فى اختلاط لا يمكن التعبير عنه، عربات بلا عجل، استعملت مساكن - عربات من كل نوع بعضها ساقط فى المحمودية، بعضها مقلوب، بعضها بخيل، بعضها بغير خيل، روائح شى اللحم، صياح على المارة: الخبز.. الخبز..

وابتدأ الحريق فى المدينة الساعة ١١ مساء.. وتوجه الخديو فى ١٣يوليو من الرمل إلى رأس التين، وعسكر عرابى فى كفر الدوار.

وفى ١٤ يوليو عندما وصل عرابى لكفر الدوار اجتمع عليه النساء والرجال يلعنون الدنيا، ويطلبون الخبز، فوعدهم بالثوب وبما يحملهم مجانا إلى داخل البلاد ، قد أرسلوا مع تواصى للمديرين ليقيتوهم ويضعوهم فى أعمال بقدر الطاقة.

« محمد عبده »

● نشر فى «الجمهورية» فى يوم ٢٣ مايو ١٩٥٦

الفصل الثامن

مذبحة ١١ يوليه عام ١٨٨٢

١١ يوليه عام ١٨٨٢

لم يبدأ الاحتلال الانجليزى لمصر فى ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ ولم يبدأ عند هزيمة حملة فريزر عام ١٨٠٧ .. بل بدأ قبل ذلك .

عندما حفرت مصر قناة السويس .

وعندما استدان اسماعيل الملايين من انجلترا ..

وعندما اضطربت الاحوال . وانتهت بمذبحة الاسكندرية كان ذلك كله — وغيره الكثير — من مقدمات الاحتلال البريطانى لمصر الذى سجله التاريخ ضمن حوادث يوم ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ .

الحق

شهامة

خطة سيمور

ربح الديون

«تقديم»

فى هذا الفصل تفصيل أكثر لتهديدات الجنرال سيمور قائد الأسطول الانجليزى المرابط فى ميناء الاسكندرية بضرب المدينة إذا لم تستسلم لإنذاره وتسلمه الطوابى التى يريدها.. وقد رفضت مصر هذا الإنذار وحملت الجانب الانجليزى النتائج.. ويعرض هذا الفصل الرسائل المتبادلة بين مصر وقائد الاسطول البريطانى.. وبرقيات قيادته إليه بمنع كل محاولة يراد بها إغلاق ميناء الإسكندرية.. وتدمير الحصون واسكات المدافع إذا لم يوقف العمل فورا فى طوابى الإسكندرية.. ولم تكن هناك أعمال تجرى فى هذه الطوابى.. ولكنه التحرش الانجليزى بمصر.. بهدف ايجاد ذريعة لتنفيذ الخطة المبيتة لضرب الاسكندرية والتقدم لاحتلال مصر.. ويرجع الكاتب هذه النية المبيتة إلى ما قبل حملة فريزر التى هزمها المصريون فى رشيد فى عام ١٨٠٧.. إلى حفر قناة السويس.. ورغبة بريطانيا فى السيطرة عليها باعتبار أنها الشريان الحيوى فى طريقها إلى الهند.. وسلكت بريطانيا فى ذلك كل السبل التى أوصلتها إلى ضرب الإسكندرية فى ١١ يوليو ١٨٨٢ ثم احتلال مصر.. بدأت بمؤامرة الاستيلاء على أسهم مصر فى شركة قناة السويس.. و قبلها عندما جاء نابليون إلى مصر أرسلت

فى أعقابه أسطولها بقيادة ولسون.. وتصارعت إنجلترا وفرنسا على مصر.. وكانت ديون إسماعيل الفرصة التى مكنت البلدين من التحكم فى مصر.. ثم بدأت عقارب الساعة تسرع فى الدوران وصولا إلى يوم ١١ يوليو ١٨٨٢.. ورغم رفض مصر لإنذار سيمور.. فإنها اثباتا لحسن نواياها عرضت نزع ثلاثة مدافع من البطاريات التى أشار إليها سيمور.. ولكن سيمور رفض كل شىء.. فقد كانت النية مبيته لضرب الاسكندرية.. مهما كان رد مصر.. وهكذا بدأ الضرب.. واستبسل الجنود فى الطوابى فى أداء واجبهم فى العراء دون خشية الموت الذى كان يحصد الكثيرين منهم فى كل لحظة.. كانوا يحاربون بلا متاريس وبلا دروع وكان الرجال والنساء ينقلون الذخائر تحت نيران المدافع ويقدمونها إلى بقايا من سلم من الطوبجية لاطلاقها.. ولكنها القوة الغاشمة.. كما أن مدى المدافع لم يكن ليصل إلى بوارج الأسطول البريطانى.. وهكذا قضى الأمر..

«مذبحة ١١ يوليو عام ١٨٨٢».. هو الفصل الثامن فى هذا الكتاب.. نشرته «الجمهورية» فى يوم ١٨يونيو ١٩٥٦.. ونتابعه على الصفحات التالية..

توزع على ملبس زواجه الأول فى كتب كتاب ناريمان !.. (مذكرات كريم ثابت ص ٥)

اليوم عيد الاستقلال والجمهورية

جمال عبد الناصر يرفع علم مصر على أرض القنال اليوم

٤٨ صفحة

الجمهورية

٢٠ مليما

AL GOUMHOURIA 18 JUIN 1956

العدد ٩١٢ – السنة الثالثة

صحف العالم تتحدث عن الجلاء

(انظر ص ٦)

المباحثات تسير سيرا حسنا جدا ... شبيلوف

مباحثات عبد الناصر - شبيلوف

بيان رسمى مشترك يصدر عقب المباحثات

استأنف الرئيس جمال عبد الناصر ، مباحثاته مع الرفيق شبيلوف ، وزير خارجية روسيا وذلك فى الساعة الحادية عشرة قبل ظهر أمس بدار الرياسة ، وحضر المباحثات السير سوبولوف ، المستشار بالسفارة الروسية بالقاهرة والدكتور محمود فوزى وزير الخارجية وقائد الجناح على صبرى مدير مكتب الرئيس للشئون السياسية ، واستمر الاجتماع حتى الساعة الثانية والدقيقة العشرين .

كل شىء يسير سيرا حسنا ... وحسنا جدا ... أما التصريح الذى تنتظرونه منى عن المباحثات فسوف يصدر فيما بعد ... عليكم أن تصبروا

اجتماع فى المساء

خاطر الصباح

محمد قاسم جودة

« البقية صفحة ١١ »

شبيلوف يجتمع بوزير التجارة

ملكة من الريف لكل محصول زراعى

٢٠ يونيو عيد الاستقلال والجمهورية

الرئيس يسافر إلى القنال ويرفع علم مصر على آخر بقعة خرج منها الانجليز

اليوم يرفع الرئيس جمال عبد الناصر ، العلم المصرى على مبنى البحرية بميناء بورسعيد وهو آخر معقل خرج منه آخر جندى بريطانى ... واليوم يستمع أهالى بورسعيد إلى الخطاب الذى يلقيه الرئيس فى هذه المناسبة التاريخية

ففى الساعة الثامنة والنصف من صباح اليوم – الاثنين – يصل الرئيس جمال عبد الناصر ومعه القائد العام اللواء عبد الحكيم عامر وبعض أعضاء مجلس قيادة الثورة إلى مطار بور سعيد تقلهم طائرة حربية ، وفى الساعة التاسعة إلا ثلثا يصل ركب الرئيس إلى مبنى البحرية بميناء بور سعيد حيث يقوم سيادته برفع العلم المصرى ...

فى هذا العدد

الرئيس جمال عبد الناصر ... يتصافح مع الدكتور محمود فوزى وزير الخارجية والرفيق شبيلوف وزير خارجية روسيا

أمنية الرئيس فى عيد الجلاء

المنى أن يخلق مجتمع تعاونى اشتراكى ، وتتخلص من الأنانية والفردية ، ويعمل كل فرد للجماعة ، فهذا هو السبيل الوحيد لبناء الأمة اقتصاديا واجتماعيا ؟

« جمال عبد الناصر »

صداقة مصر وروسيا تزداد قوة

اليوم عطلة فى سوريا

روبرتسون يصل إلى القاهرة

الملوك والرؤساء يهنئون مصر بعيد الجلاء

تلقت جريدة « الجمهورية » من ملوك الدول ورؤسائها كلمات سجلوا فيها مشاعرهم نحو مصر لمناسبة عيد الجلاء .

وقد نشرنا فى العدد الخاص صورا طبق الأصل من هذه الكلمات .

ويسر « الجمهورية » أن تنشر هنا ما تضمنته كلمات الملوك والرؤساء وهم : الملك حسين ملك الأردن والملك فيصل ملك العراق والملك ظاهر شاه ملك الافغان والسلطان محمد الخامس سلطان مراكش والرئيس شكرى القوتلى رئيس جمهورية سوريا والرئيس كميل شمعون رئيس جمهورية لبنان ...

٢/١ مليون جنيه من مجلس الإنتاج لإنشاء أسطول ناقلات بترول

٧٥ ٪ من المساعدات الأمريكية الخارجية لآسيا وأفريقيا

قروض لا مساعدات

احياء التقاليد والعادات القومية المصرية

إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر

فى هذا اليوم المجيد الذى أعدتم فيه لمصر كامل حريتها وسيادتها بإجلاء المستعمر عن أرض الوطن يطيب لى أن أبعث إلى سيادتكم بأصدق التهانى وأطيب الأمانى راجيا المولى أن يوفقكم إلى ما فيه رفعة مصر ومجدها

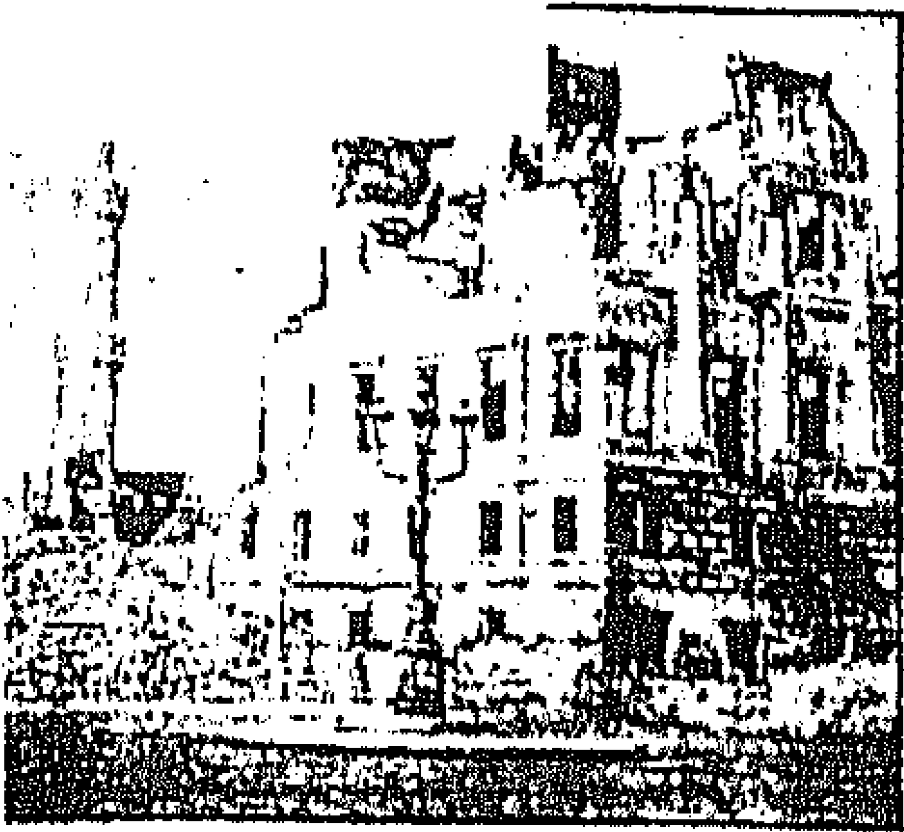
محمد ... سالم

شاريت يستقيل

اديناور يكشف النقاب عن سياسة المعاداة للعرب

زيادة التعويضات لإسرائيل أهم المشكلات العاجلة لنزلية !!

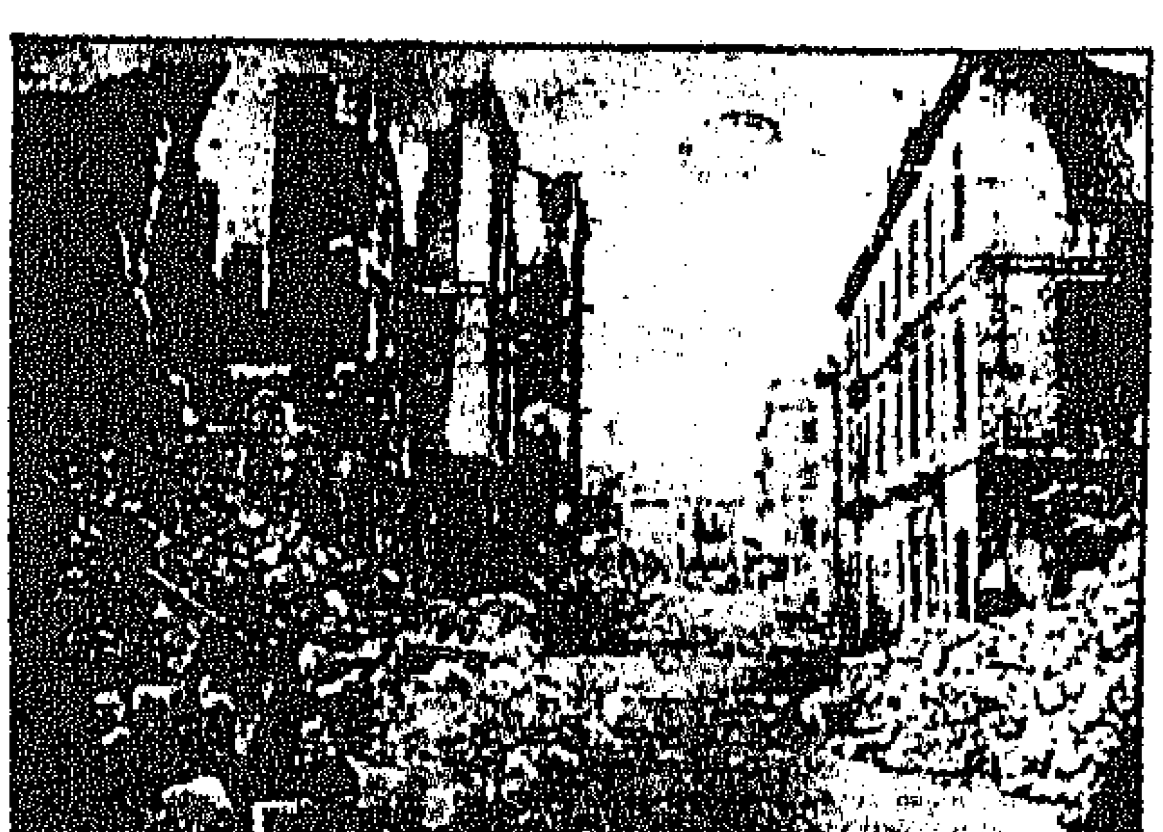
الصفحة الأولى من «الجمهورية» فى يوم ١٨ يونيو ١٩٥٦



شارع جامع ابراهيم باشا ... صورة من صور الاسكندرية المحترقة في ١١ يو



شارع شريف ... بعد يوم ١١ يوليو سنة ١٨٨٢



شارع البوسطه في ١١ يوليو عام ١٨٨٢ تنطق انقاضه بما حدث !



مدافع ... والقلاع ... ويوليو ...

نكبة

١١ يوليه عام ١٨٨٢



احد مدافع الحصون بعد ان ادت مهمته .. يوم ١١ يوليو ١٨٨٢

لم يبدأ الاحتلال الانجليزي لمصر في ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ ولم يبدأ عند هزيمة حملة فريزر عام ١٨٠٧ .. بل بدأ قبل ذلك .

عندما حفرت مصر قنال السويس .

وعندما استدان اسماعيل الملايين من انجلترا ..

وعندما اضطربت الاحوال ، والتهبت مدينة الاسكندرية كان ذلك كله — وغيره الكثير — من مقدمات الاحتلال البريطاني لمصر الذي سجله التاريخ ضمن حوادث يوم ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ .

الحق

ربح الديون

خطة سيمور

اطلاق المدافع

شهادة

٣ مدافع

الصفحة الثلاثون من «الجمهورية» في يوم ١٨ يونيو ١٩٥٦

مذبحة ١١ يوليه عام ١٨٨٢

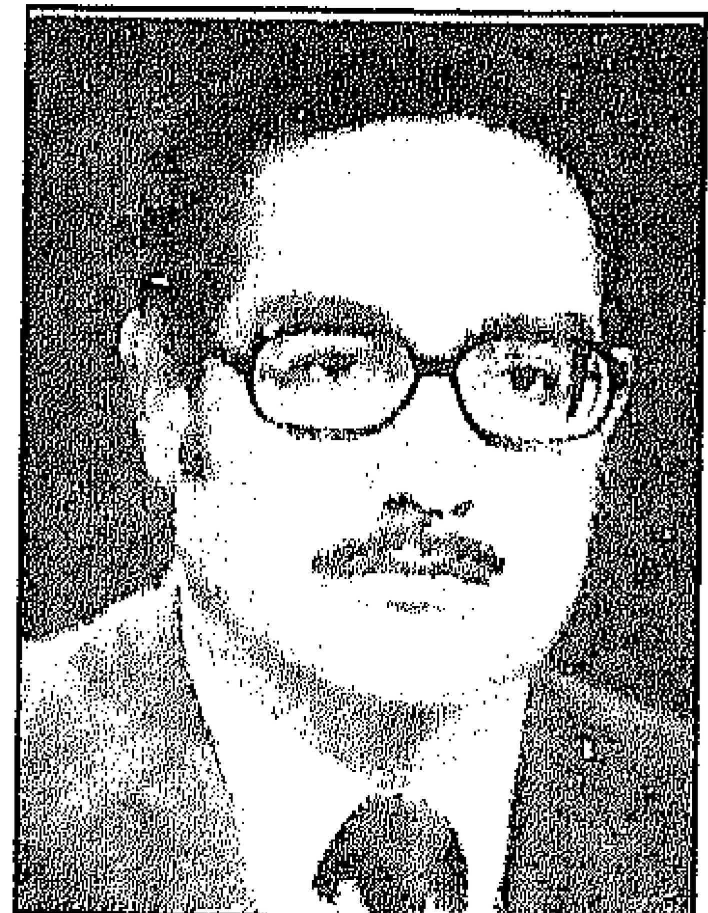
بقلم :
عبدالمنعم السويفي

لم يبدأ الإحتلال الإنجليزى لمصر فى ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ ولم يبدأ عند هزيمة حملة فريزر عام ١٨٠٧.. بل بدأ قبل ذلك.

عندما حفرت مصر قنال السويس.

وعندما استدان إسماعيل الملايين من إنجلترا..

وعندما إضطربت الأحوال، وانتهت بمذبحة الاسكندرية.. كان ذلك كله - وغيره الكثير - من مقدمات الإحتلال البريطانى لمصر الذى سجله التاريخ ضمن حوادث ١١ يوليو سنة ١٨٨٢.



عبد المنعم السويفي

الحق أن انجلترا حاولت أن تضع يدها على مصر منذ عهد بعيد، منذ حفرت مصر قناة السويس وسرقت هى أسهم مصر وفق مؤامرة دبرتها بليل فى سبيل وضع يدها على القناة التى كانت تدعى دائما أنها الشريان الحيوى فى طريقها إلى الهند.

فلما جاء نابليون إلى مصر أرسلت فى أعقابه أسطولها بقيادة ولسون، الذى اصطدم مع نابليون فى معركة الطرف الأغر.. ومنذ ذلك اليوم وإلى عهد طويل بعد ذلك: وانجلترا وفرنسا تتصارعان على سحق الحرية فى وادى النيل.

وقد هيأ لها إسماعيل بتصرفاته المجنونة وديونه، الفرصة المؤاتية، فأخذت من ذلك الوقت بالاشتراك مع فرنسا، فى تصوير حالة مصر الداخلية للعالم الغربى بصورة لها مظهران: الارتباك المالى والضعف الاقتصادى والعجز عن تسديد «أرباح الديون».

وقد استطاعت أن تحمل الدائنين على مناورات تجارية عجيبة، كانت ترفع بها أسعار الأوراق فى السوق وتخفضها محاولة بذلك تأكيد معنى الإضطرابات وعدم الإستقرار.

ربح الديون

كان يحدث هذا فى نفس الوقت الذى كانت المالية المصرية لا تعجز مطلقا عن دفع «ربح» الديون بل كان فى الإستطاعة أيضا تسديد جانب من هذه الديون، وقد اتضح بمراجعة مالية الحكومة المصرية عند إحتلال بريطانيا مصر أن هناك فائضا يقدر بعدة ملايين من الجنيهات.

وكانت الوسيلة الأولى للتمهيد للإحتلال هى إشاعة الإضطراب فى مصر وتهيئة جو من الإرهاب لتأكيد روح الخطر الوهمى المتسلط على حياة

الأجانب، وقد أعانت على ذلك إلى أبعد مدى بمؤامرة مذبحة الإسكندرية.

وظلت بريطانيا ترقب الحوادث متحينة الفرصة لتنفيذ خطتها ففى ٢ يناير سنة ١٨٨٢ قدم شريف «باشا» مذكرته الخاصة بوضع الدستور، فانتهزت الفرصة للتدخل، حيث اعترضت على هذا الإجراء بما لها وفرنسا من حق الإشراف على صندوق الدين، فلما شكل مجلس النواب، تقدمتا بمذكرة أخرى تطلبان فيها عدم تخويل مجلس النواب حق تقرير الميزانية، فلما رفضت المذكرتان أرسلت وفرنسا أسطولها فى ١٢ مايو سنة ١٨٨٢ واعتبرت هذا الموقف «حالة تستدعى التدخل المسلح».

ثم حاكت انجلترا مذبحة الاسكندرية فى ١١ يوليو سنة ١٨٨٢* التى كهربت الجو فى مصر وأثارت الفتنة فكانت الحلقة الأولى لتنفيذ النية المدبرة، فقد أعلنت بريطانيا على أثرها بأن هناك حالة قهرية لا يؤمن منها على حياة الأجانب مما يستدعى التدخل السريع.

خطة سيمور

وبدأ سيمور** خطته بأن أرسل يدعى أن هناك تحصينات تجرى فى قلاع الإسكندرية وطوابيها، وطالب بوقف هذه الأعمال، وكان ذلك بناء على تعليمات الأميرالية البريطانية التى أرسلت إلى سيمور برقية بهذا المعنى:

«امنعوا كل محاولة يراد بها إغلاق ميناء الإسكندرية وإذا بوشرت إعادة العمل بالحصون أو نصبت فيها مدافع جديدة فاخبروا قائدها العسكرى بأن لديكم أوامر بالحيلولة دون ذلك ـ واذا لم يوقف العمل فى الحال فدمروا الحصون واسكتوا مدافعها».

- وعلى اثر ذلك أرسل سيمور إلى قائد الاسكندرية فى ٦ يولية يقول:

«علمت من طريق رسمى أن مدفعين جديدين نصبا أمس على خطوط الدفاع المشرفة على البحر» وأن بعض استعدادات حربية على وشك التمام

* جاءت هكذا فيما نشر .. ولكن المقصود ١١ يونيو ١٨٨٢

** قائد الاسطول البريطاني

فى واجهة الإسكندرية الشمالية والمقصود بها تهديد الأسطول الذى بقيادتى، فيجب والحالة هذه أن أبلغكم بأنكم إن لم تأمروا بالإقلاع عنها فان من واجبى ضرب الحصون التى يجرى فيها البناء».

وقد كذبت الحكومة المصرية فى برقية لسيمور هذا النبأ.

● وفى ١٠ يولية أرسل سيمور إلى قائد الاسكندرية يقول: نظراً لحدوث استعدادات حربية آخذة فى الازياد وحيث إنها موجهة بالطبع إلى الأسطول الذى تحت قيادتى، فقد عقدت العزم على أن الغد «١١الجارى » أنفذ عند شروق الشمس العمل الذى أعربت لكم عنه فى خطابى السابق، إن لم تسلموا إلى قبل هذه الساعة «البطاريات» المنصوبة على برزخ رأس التين وعلى ساحل ميناء الاسكندرية لمنع التسلح بها.

إطلاق المدافع

● ورد قائد الاسكندرية على سيمور بخطاب تاريخى يعد وثيقة هامة فى تاريخنا الحديث قال:

«لم تعمل مصر عملا يقضى بإرسال هذه الأساطيل المتجمعة، ولم تعمل السلطة العسكرية أى عمل يسوغ مطالب الأميرال إلا بعض إصلاحات ضرورية فى أبنية قديمة، والحصون الآن على الحالة التى كانت عليها عند وصول الأساطيل، ونحن هنا فى وطننا وبيتنا فمن حقنا.. بل من الواجب علينا أن نتخذ كل عدة لمقاومة كل عدو مباغت يقوم على قطع أسباب الصلات السليمة، ومصر الحريصة على حقوقها الساهرة على تلك الحقوق وعلى شرفها، لا تستطيع أن تسلم أى مدافع ولا أى حصن دون أن تكره على ذلك بحكم السلاح، فهى لذلك تحتج على بلاغكم الذى وجهتموه اليوم وتضع مسئوليات جميع النتائج المباشرة وغير المباشرة التى تنجم إما عن هجوم الأساطيل، وإما عن إطلاق المدافع على الأمة التى تقذف فى وسط السلام القنبلة الأولى على الإسكندرية الهادئة ، مخالفة بذلك لأحكام حقوق الإنسان ولقوانين الحرب.

وإنى آسف يا حضرة الأميرال أن أعلمكم بأن الحكومة تعتبر هذا الطلب

غير مقبول وأنها لا ترغب مطلقا فى تعكير صفو العلاقات بينها وبين إنجلترا.. ولكنها لا تستطيع أن تعترف بأنها إتخذت أى تدبير يمكن أن يعتبر تهديدا للاسطول الإنجليزى سواء أكان ذلك من وجهة إقامة أعمال فى الحصون أم من ناخية تركيب مدافع بها أو إستعدادات حربية».

٣ مدافع

«ومع ذلك فنحن مستعدون لأن ننزع ثلاثة مدافع من البطاريات التى أشرتم إليها لنبرهن لكم على ميولنا السلمية.. ورغبتنا فى تلبية طلبكم، واذا كنتم تصرون رغم هذه التقدمة على إطلاق النار ، فالحكومة المصرية تحفظ لنفسها الحق وتلقى مسئولية هذا العمل العدائى على عاتقكم».

وما أن وصل الخطاب إلى سيمور حتى أمر بإطلاق النار وبدأ الأسطول المعتدى يصلى الإسكندرية نارا حامية من الصباح الباكر.

يقول الأستاذ عبدالرحمن الرافعى: «وكانت البوارج أثناء الضرب وكان الأسطول يتجمع دفعة واحدة حول كل «طابية» فيلح عليها بقنابله حتى يبيدها ثم يقصف «أرواح الجنود بالمترليوزات ثم ينتقل إلى الحصن الآخر فيفعل به كما فعل بالأول».

يصف المؤرخ السويسرى «جون بينيه» المعركة كشاهد عيان فيقول «غطيت المدينة أثناء الضرب بطبقة كثيفة من الدخان والغبار».

وكان قصف المدافع يصم الآذان.. وحينما كانت الريح تبدد سحب الدخان كنا نشاهد كرات المدافع المصرية تسقط فى البحر فى منتصف المسافة بينها وبين بوارج الأسطول، وقد أدى الرماة واجبهم على أكمل وجه بحيث إن سبع مدرعات انجليزية أصيبت بعطب.

شهامة

وقد أجمع المؤرخون أن الرماه أبلوا خلف مدافعهم بلاء نادرا، فقد وقفوا فى شهامة وقوة وإيمان، لا يبالون القنابل، يدافعون إلى آخر ما فى أيديهم من سلاح.. وقد كانوا يؤدون واجبهم فى العراء دون خشية الموت الذى كان

يهددهم فى كل لحظة، ولم يكن معهم مع الأسف متاريس أو دروع، وكان الرجال والنساء ينقلون الذخائر تحت نيران المدافع ويقدمونها إلى بقايا الطوبجية الذين كانوا يطلقونها.

وقد تطوع عدد كبير من الأهالى فى خدمة المجاهدين ومساعدتهم وحمل الماء والقتلى وتضميد الجرحى.

وقد امتد ضرب الاسكندرية طيلة اليوم إلا فترات قليلة.. ثم استؤنف فى اليوم التالى فانهارت المنازل واشتعلت الحرائق فى المدينة كلها وقدر من قتل من المصريين بألفى قتيل.

وفى صباح ١٣ يولية تأكد سيمور من انسحاب الجيش المصرى فنزل إلى المدينة واحتل بجنوده البحارة شبه جزيرة رأس التين..

«عبدالمنعم السويفى»

● نشر فى «الجمهورية» فى يوم ١٨ يونيو ١٩٥٦

الفصل التاسع

وهؤلاء شهدوا المذبحة



هؤلاء الذين عاشوا ... ليشهدوا أيضا نهاية الاحتلال ...

وليشهدوا اليوم الذى رحل فيه الاستعمار ...

«تقديم»

كان اليوم ١٨ يونيو ١٩٥٦ .. الموعد الرسمى لانتهاء جلاء القوات البريطانية عن مصر والتى كانت قد أتمت خروجها من مصر بالفعل فى يوم ١٣يونيو ١٩٥٦ .. وفى اليوم الذى أصبح عيدا رسميا لمصر.. فى العيد الأول للجلاء.. نشرت «الجمهورية» قصة بداية الإحتلال الإنجليزى فى مصر.. مع ضرب الإسكندرية فى يوم ١١ يوليو ١٨٨٢ .. ونشرت أيضا فى نفس اليوم أحاديثا وصورا لثلاثة من المعمرين فى الإسكندرية شاهدوا ضرب الإسكندرية منذ ٧٥ عاما قبل ذلك اليوم.. وعاشوا ليشهدوا خروج الانجليز من مصر.. وهو الحلم الذى عاشت من أجله كل أجيال المصريين منذ وقع الإحتلال الإنجليزى لمصر.. الثلاثة هم محمد وهبى سلام والحاج السيد أبوزيد ابراهيم ومحمد الترابى.. وكانت أعمارهم عندما وقع ضرب الإسكندرية تتراوح بين الخامسة عشر والعشرين عاما.. أى انهم كانوا جميعا قد تخطوا التسعين عاما عندما تحدثوا إلى «الجمهورية» فى يونيو ١٩٥٦ عن ذكرياتهم فى ضرب الإسكندرية عام ١٨٨٢..

وقد كان الواجب يقتضى أن أبحث عن هؤلاء أين هم الآن.. ولكن أكثر من ٥٢ عاما أخرى بعد نشر الحديث معهم لا تشير إلى أن أحدا منهم مازال على قيد الحياة فهم بكل تأكيد الآن فى رحاب الله.. رحم الله الجميع..

كان أحدهم وهو الشيخ محمد وهبى أحد الطوبجية فى طابية المكس.. ويصف كيف استمر فى تشغيل مدافع الطابية واطلاق قذائفها رغم الضرب العنيف للأسطول البريطانى الذى جعل جوانب الطابية وأسوار المدافع تنهار.. أما الشيخ الثانى الحاج سيد أبوزيد فكان شابا فى الخامسة عشر.. كان يسكن خلف طابية المسلة.. ورأى قذائف الانجليز تمرق فى السماء وتهبط على الإسكندرية فتدمر وتحرق.. وأما الثالث الشيخ محمد الترابى فكان فى العشرين من عمره.. وكان يقطن بالقرب من طابية كوم الدكة.. ويصف تساقط القذائف على كل مكان فى الإسكندرية وزحف الخراب ثم النيران التى أشعلها «الخواجات» والمخربون وأصبحت تأكل كل شىء فى طريقها.. وأصبحت الإسكندرية مقبرة كبيرة «ويعوى فيها الفناء».

«وهؤلاء شهدوا المذبحة» هو الفصل التاسع فى هذا الكتاب.. وقد نشرته «الجمهورية» فى يوم ١٨ يونيو ١٩٥٦.. ونتابعه معا على الصفحات التالية.

وهؤلاء شهدوا المذبحة

هؤلاء الذين عاشوا ... ليشهدوا أيضا نهاية الاحتلال ... وليشهدوا اليوم الذى رحل فيه الاستعمار .. ويذهب بعيدا عن أرض الوطن ..

هؤلاء هم محمد وهبي سلام والحاج السيد ابو زيد ابراهيم ومحمد الترابي وجميعهم من شيوخ الاسكندرية ..

يقول محمد وهبي

الرجل الثاني

اما الرجل الثاني فهو الحاج السيد أبو زيد ابراهيم من شيوخ الاسكندرية .

الحاجة فاطمة

اقاموا المشانق

الرجل الثالث

اما الرجل الثالث محمد الترابي ..

المعمرون الثلاثة ... الشيوخ محمد وهبي سلام ، والحاج ابو زيد ، ومحمد الترابي

المشانق في الميادين .. والانجليز من حولها

الصفحة الحادية والثلاثون من الجمهورية في يوم ١٨ يونيو ١٩٥٦

وهؤلاء شهدوا المذبحة

بقلم :
محمد حسين

هؤلاء الذين عاشوا.. ليشهدوا أيضاً نهاية الإحتلال.. وليشهدوا اليوم الذى رحل فيه الإستعمار.. ويذهب بعيداً عن أرض الوطن..

هؤلاء هم محمد وهبى سلام والحاج السيد أبوزيد إبراهيم ومحمد الترابى وجميعهم من شيوخ الإسكندرية..



محمد حسين

يقول محمد وهبى:

كان يوماِ لا يمكن لأى مصرى أن ينساه.. فقد كنا فى طابية المكس.. فى إنتظار موعد تنفيذ سيمور لتهديده.. وفجأة دوى فى آذاننا صوت المدافع.. مدافع الأسطول.

واتجهت أعيننا جميعاً صوب الأسطول الراسى على مرمى البصر فألفيناه وقد اختفى بأكمله خلف سحابة قاتمة من الدخان الكثيف.. لم يمنعنا ذلك من إعادة تصويب الهدف.. وفتحت مدافعنا أفواهها على الأسطول.. وبدأت المعركة..

ولم يمض وقت طويل.. حتى أخذت القذائف والحمم تنهال على القلعة نفسها .. فانهارت بعض جوانبها وأسوار المدافع.. ولكن ذلك كله لم يؤثر فى مقاومتنا وفى معنويتنا بل وفى قوتنا.

ينصرك يا عرابى

اتجهنا جميعاِ حول المدافع.. ونحن نصرخ فى حماس.. الله ينصرك يا عرابى... والعسكر على الطوابى..

واستأنفنا الضرب بقوة فتمكنا من إصابة إحدى البوارج الإنجليزية وبعدها وقف الضرب قليلاً.

الرجل الثانى

أما الرجل الثانى فهو الحاج السيد أبوزيد إبراهيم من شيوخ الإسكندرية.

- كان عمره فى هذا اليوم ١٥ عاماً فقط..

وكان يقطن بمنزل والده خلف طابية المسلة مباشرة.. يقول السيد أبوزيد:

فى هذا اليوم.. يوم ضرب الإسكندرية فوجئ بالضرب فخرج من منزله ليرى بعينيه قذائف الإنجليز وهى تمرق فى السماء ثم تهبط على الإسكندرية نفسها.. وتذكر طابية المسلة.. التى لا تبعد عن منزله كثيراً.. وتذكر قائدها حسن أفندى الرجل الطيب.

الحاجة فاطمة

وقطع تفكيره.. صوت مدو.. ارتج له المنزل كله.. وكان صوت الحاجة فاطمة.

أما الحاجة فاطمة فهو اسم المدفع الكبير الذى كان يربض فى وسط هذه القلعة وقد أخذ هوَّ بدوره يرد على مدافع الانجليز وخرج أهل المزاريتا جميعاً.. أطفالاً وشيوخاً ونساء أيضاً واندفعوا صوب الطابية وهم يصيحون يا لطيف.. وهنا أدركنا أن الإنجليز الكلاب.. قد فعلوا فعلتهم الغادرة.

الرجل الثالث

أما الرجل الثالث محمد الترابى.. فقد كان فى العشرين من عمره وقت الاحتلال وكان يقطن بشارع النبى دانيال قرب الطابية.

وفى اليوم المشئوم روع بصوت المدافع .. فخرج من منزله ليجد جموع أهل الحى وقد اتجهوا إلى طابية كوم الدكة ووقفوا عليها ورفعوا أيديهم إلى السماء وهم يصيحون: يا حفيظ يا حفيظ.. احفظنا من الإنجليز.. وبعدها توالى الضرب.. وتساقطت القذائف على المنشية وشارع ستروستريس والميدان وتهدمت المنازل وأخذت عربات الكارو تطوف بالمدنية وهى تحمل جثث القتلى والضحايا بالمئات واستمر هذا الحال يوماً كاملاً.. وفى اليوم التالى تكررت المأساة وأخذ الخراب يزحف إلى الميدان.. إلى المنازل.. وإلى الأحياء.. وإلى الشوارع ثم جاءت النيران..

فقد اندلعت الحرائق التى أشعلها المخربون الخواجات.. فى أنحاء المدينة المختلفة وأصبحت تأكل كل شىء فى طريقها.

وأصبحت الإسكندرية المدينة الوادعة أشبه بمقبرة كبيرة يعوى فيها الفناء.

أقاموا المشانق

وبعد أيام قليلة ظهر الانجليز بملابسهم الحمراء فى شوارع المدينة.. وأقاموا المشانق.. لمن؟؟ للأبرياء.. الدين ظلوا بها.. ووجهوا إليهم تهمة التخريب والتدمير.

وعاشت المدينة البريئة فى بحر من الرعب والدماء.. وعرف الجميع أن الخديوى أقام وليمة للإنجليز.. فقد دعاهم إلى مقر قصره ورحب بهم وأعلن وعيده لمن يخرج عليهم وعلى جندهم.

ويمضى الرجل وقد بدا بريق عجيب يلمع فى عينيه وهو يقول:

وكانت المأساة طويلة قاسية عشنا فيها.. وصبرنا عليها فى عزة وإيمان حتى حقق الله لنا الأمل. والأمل الوحيد الذى عشنا لأجله. وهو الجلاء.

«محمد حسين»

● نشر فى «الجمهورية» فى يوم ١٨ يونيو ١٩٥٦.

الجزء الثالث

مذكرات
الإمام الشيخ محمد عبده



مقدمة: فاتحة ما كتبه عن تدوين سيرته

بقلم:
الإمام الشيخ محمد عبده

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولى الضعفاء إذا رجعوا إليه، ونصيرهم إذا اعتمدوا فى أعمالهم عليه، وأخلصوا له العمل، ومحصوه من شوائب الحيل، ولم ييأسوا من رحمته، ولم يبطروا بنعمته، والصلاة والسلام على محمد خاتم رسله، الهادى إلى الحق و سبله، الداعى إليه بقوله وفعله، المؤثر له على نفسه وأهله، المعرض عن نعيم الدنيا لأجله، وعلى آله وصحبه الذين بايعوه، وعلى الصراط المستقيم والمنهج الواضح تابعوه.


الإمام الشيخ محمد عبده

وبعد فما أنا ممن تكتب سيرته، ولا ممن تترك للأجيال طريقته. فإنى لم آت لأمتى عملا يذكر، ولم يكن لى فيها إلى اليوم أثر يؤثر،حتى أكون لأحد منها قدوة، أو يكون لأحد فى أسوة، وهذا الذى أجد من إستصغار أمرى، وخفاء أثرى، وظهور عجزى عن بلوغ مايرمى إليه فكرى ويطمح إليه نظرى كان يمنعنى من أن أكتب شيئا يتعلق بحياتى، تعرض فيه بداياتى، وشىء من أعمالى بعدها وصفاتى، حتى أكو ن به باقيا عند من يطالعه بعد مماتى. وكنت أقول: وقت أصرفه فى حكمة أستفيدها خير من زمن أنفقه فى قصة أستعيدها، وما الذى عساه يبقى منى، وأنا فى قومى لم أترك ما يؤثر عنى.

ولكن عرض لى أن زرت يوما بعض معارفى من الغربيين ممن نظروا فى الآفاق وبحثوا فى العادات والأخلاق، وجابوا لذلك الأقطار، وركبوا الأخطار، وتجشموا مشاق الأسفار، وحققوا فى ذلك ونقبوا، وكتبوا فيه ماشاء الله أن يكتبوا، فدار الحديث بيننا على شوؤن بعض الأمم الحاضرة، وما يجرى فيها مما أدت إليه حوادثها الماضية، فذكرت لهم ما عندى فى ذلك وما أقيم عليه رأيى من مشاهدات، فى أيامى الخاليات،فرأو ا فيما ذكرت شيئا يستحق أن يذكر، ولا ينبغى أن يهمل ويهدر، وزادوا على ذلك أن قالوا : أنهم يتمنون أن يروه منقولا إلى لغتهم ، مقروءا فى قومهم بلسانهم، ولن يكمل ذلك حتى يكون مدرجا فى سيرتى، معروضافى تضاعيف وصفى لمعيشتى، وما تنقلت فيه من أدوار، و ما تدرجت إليه من آراء و أفكار، مع إسناد كل شئ إلى سببه ورد كل أمر إلى أصله، وسألونى مع ذلك أن أكتب ما أعرف من نسبى وما كان عليه بيتى ومنزلة أهلى من قومى، فقلت سبحان الله لو كانوا من المسلمين لقلت أنهم أخذوا بقوله صلى الله عليه وسلم« لا تحقرن من المعروف شيئا » أولئك قوم يسرفون الأقدار، ويقدرن الآثار، لا يبخسون شيئا حقه، ولا ينكرون عليه ما استحقه، يطلبون النفعة فى كل شئ، حتى فيما لا قيمة له فى نظرنا، وفيما نعده من الضائعات فيما بيننا. هذا الذى ألقتهم إلى دعوتى لتحرير سيرتى-

نزر قليل مما أقصة كل يوم على أبناء جلدتى، وهم يسمعون ما بين عابث بلحيته، ولاه بكبريائه وعنجهيته، و مغرور بمقامه ورتبته، ومعجب بسنه و شيخوخته، وما استحثنى على إثبات شئ مما غشينى إلا رجل واحد يشاركنى فى الملة [1] ولكنه يفارقنى فى الأصل و المنشأ، وكان كلامه فى استنهاضى لذلك « أنه إن لم ينفع أهل عصرنا انتفع به من يأتى بعدنا» غير أن المرء ولوع بما بين يديه غير واثق بما غاب عنه، فكنت أدافعه بما قدمت من الأعاليل، ولكن لما نصره أولئك الغرباء وأيده فى طلبه العرفاء وبالغوا فى الإلحاح على حتى قال لى أحدهم ثانى يوم [2] «لعل الفصل الأول قد تم» يريد بذلك لعلى بدأت فى العمل عقب مفارقته وأتممت الفصل الأول من الكتاب مع أنى لم أكن شرعت فيه، وفى يوم سفره قال « أرجو أن أقرأ الكتاب بلغتنا فى مثل هذه الأيام من العام القابل»

لما تكرر الطلب فى هذه الصور المختلفة رأيت ان الإضراب عن الإجابة إغراق فى الخمول وتقصير فى احترام رأى لم يشبه رياء ولم يحمل عليه إلا قوة الظن بالفائدة فى المطلوب.

ثم نظرت فى نفسى وما كانت بدايتى، و ما لاقيت فى تربيتى، وما نزعت إليه أثناء الطريق فى سيرى، وما انتهيت إليه فيما تأخر من أيام عمرى ، قست جميع ذلك إلى ما عليه الناس حولى، فو جدت اختلافا قد يسهو عنه الغافل ، ولكن ربما ينتفع بملاحظته العاقل.

وجدت أننى نشأت كما نشأ كل واحد من الجمهور الأعظم من الطبقة الواسطى من سكان مصر ودخلت فيما فيه يدخلون، ثم لم ألبث بعد قطعة من الزمن أن سئمت الاستمرار على ما يألفون، واندفعت إلى طلب شئ مما لا يعرفون ، فعثرت على ما لا يكونوا يعثرون عليه، وناديت بأحسن ما وجدت ودعوت إليه، وارتفع صوتى بالدعوة إلى أمرين عظيمين- الأول تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف، والرجوع فى كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى واعتباره من ضمن موازين العقل البشرى التى وضعها الله لترد من شططه، وتقلل من خلطه وخبطه،

(١) يقصد الشيخ محمد رشيد رضا
(٢) كان هو الإنجليزى ويلفرد بلنت

لتتم حكمة الله فى حفظ نظام العالم الإنسانى وإنه على هذا الوجه يعد صديقا للعلم، باعثا على البحث فى أسرار الكون، داعيا إلى احترام الحقائق الثابتة، مطالبا بالتعويل عليها فى أدب النفس وإصلاح العمل، كل هذا أعده أمراً واحداً وقد خالفت فى الدعوة إليه رأى الفئتين العظيمتين اللتين يتركب منهما جسم الأمة- طلاب علوم الدين ومن على شاكلتهم، وطلاب فنون هذا العصر ومن هو فى ناحيتهم.

أما الأمر الثانى فهو إصلاح أساليب اللغة العربية فى التحرير سواء كان فى المخاطبات الرسمية بين دواوين الحكومة ومصالحها أو فيما تنشره الجرائد على الكافة منشأ أو مترجما من لغات أخرى أو فى المراسلات بين الناس.

وكانت أساليب الكتابة فى مصر تنحصر فى نوعين كلاهما يمجه الذوق وتنكره لغة العرب:

الأول ما كان مستعملا فى مصالح الحكومة وما يشبهها وهو ضرب من ضروب التأليف بين الكلمات، رث خبيث غير مفهوم، لا يمكن رده إلى لغة من لغات العالم، لافى صورته و لا فى مادته، ولا يزال شئ من بقاياه إلى اليوم عند بعض الكتاب من القبط ومن تعلم منهم، غير أنه والحمد لله قليل.

والنوع الثانى ما كان يستعمله الأدباء والمتخرجون من الجامع الأزهر وهو ما كان يراعى فيه السجع وإن كان باردا، وتلاحظ فيه الفواصل وأنواع الجناس وإن كان رديئا فى الذوق بعيداً عن الفهم ثقيلا على السمع غير مؤد المعنى المقصود و لا منطبق على آداب اللغة العربية، وهو وإن كان يمكن رده إلى أصول اللغة العربية فى صورته، لكنه لا يعد من أساليبها المرضية عند أهلها، ولا يزال هذا النوع موجودا فى عبارات المشايخ خاصة.

ثم ورد علينا فى أخريات الايام ضرب آخر من التعبير كان غريبا فى بابه وهو ما جاءنا من الأقطار السورية فى جريدتى الجنه والجنان المنشأتين بقلم المعلم بطرس البستانى، هذا الضرب كان يعد من غرائب الأساليب وبه أنشئت جريدة الأهرام فى مصر وقد محى أثره والحمد لله.

وهناك أمر آخر كنت من دعاته والناس جميعا فى عمى عنه، وبعد عن تعقله، ولكنه هو الركن الذى تقوم عليه حياتهم الإجتماعية، وما أصابهم الوهن والضعف و الذل إلا بخلو مجتمعهم منه، وذلك هو التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة .

نعم كنت فيمن دعا الأمة المصرية إلى معرفة حقها على حاكمها، وهى هذه الأمة لم يخطر لها هذا الخاطر على بال من مدة تزيد على عشرين قرنا . دعوناها إلى الاعتقاد بأن الحاكم وإن وجبت طاعته، هو من البشر الذين يخطئون وتغلبهم شهواتهم وأنه لايرده عن خطأه ولا يقف طغيان شهوته، إلا نصح الأمة له بالقول وبالفعل.

جهرنا بهذا القول والاستبداد فى عنفوانه والظلم قابض على صولجانه. ويد الظالم من حديد. و الناس كلهم عبيد له أى عبيد.

نعم إننى فى كل ذلك لم أكن الإمام المتبع ولا الرئيس المطاع، غير أنى كنت روح ا لدعوة، و هى لا تزال بى فى الكثير مما ذكرت قائمة، ولا أبرح أدعو إلى عقيدتى فى الدين وأطالب بإتمام الإصلاح فى اللغة وقد قارب.

أما أمر الحكومة والمحكوم فتركته للقدر يقدره، وليد الله بعد ذلك تدبره، لأننى قد عرفت أنه ثمرة تجنيها الأمم من غراس نغرسه ونقوم على تنميته السنين الطوال، فهذا الغراس هو الذى ينبغى أن يعنى به الآن والله المستعان.

أصبت نجاحا فى كثر مما عنيت به ، أخفقت فى كثير مما وجهت عزيمتى إليه، ولكل ذلك أسباب بعضها مما غرز فى طبعى، وشئ منها مما احتف حولى، و طائفة منها من إصالتى فى الرأى أو خطلى، ومن الذى يستطيع أن يفصل ذلك غيرى ،حتى يكون إن شاء الله عبرة لمن يأتى من بعدى.

لهذا رأيت أن أكتب ما لاقيت، وأثبت ما صادفت من لدن عقلت، منبها على ما فى من معايب، وعلى إحسان الله إلى فى بعض المزايا، وعلى غلل الحوادث التى مررت بها أو مرت بى فى أطوار حياتى، غير أنى أبدأ بكلام قليل فيما يتعلق بما فى بيتى وهو ما لا أعرفه إلا بالسماع من أهله كما لا يخفى.

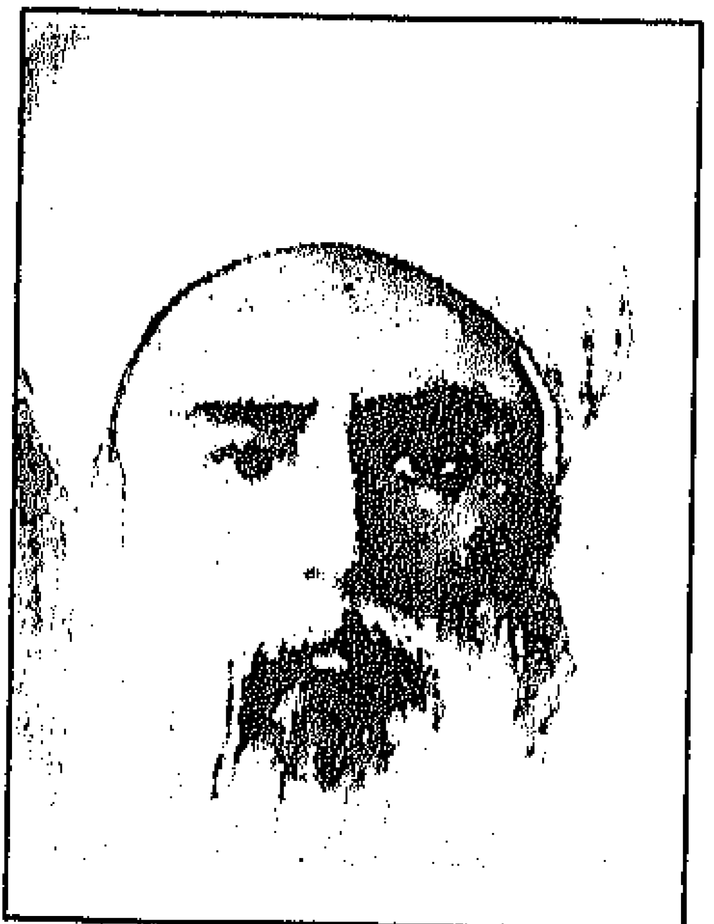
الفصل الأول

أهلي

أهلي

بقلم :
الإمام الشيخ محمد عبده

أول ما عقلت من أنا ومن والدتى ومن والدى ومن هم أقاربى وجيران بيتى، عرفت أنى ابن عبده خير الله من سكان قرية محلة نصر بمركز شبراخيت من مديرية البحيرة، ووقر فى نفسى احترام والدى ونظرت إليه أجل الناس فى عينى وسكن من هيبته فى قلبى ما لا أجده لأحد من الناس اليوم عندى.


الإمام الشيخ محمد عبده

أما عوامل هذا الاحترام وذلك الإجلال فأتذكر منها قلة الكلام أمامى ووقار كان فى الحركات والأعمال والهيأة، والتنزه عن مخالطة الصغار من الناس، ومشاهدتى أهل بلده يحترمونه ويبالغون فى توقيرهم إياه، وانفراده بالطعام دون والدتى وأخواتى، فان ذلك كان آية العظم عندنا فإنه ما كان يواكل نساءه وأولاده فى تلك الأوقات إلا الفقراء وأهل الطبقة السفلى من أهل القرية.

ثم وجدت والدى يقرى الضيف ويؤوى الغريب ويفتخر بإكرام النزيل، وذلك كان يزيد منزلته من نفسى علوا، وأنا لا أفهم من هذا إلا أنه شئ يفتخر به بدون أن أعقل له علة، وبالجملة كنت أعتقد أن والدى أعظم رجل فى القرية وكل من فيها دونه، وهو بذلك كان أعظم رجل فى الدينا، فإن الدينا عندى لم تكن أوسع من قرية محلة نصر، وكان يمدنى فى اعتقادى هذا، رؤيتى لبعض الحكام كناظر القسم « مأمور المركز» وحاكم الخط « معاون المركز» ينزلون عندنا ولا ينزلون فى بيت ا لعمدة، مع أنه كان أوسع رزقا من والدى وأكثر دورا وأرضين، وفشا فى بذلك الاعتقاد بأن الكرامة وعلو المنزلة لا يتعلقان بالثروة ووفرة المال.

هذا وكنت أعقل من صغرى ما كان عليه والدى من ثباته فى عزيمته وشدته فى المعاملة وقسوته على من يعاديه، وقد أخذت عنه، ما عدا القسوة، وأحمد الله ولا أحصى ثناء عليه.

أما والدتى فكانت منزلتها بين نساء القرية لا تنزل عن مكانة والدى، وكانت ترحم المساكين وتعطف على الضعفاء وتعد ذلك مجدا، وطاعة لله وحمدا، ولم أزل أجد أثر ما وعيت من ذلك فى نفسى إلى اليوم.

عرفت لى عما يسمى بهنسى، ولا أعرف من أحواله شيئا لأنه مات قبل أن أحفظ عنه، وكان لوالدى ابن عم يسمى ابراهيم ولم يكن له بين الناس ما يذكر به وكان يساكننا فى بيت واحد، ولا يزال ولده يسكن فى قسم من منزلنا

إلى اليوم، ولنا أقارب كثيرون يتصلون بنا من جهة النساء وبيوتهم من خير البيوت فى القرية.

هذا ما عرفته من حاضر بيتى فى أول أمرى وما طرأ عليه سيأتى ذكره فى سيرتى، أما ماضيه فأنما أذكره حديثا عن أبى ورواية عن بعض من عرف شيئا منه ممن أثق به من ذوى قرابتى وغيرهم.

جدى لأبى كان يسمى حسن خير الله توفى عن أبى وعمى بالهواء الأصفر الذى فتك بسكان القطر المصرى فى أواسط القرن الماضى، ويقال أنه كان له قبل موته من بنى عمه وذوى عصبته نحو اثنى عشر رجلا وشى بهم واش من بيت آخر، جاء البلدة وسكن فيها وحسد أهل الحسب من سكانها فسعى بأهل هذا البيت « بيت خير الله» عند الحكام بحجه أنهم ممن يحمل السلاح ويقف فى وجوه الحكام وأعوانهم عند تنفيذ المظالم، فأخذوا جميعا وزجوا فى السجون واحدا بعد واحد، ومن دخل منهم السجن لا يخرج إلا ميتا، وكان جدى حسن شيخا بالبلدة وهو الذى بقى مع البيت مع ابن أخيه ابراهيم الذى سبق ذكره.

بعد و فاته طالت يد ذلك الكاشح بمساعدة أعوان الحكومة إلى سلب ما كان فى البيت من تراث حيث لم تكن قوة تدافعه، فإنه لم يكن بقى إلا والدى فى سن الرابعة عشرة وعمى فى سن السادسة عشرة وابراهيم فى سن الثامنة عشرة والنساء، فأخذ جميع ما كان فى البيت حتى الأبواب وبعض أخشاب السقوف، فهاجر و الدى وعمى ومن معهما من البلدة ولجأوا إلى خلل والدى الحاج محمد خضر، وكان عمدة فى قرية صغيرة تعرف بكنيسة أورين من مركز شبراخيت ولكنه لم يستطيع إيواءهم عنده خوف الاضطهاد، لأن هذه المصائب كلها لم تكن قد استلت أحقاد الظلمة من الحكام والوشاة، فأخذهم خفية وسار بهم إلى مديرية الغربية عند أحد أقاريه فى قرية يقال لها منية طوخ بمركز السنطة، ثم انتقلوا إلى قرية بجانبها تسمى شتراء، وكان معهم من النقود ما يسمح لهم باستئجار أطيان يعملون فى زراعتها إما بأنفسهم أو بشركاء يعملون بأيديهم ويقتسمون الريع معهم.

واشتهر والدى بالفتوة والبراعة فى الصيد بالسلاح وأحبه لذلك مصطفى

أفندى المنشاوى ومحمد أخوه، وكانا موظفين فى دائرة المرحوم اسماعيل باشا الخديوى، الأول فى وظيفة مفتش زراعة والثانى بوظيفة ناظر، وطابت له صحبتهما وعدوه كأنه واحد من أهلهما ودام ذلك مدة سنين.

ولما اشتد الظلم على أهل قرية محلة نصر، وضاقت بهم السبل كما كان يسومهم ذلك الواشى من الخسف والذل، أخذوا يتسللون بيتا بعد بيت ، يهجرون القرية ويذهبون ليقيموا فى جوار من سبقهم من أهلى فأحس الشقى بإشراف القرية على الخراب، وفى ذلك انتقاص منافعه وخسار كبير فى مصالحة، فجدد الوشاية بوالدى ومن معه ورفع شكوى إلى مدير البحيرة وكان فى شبراخيت، يذكر فيها أن والدى مأوى لمن فروا بأسلحتهم من القرية، وكان قد صدر أمر المرحوم عباس باشا الأول بتجريد الأهالى من السلاح وحظر حمله عليهم، فكتب مدير البحيرة بذلك إلى مدير الغربية واتهم مع ذلك مصطفى أفندى المنشاوى بايوائه بعض ا لفارين من العسكرية، فأخذ الجميع على غرة وقبض عليهم فى بيوتهم وسيقوا إلى مديرية الغربية، أما مصطفى المنشاوى فأرسل إلى ليمان الإسكندرية، وأما والدى ومن معه فأرسلوا إلى مديرية البحيرة ليحبسوا هناك إلى أن يصدر الأمر فى شأنهم، ولم يزالوا فى السجن إلى أن توفى عباس باشا فأفرج عنهم وعن غيرهم، وبعد ذلك عاد والدى إلى مسقط رأسه فى أول ولاية المرحوم سعيد باشا ولم يجد شيئا مما كان يملكه أسلافه إلا جدران البيت مهدمة.

تقدم أنه طالت إقامته فى مديرية الغربية، ويقال إن مدتها بلغت نحو خمس عشرة سنة، وفى أثنائها عرف كثيرا من سكان البلاد المجاورة لشترا، وعرف فيمن عرف بيت والدتى، وهو بيت كبير فى بلدة تسمى حصه شبشير، يعرف ببيت عثمان، كان كبيره إذ ذاك جدى ابراهيم عثمان الكبير، فتزوج والدتى وأخذها إلى شترا وفيها ولدت فى أواخر سنة خمس وستين بعد المئتين والألف من الهجرة *، ولم يولد له منها غيرى إلا بنتان إحداهما تسمى زمزم وهى بكرة وتوفيت قبل ولادتى والأخرى تسمى مريم وهى لم تمت حتى تزوجت، وأنا فى آخر سنى طلب العلم.

* جاء التاريخ هكذا بخط الإمام.. ولكن هناك رواية أخرى عنه أنه ولد سنة ١٢٥٦ هـ.. وهى المشهورة كما يقول الشيخ محمد رشيد رضا

كنت أسمع المزاحين من أهل بلدتنا يلقبون بيتنا ببيت التركمان، فسألت والدى عن ذلك فأخبرنى أن نسبنا ينتهى إلى جد تركمانى جاء من بلاد التركمان فى جماعة من أهله وسكنوا فى الخيام بمديرية البحيرة مدة من الزمن، ثم اتفق أن اتصل بهم شيخ يسمى عبد الملك لا يعرف نسبه ولكنه كان معتقدا له كرامات تنسب إليه، واتخذ له خلوة فى المحل الذى أسست فيه قرية محلة نصر، فلما توفى رأى جدنا ومن كان من أهل بيت الشيخ وبيت آخر يسمى بيت الفرانونى، أن يبنوا له قبة ثم يقيموا لهم بيوتا من البناء حول تلك القبة ويسكنوها، ثم انضم اليهم بيوت كثيرة تكون من مجموعها قرية محلة نصر، وذلك من زمن مديد لا يعرف ابتداؤه، ولا تزال قبه الشيخ وبيت أقربائه إلى اليوم، أما تسميتها بمحلة نصر فذلك لأن مزارع البلدة كانت أعطيت أقطاعا لشخص يسمى نصرا فسميت باسمه وذلك فى زمن لا نعرفة أيضا. وقد أخبرنى المرحوم على باشا مبارك أنه اطلع على رحلة لعبد اللطيف البغدادى الشهير تعرف بالرحلة الكبرى ورأى فيها اسم محلتى نصر ومسروق، وأنه نزل ضيفا فى بيت خيرالله التركمانى، وقال إن البيوت الكبيرة فى البلدة كانت ثلاثة: بيت الشيخ وبيت خيرالله وبيت الفرنوانى.

أما بيت والدتى فيقال إنه عربى قرشى وأنه يتصل فى النسب بعمر بن الخطاب رضى الله عنه ولكن ذلك كله روايات متوارثه لا يمكن إقامه الدليل عليها.

وهنا موضع الكلام على سبب ضياع الأنساب فى الإسلام وكيف وصل الأمر بالمسلمين إلى أن لا يعرف الواحد منهم أبائه أكثر من ثلاثة ومنهم من لا يعرف غير والده.

جاء الإسلام والعرب أشد الناس محافظة على أنسابهم وأشدهم حرصا على معرفة ما كان لأسلافهم من مجد وحسب و كانوا يبالغون فى الإعتزاز بشرف الأحساب حتى كادوا لا يعدون من خلال الخير شيئا يساوى شرف النسب وهيهات أن يرتفع ذو أدب بأدبه، إلى رتبه شريف بنسبه، وإن كان خاملا فى نفسه غير شئ فى عمله.

ولا يخفى ما كان فى ذلك من بخس الحق والاستهانه بالكرم الذاتى

والشرف العصامى والاتكال فى نيل المقامات العالية بين الناس على ما فعل السابقون، لاعلى ما يكسبه المرء بجده واجتهاده. نعم كان فى الافتخار بالآباء والأجداد ومعرفة ما أتوا به من جليل الأعمال وما كانوا عليه من كريم الخصال، تحريض لأخلافهم على الأقتداء بهم ، وحفظ ماورثوهم من علو ورفعة، لكن الكسل الملازم لطبيعة الإسان كان يغلب جانب ا لاتكال على جانب الأسوة.فجاء الدين الاسلامى ينكر الإفراط والغلو فى اعتبار الأنساب، كما أنكر ذلك فى كل شئ، حتى فى الدين نفسه، وقال التنزيل « إن أكرمكم عند الله أتقاكم» وقال صلى الله عليه وسلم « إئتونى بأعمالكم ولا تأتوتنى بأنسابكم» ليدل على أن النسب وحده ليس بالشئ يرفع ويخفض، ولكن المعول عليه، وما يصح أن يرجع الكرم إليه ، إنما هو ما يكون عليه ا لمرء نفسه، فان وافق ذلك نسبا عاليا وحسبا تالدا كان أبلغ فى الشرف وأعرق فى الكرم، وإلا فلن يبخس العامل عمله ولن يحرم أولئك الذين فاض عليهم الفضل الالهى فرفع أنفسهم عما كان وضعهم آباؤهم، فجعلهم بذاتهم أصولا للكرم و أدواحا للمجد بما أودع فيهم من الغرائز الفاضلة، ووفقهم للأعمال الصالحة، فمنهم يبتدى الحسب وإليهم فى القرون المستقبلة يرجع النسب.

هذا ما أراده الإسلام وما دعا إليه، ولكنه مع ذلك أمر برعاية النسبة إلى الآباء ونفى ما كان عند الجاهلية من عادة التبنى والالتحام بالأدعياء وفرض على المؤمنين أن يدعوهم لآبائهم ليعرفوا بهم لا بمن اندرجوا فيهم، وجعل لقريش من الفضل على غيرها من القبائل ما تقصر من بلوغه رواحل الآمال، وأوصى على بن أبى طالب أن يعهد بجلائل الأعمال إلى أهل البيوتات الصالحة وذوى القدم السابقة، وجاءت سنة السلف شاهدة بأن للأنساب وتوارث الأحساب مظاهر فى أعمال الأشخاص وآثارا فى خصالهم ينبغى النظر إليها. فلم يهمل الإسلام شأن النسب ولم يضع من شأن الأدب المكتسب بل طلب العدل فى الأمرين، وجمع لأهله بين النظرين الصادقين.

ولكن ماذا يصنع الإسلام فى المسلمين وقدمهروا فى تحريفه وقلب مقاصده العالية إلى أضدادها ، كأنما هم مغرون بذلك من أعدائه. رأوا من بداية الأمر أن بعض من لا نسب لهم من الموالى والملصقين قد بلغوا من منازل الكرامة بين المسلمين ما يغبطهم عليه أهل الأحساب، وذلك بما أحرزوا من شجاعة ونجدة

أو علم وفضيلة، وبلغ من أمر بعض الموالى الذين لا يعرف آباؤهم فضلا عن أجدادهم فى الدولة العباسية أن استبدوا على الخلفاء من نسل العباس بن عبد المطلب واغتصبوا الملك منهم وسادوا على كل ذى حسب ونسب فى أيامهم، بل قد فعل كثير منهم الأفاعيل بأشرف الناس نسبا من آل بيت النبوة، فسقطت لذلك منزلة النسب من نفوس المسلمين وعاندوا سنة من أعظم سنن الله فى خلقه وهى سنة توارث الأخلاق والغرائز، وأن ما يكون فى الآباء من أصول الملكات، يهئ الأبناء لكسب مثلها، وما جاء مخالفا لذلك فهو من مبتدعات القدرة الإلهية ، وأما التربية فإن كانت حسنة مهدت السبيل وأسرعت بتكوين الملكة الصالحة فى النفس المستعدة حتى يكون الشاب من أهل بيت صالح بمنزلة الشيخ ممن جاهد نفسة وأخذها بالرياضة على مكارم الأخلاق وليس له سلف فيها، وإن كانت رديئة أماتت الاستعداد للخير ومحته من طبيعة النفس و جاءت بدله بضده.

و شأن التربية مع الاستعداد للرذائل ذلك الشأن بعينه، فإن كانت صالحة أماتت ذلك الاستعداد ولكن بعد عناء يستغرق السنين الطوال، وإن كانت غير صالحة أسرعت بتكوين الملكات الخبيثة فى نفس الناشئ، حتى يكو ن الفتى من قوم فاسقين قد بلغ مبلغ الشيخ من غيرهم.. يرميه القدر من أول نشأته من قسى الحاجة فيأخذ يكلف نفسه ما ليس فى استعداها ويحملها على معاطاة مالا يليق من الخلال من الحيلة والمكر والخديعة مثلا وهو ليس من أهلها.

هكذا أغفل المسلمون مراعاة هذه السنة فى أنفسهم مع أنهم لم يغفلوا عنها فى دوابهم من الخيل والحمير وما شيتهم من البقر والغنم والإبل ونحوها، فيطلبون نتاج الجياد، من الجياد لكنهم لا يطلبون البنين من أم البنين، بل ولعوا بالجوارى والإماء ممن لا تعرف أصولهن، ولم تعرض على الإختبار خلالهن، فى بيوت آبائهن وأكثر ما كان من ذلك فى بيوت الخلفاء ومن يليهم من علية الناس، فكان خيرا للإبن أن ينسى خؤولته بعد أن كان يفتخر بها. و ولع الملوك بالمماليك وظنهم فيهم الإخلاص فى الولاء وثقتهم بأمانتهم ذهب بهم إلى رفعهم على رؤس من سواهم، فتوجهت إليهم النفوس بالرعاية والإحترام، وما كان لأحد من أولئك العبيد المحترمين أن يذكر له أبا أو يتذكر لنفسه نسبا،

فصار الجهل بالأنساب عادة وبئست العادة، وأصبح البيت القديم المؤسس على مئين من السنين لا يعرف من أسلافه إلا واحدا أو اثنين، ومن يبقى بعد ذلك فقد أكل الزمن ذكره ومحى جهل خلفه أثره.

ولذلك أقول أن ما أسمعه عن بيت والدى ووالدتى إنما هو روايات فى أفواه الأهل والأقارب ومن يعرفهم من الناس، قد يكون لها طريق إلى الصحة وقد تكون مما يخترعه الناس لتزيد الفضل ، غير أن ذلك يأتى فى الإنتساب إلى قريش وعمر ابن الخطاب، أما فى الانتساب إلى أصل تركمانى فلا أظن ذلك يأتى، و لهذا يترجح عندى جانب صحة ا لخبر ويؤيده ما يرى فى أهل بيتنا من بعض الخصال التى لا يشاركون فيها من يجاورهم فى مساكنهم.

● ويعلق الشيخ محمد رشيد رضا على هذا الفصل قائلا:

هذا ما كتبه رحمه الله فى ترجمة نفسه، ومن الأخلاق المعروفة لبيته أن والده كان إلى آخر عمره شهما شجاعا وقورا مهيبا سخى النفس كريم النحيزة محترما من كل من يجالسه، وكانت والدته برة رحيمة بالمساكين ذكية الفؤاد شديدة الحياء، ولا أبعد إذا قلت أن والديه كانا من أسلم الناس فطرة وأحسنهم خلقا. وكانت هذه الأخلاق فيهما موروثة ومكتسبة بالمعاشرة والقدوة لا بتعليم المدارس ولا بتأديب المعلمين. وهذا أصل عظيم فى استعداد الرجل لما وصل إليه من الكمال الذى لم نر ولم نسمع بمثله، وقد قال صلى الله عليه وسلم « الناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا» رواه البخارى ومسلم، ولذلك كان السيد جمال الدين يقول له :قل لى بالله أى أبناء الملوك أنت، يشير إلى أن ما كان عليه من الأخلاق العالية وشرف النفس كان وراثياً.

الفصل الثاني

الإمام الشيخ محمد عبده

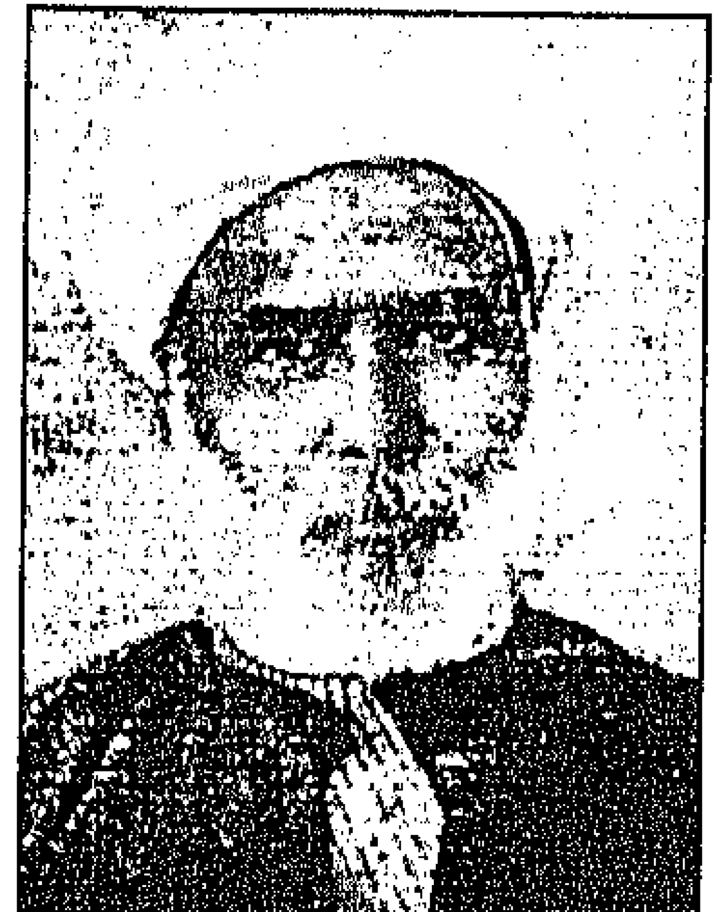
نشأته وتربيته وطلب العلم

النشأة والتربية وطلب العلم

بقلم :
الإمام الشيخ محمد عبده

● يقول الشيخ محمد رشيد رضا عن الإمام الشيخ محمد عبده:

نشأ كما ينشأ أمثاله من أبناء البيوت المعروفة فى القرى ولم يدخل المكتب لتعلم القراءة والكتابة إلا بعد أن جاوز العاشرة من سنه، وقد كتب هو عن مبدأ تعلمه وتأدبه من مذكرات أعطانيها لأستخرج منها ترجمة مختصرة له- وكان قد طلبها بعض الغرباء الفضلاء- ما نصه:


الإمام الشيخ محمد عبده

«تعلمت القراءة والكتابة فى منزل والدى ثم انتقلت إلى دار حافظ قرآن قرأت عليه و حدى جميع القرآن أول مرة ثم أعدت القراءة حتى أتممت حفظة جميعه فى مدة سنتين، أدركنى فى ثانيتهما صبيان من أهل القرية جاؤا من مكتب آخر ليقرؤا القرآن عند هذا الحافظ ظنا منهم أن نجاحى فى حفظ القرآن كان من أثر إهتمام الحافظ».

«بعد ذلك حملنى والدى إلى طنطا حيث كان أخى لأمى الشيخ مجاهد رحمه الله، لأجود القرآن فى المسجد الأحمدى لشهرة قرائه بفنون التجويد، و كان ذلك فى سنة ١٢٧٩ هجرية»

« ثم فى سنة إحدى وثمانين جلست فى دروس العلم وبدأت بتلقى شرح الكفراوى على الأجرومية فى المسجد الأحمدى بطنطا، وقضيت سنة ونصفا لا أفهم شيئا لرداءة طريقة التعليم، فإن المدرسين كانوا يفاجئوننا باصطلاحات نحوية أو فقهية لا نفهمها ولا عناية لهم بتفهيم معانيها لمن لم يعرفها، فأدركنى اليأس من النجاح، وهربت من الدرس واختفيت عند أخوالى مدة ثلاثة أشهر ثم عثر على أخى فأخذنى إلى المسجد الأحمدى وأرادو إكراهى على طلب العلم فأبيت وقلت له: قد أيقنت أن لانجاح لى فى طلب العلم ولم يبق على إلا أن أعود إلى بلدى وأشتغل بملاحظة الزراعة كما يشتغل الكثر من أقاربى: وانتهى الجدال بتغلبى عليه، فأخذت ما كان لى من ثياب ومتاع ورجعت إلى محلة نصر على نية أن لا أعود إلى طلب العلم، وتزوجت فى سنة ١٢٨٢ على هذه النية»

« فهذا أول أثر وجدت فى نفسى من طريق التعليم فى طنطا، وهى بعينها طريقته فى الأزهر، وهو الأثر الذى يجده خمسة وتسعون فى المئة ممن لا يساعدهم القدر بصحبة من لا يلتزمون هذه السبيل فى التعليم- سبيل إلقاء المعلم ما يعرفه أو ما لا يعرفه، بدون أن يراعى المتعلم ودرجة استعداده

للفهم، غير أن الأغلب من الطلبة الذين لا يفهمون تغشهم أنفسهم فيظنون أنهم فهموا شيئا فيستمرون على الطلب إلى أن يبلغوا سن الرجال، وهم فى أحلام الأطفال، ثم يبتلى بهم الناس وتصاب بهم العامة فتعظم بهم الرزية، لأنهم يزيدون الجاهل جهالة ويضللون من توجد عنده داعية الاسترشاد ويؤذون بدعاويهم من يكون على شئ من العلم ويحولون بينه وبين نفع الناس بعلمه»

«بعد أن تزوجت بأربعين يوما جاءنى والدى ضحوة نهار وألزمنى بالذهاب إلى طنطا لطلب العلم، وبعد احتجاج وتمنع و إباء لم أجد مندوحة عن إطاعة الأمر ووجدت فرسا أحضر، فركبته وأصحبني والدى بأحد أقاربى وكان قوي البنية شديد البأس ليشيعنى إلى محطة « إيتاى البارود» التى أركب منها قطار السكة الحديدية إلى طنطا».

«كان اليوم شديد الحر والريح عاصفة ملتهبة سافياء تحصب الوجه بشبه الرمضاء، فلم أستطع الاستمرار فى السير، فقلت لصاحبى أما مداومة المسير فلا طاقة لى بها مع هذه الحرارة، ولا بد من التعريج على قرية أنتظر فيها أن يخف الحر، فأبى على ذلك فتركته وأجريت الفرس هاربا من مشادته، وقلت إنى ذاهب إلى «كنيسة أورين » - بلدة غالب سكانها خؤوله أبى - و قد فرح بى شباب القرية لأننى كنت معروفاً بالفروسية واللعب بالسلاح وأملوا أن أقيم معهم مدة يلهو فيها كل منا بصاحبه».

قصتى مع الشيخ درويش

«أدركنى صاحبى وبقى معى إلى العصر وأرادنى على السفر فقلت له خذ الفرس وارجع وسأذهب صباح الغد وإن شئت قلت لوالدى أنى سافرت إلى طنطا. فانصرف وأخبر بما أخبر وبقيت فى هذه القرية خمسة عشر يوما تحولت فيها حالتى، وبدلت فيها رغبة غير رغبتى، ذلك أن أحد أخوال أبى واسمه الشيخ درويش سبقت له أسفار إلى صحراء ليبيا ووصل فى أسفاره إلى طرابلس الغرب وجلس إلى السيد محمد المدنى والد الشيخ ظافر

المشهور الذى كان قد سكن الآستانة وتوفى بها و تعلم عنده شيئا من العلم وأخذ عنه الطريقة الشاذلية، وكان يحفظ الموطأ وبعض كتب الحديث ويجيد حفظ القرآن وفهمه، ثم رجع من أسفاره إلى قريته هذه واشتغل بما يشتغل به الناس من فلح وكسب الرزق بالزراعة».

«وأن هذا الشيخ جاءنى صبيحة الليلة التى بتها فى الكنيسة وبيده كتاب يحتوى على رسائل كتبها السيد محمد المدنى إلى بعض مريديه بالأطراف بخط مغربى دقيق، وسألنى أن أقرأ له فيها شيئا لضعف بصره فدفعت طلبه بشدة و لعنت القراءة ومن يشتغل بها ونفرت منه أشد النفور، ولما وضع الكتاب بين يدى رميته إلى بعيد لكن الشيخ تبسم وتجلى فى ألطف مظاهر الحلم ولم يزل بى حتى أخذت الكتاب وقرأت منه بضعة أسطر، فاندفع يفسر لى معانى ما قرأت بعبارة واضحة تغالب إعراضى فتغلبه و تسبق إلى نفسى. وبعد قليل جاء الشبان يدعونى إلى ركوب الخيل واللعب بالسلاح والسباحة فى نهر قريب من القرية فرميت الكتاب وانصرفت إليهم.

بعد العصر جاءنى الشيخ بكتابه وألح علىَ فى قراءة شئ منه فقرأت وفسر ثم تركته إلى اللعب. وفعل فى اليوم الثانى كما فعل فى الأول».

«أما اليوم الثالث فقد بقيت أقرأ له فيه وهو يشرح لى معانى ما أقرأ نحو ثلاث ساعات لم أمل فيها، فقال لى إنه فى حاجة إلى الذهاب إلى المزرعة ليعمل بعض العمل فيها، فطلبت منه إبقاء الكتاب معى فتركه، ومضيت أقرأه وكلما مررت بعبارة لم أفهمها وضعت عليها علامة لأسأله عنها، إلى أن جاء وقت الظهر وعصيت فى ذلك اليوم كل رغبة فى اللعب وهوى ينازعنى إلى البطالة».

« وعصر ذلك اليوم سألته عما لم أفهمه فأبان معناه على عادته وظهر عليه الفرح بما تجدد عندى من الرغبة فى المطالعة والميل إلى الفهم».

«كانت هذه الرسائل تحتوى على شئ من معارف الصوفية وكثير من كلامهم فى آداب النفس وترويضها على مكارم الأخلاق وتطهيرها من دنس الرذائل و تزهيدها فى الباطل من مظاهر هذه الحياة الدنيا ».

«لم يأت على اليوم الخامس إلا وقد صار أبغض شئ إلى ما كنت أحبه من لعب ولهو، وفخفخة وزهو، وعاد أحب شئ إلى ما كنت أبغضه من مطالعة وفهم، وكرهت صور أولئك الشبان الذين كانوا يدعونى إلى ما كنت أحب ويزهدونى فى عشرة الشيخ رحمه الله، فكنت لا أحمل أن أرى و احدا منهم، بل أفر من لقائهم جميعا كما يفر السليم من الأجرب».

«فى اليوم السابع سألت الشيخ ما هى طريقتكم فقال طريقتنا الإسلام، فقلت أوليس كل هؤلاء الناس بمسلمين؟ قال لو كانوا مسلمين لما رأيتهم يتنازعون على التافه من الأمر ولما سمعتهم يحلفون بالله كاذبين بسبب وبغير سبب».

«هذه الكلمات كانت كأنها نار أحرقت جميع ما كان عندى من المتاع القديم- متاع تلك الدعاوى الباطلة والمزاعم الفاسدة، متاع الغرور بأننا مسلمون ناجون، وإن كنا فى غمرة ساهين. سألته ما وردكم الذى يتلى فى الخلوات أو عقب الصلوات ، فقال لا ورد لنا سوى القرآن، تقرأ بعد كل صلاة أربعة أرباع مع الفهم والتدبر: قلت أنَّى لى أن أفهم القرآن ولم أتعلم شيئا، قال أقرأ معك ويكفيك أن تفهم الجملة وببركتها يفيض الله عليك التفصيل، واذا خلوت فاذكر الله- على طريقة بينها-.»

«وأخذت أعمل على ما قال من اليوم الثامن فلم تمض على بضعة أيام إلا وقد رأيتنى أطير بنفسى فى عالم آخر غير الذى كنت أعهد، واتسع لى ما كان ضيقا، وصغر عندى من الدينا ما كان كبيراً وعظم عندى من أمر العرفان والنزوع بالنفس إلى جانب القدس ما كان صغيرا، وتفرقت على جميع الهموم ولم يبق لى إلاهم واحد وهو أن أكون كامل المعرفة كامل أدب النفس، ولم أجد إماما يرشدنى إلى ما وجهت إليه نفسى إلا ذلك الشيخ الذى أخرجنى فى بضعة أيام من سجن الجهل إلى فضاء المعرفة، ومن قيود التقليد، إلى إطلاق التوحيد،-»

«هذا هو الأثر الذى وجدته فى نفسى من صحبة أحد أقاربى و هو الشيخ درويش خضر من أهل « كنيسة أورين» من مديرية البحيرة. وهو مفتاح سعادتى إن كانت لى سعادة فى هذه الحياة الدينا، وهو الذى ردلى ما كان

غاب من غريزتى، وكشف لى ما كان خفى عنى مما أودع فى فطرتى».

« وفى اليوم الخامس عشر مر بى أحد سكان بلدتنا «محلة نصر» فأخبرنى أن والدتى ذهبت إلى طنطا لترانى فعلمت أن سيقول لوالدى أنى لا أزال فى الكنيسة، فأصبحت مبكرا إلى طنطا خوف عتاب الوالد واشتداده فى اللوم لأننى لو كنت أقمت له ألف دليل على أنى وجدت فى مهربى مطلبه ومطلبى لما اقتنع».

«ذهبت إلى طنطا وكان ذلك قرب آخر السنة الدراسية فى شهر جمادى الآخرة من سنة ١٢٨٢ هجرية لكن اتفق أن بعض المشايخ كانت ماتت بنته فعاقه الحزن عليها عن إتمام شرح الزرقانى على العزية، وآخر عرض له عارض منعه عن إتمام شرح الشيخ خالد على الأجرومية، فأدركت كلا منهما فى أورئل الكتاب الذى كان يدرس وجلست فى الدرسين فوجدت نفسى أفهم ما أقرأ وما أسمع و الحمد لله. وعرف ذلك منى بعض الطلبة فكانوا يلتفون حولى لأطالع معهم قبل الدرس ما سنتلقاه».

«وفى يوم من شهر رجب من تلك السنة كنت أطالع بين الطلبة وأقرر لهم معانى شرح الزرقانى فرأيت أمامى شخصا يشبه أن يكون من أولئك الذين يسمونهم بالمجاذيب فلما رفعت رأسى إليه قال ما معناه: ما أحلى حلوى مصر البيضاء: فقلت له وأين الحلوى التى معك؟ فقال سبحان الله من جد وجد: ثم انصرف فعددت ذلك القول منه إلهاما ساقه الله إلى ليحملنى على طلب العلم فى مصر دون طنطا»: «وفى منتصف شوال من تلك السنة ذهبت إلى الأزهر وداومت على طلب العلم على شيوخه مع محافظتى على العزلة والبعد عن الناس حتى كنت أستغفر الله إذا كلمت شخصا كلمة لغير ضرورة. وفى أواخر كل سنة دراسية كنت أذهب إلى « محلة نصر» لأقيم بها شهرين - من منتصف شعبان إلى منتصف شوال- وكنت عند وصولى إلى البلد أجد خال والدى الشيخ درويشا قد سبقنى إليه فكان يستمر معى يدارسنى القرآن والعلم إلى يوم سفرى. وكل سنة كان يسألنى. ماذا قرأت، فأذكر له ما درست.

«فيقول: ما درست المنطق، ما درست الحساب، ما درست شيئا من مبادئ الهندسة: وهكذا، وكنت أقول له بعض هذه العلوم غير معروف الدراسة فى

الأزهر، فيقول: طالب العلم لا يعجز عن تحصيله فى أى مكان: فكنت إذا رجعت إلى القاهرة التمس هذه العلوم عند من يعرفها، فتارة كنت أخطئ فى الطلب وأخرى أصيب إلى أن جاء المرحوم السيد جمال الدين الأفغانى إلى مصر أواخر سنة ١٢٩٦».

«وقد صاحبته من ابتداء شهر المحرم سنة ١٢٨٧ وأخذت أتلقى عنه بعض العلوم الرياضية والحكمية « الفلسفية» والكلامية وأدعو الناس إلى التلقى عنه كذلك، وأخذ مشايخ الأزهر والجمهور من طلبته يتقولون عليه وعلينا الأقاويل، ويزعمون أن تلقى تلك العلوم قد يفضى إلى زعزعة العقائد الصحيحة، وقد يهوى بالنفس فى ضلالات تحرمها خيرى الدينا والآخرة، فكنت إذا رجعت إلى بلدى عرضت ذلك على الشيخ درويش فكان يقول لى إن الله هو العليم الحكيم ولا علم يفوق علمه وحكمته وإن أعدى أعداء العليم هو الجاهل، و أعدى أعداء الحكيم هو السفيه وما تقرب أحد إلى الله بأفضل من العلم والحكمة، فلا شئ من العلم بممقوت عند الله، ولا شئ من الجهل بمحمود لديه، إلا ما يسميه بعض الناس علما وليس فى الحقيقة بعلم،كالسحر والشعوذة ونحوهما، إذا قصد من تحصيلها الإضرار بالناس:»

- **ويعقب الشيخ محمد رشيد رضا على هذا الفصل بقوله:**

هذا ما كتبه الفقيد عن مبدأ تربيته وتعليمه فى ترجمته التى كتبها لى قبل اشتداد مرضه الأخير، وكان حدثنى بشئ من ذلك قبل، ومنه أنه لم يكن يواظب على حضور دروس من لا يفهم أولا يستفيد منهم، وأنه ربما كان يحضر درس أحدهم وفى يده كتاب آخر يطالع فيه مدة الدرس، وأن من شيوخه الذين فهم منهم واستفاد فى أول تحصيله، الشيخ محمد البسيونى وأنه بعد الحضور فى الأزهر ثلاث سنين مل الدروس المعتادة كأنه أخذ حظه منها، وصارت نفسه تطلب شيئا جديدا وتميل إلى العلوم العقلية، ولكنه حضر جميع الكتب وفهمها ولم يكن يرتاح إلى إعادة شئ منها.

وكان الشيخ حسن الطويل ممتازا فى الأزهر بعلم المنطق فحضره عليه، ولم يكن يشفى ما فى نفسه بل كانت تتشوف دائما إلى علم غير موجود فكان يبحث فى خزائن الكتب الأزهرية عن طلبته المجهولة، فيظفر ببعض

الشئ، ومما ظفر به القطب على الشمسية ناقصا. وقرأ الشيخ حسن الطويل لهم شيئا من الفلسفة ولكن لم يكن يجزم بأن المعنى كذا، بل كان الدرس احتمالات أو شبه الحزر فيما بينهم حتى جاء السيد جمال الدين فسكنت إليه نفسه من اضطرابها ووجدت عنده جميع طلبتها، وأقصى أمنيتها.

• ويضيف الشيخ محمد رشيد رضا إلى هذا قوله عن الإمام الشيخ محمد عبده:

وأخبرنى الشيخ رحمه الله تعالى أن الذى أخبره بقدوم السيد جمال الدين هو أحد المجاورين فى رواق الشوام، قال إنه جاء مصر عالم أفغانى عظيم، وهو يقيم فى خان الخليلى، فسر بذلك وأخبر الشيخ حسنا ودعاه إلى زيارته معه فألفياه يتعشى فدعاهما إلى الأكل معه فاعتذر، فطفق يسألهما عن بعض آيات القرآن وما قاله المفسرون والصوفية فيها ثم يفسرها لهم، فكان هذا مما ملأ فقيدنا به عجبا وشغفه حبا لأن التصوف والتفسيرهما قرة عينه أوكما قال مفتاح سعادته، وأخبرنى رحمه الله تعالى أنه قرأ على السيد كتاب الزوراء للدوانى فى التصوف ، وشرح القطب على الشمسية والمطالع وسلم العلوم من كتب المنطق، والهداية والإشارات وحكمة العين وحكمة الإشراق من الفسلفة ، وعقائد الجلال الدوانى فى التوحيد والتوضيح مع التلويح فى الأصول، والجغمينى وتذكرة الطوس فى الهيئة القديمة وكتابا آخر فى الهيئة الجديدة نسيت اسمه.

ثم إن السيد أرشده كغيره من تلامذته إلى الإنشاء وكتابة المقالات الأدبية والإجتماعية والسياسية ومرنهم على الخطابة، فبرع فقيدنا فى ذلك حتى صار أبرع من أستاذه نفسه، لأن عبارة السيد رحمه الله تعالى كانت على متانتها وبلاغتها لم تصف من كدورة العجمة إلى صفاء الإنسجام العربى الخالص كعبارة الشيخ، ثم إن مجالس السيد فى ناديه وسامره كانت كلها مجالس علم وحكمة وأدب وسياسة، وقلما كان يفوت فقيدنا شىءمنها، إذا كان يلازمة ملازمة ظله ومايستفيده، المرء بالمذاكرة فى ساعة لايستفيده بالدرس فى ساعات، لأن المدرس يكلفك كل مايلقيه إليك سواءكنت تشعر

بالحاجة إليه وتعتقد الإستفادة منه أم لا، وسواء كنت مستعدا لفهمه أم لا، وأما المذاكرة فهى مشاركة اختيارية فى البحث، والإنسان لايختارإلا مايرى نفسه محتاجة إليه ومستعدة لفهمه. فمثل الدرس يلقى إليك كمثل من يكلفك أن تأكل مقدارا معينا من الأطعمة التى قد تعاف بعضها ولاتستطيع تناولها إلا بكلفة وغثاثة، فأنت لاتتغذى إلا ببعضها والباقى إما أن يضر وإما أن لاينفع، ومثل المذاكرة كالطعام الذى تشتهيه وتتناول منه مايكفيك فيكون كله غذاء نافعا.

وقد قال بعض علماء التربية من الإفرنج أنه قلما يفلح من يقيم فى مدارس العلم زمنا طويلا، ولقد كانت مجالس أستاذنا الفقيد كمجالس أستاذه ﷺرحمهما اللهرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تفيض علما وحكمة وأدبا، ولكن الفصل بينهما فى هذا هو أن السيد كان يلقى الحكمة لكل أحد وأما الشيخ فكان يخاطب كل أحد أو كل فريق بما يرى أنه مستعدله ومتوجه إليه، وقد قال لى رحمه الله تعالى أن السيد جمال الدين كان يلقى الحكمة لمن يريدها وغير مريدها، ومن خواصه أنه يجذب مخاطبه إلى مايريد وإن لم يكن من أهله، وكنت أحسده على ذلك لأننى تؤثر فى حالة المجلس والوقت، فلا تتوجه نفسى للكلام إلا اذا رأيت له محلا قابلا واستعدادا ظاهرا، وهكذا الكتابة

دخول الاستاذ الإمام الشيخ محمد عبده الامتحان فى الأزهر

● يقول الشيخ محمد رشيد رضا:

بعد أن تلقى رحمه الله تعالى ما تلقاه على شيوخ الأزهر وعلى السيد جمال الدين كما سبق البيان عرض نفسه على لجنة الإمتحان لأجل شهادة العالمية كما هو المعهود، وقد كتب عن امتحانه ما نصه:

«عرضت نفسى على مجلس الإمتحان فى ١٣ جمادى سنة ١٢٩٤ هجرية وابتليت فى الامتحان أشد الابتلاء لتعصب الأكثر من أعضائه مع المرحوم الشيخ عليش، وكان يعادينى على الغيب، اتباعا لآراء من لارشد عندهم من بلداء الطلبة، وكانوا قد أجمعوا أمرهم على أن لا يمنحونى درجة ما فى العلم، وجرت أمور قبل الامتحان يطول شرحها، ولكن كان أمر الله أغلب

فخرجت من هذا الامتحان بالدرجة الثانية وصرت مدرسا من مدرسى الجامع الازهر وأخذت أقر العلوم الكلامية والمنطقية. الخ».

● **ويعقب الشيخ محمد رشيد رضا:**

وقد أخبرنى رحمه الله أن بعض الشيوخ تقاسموا قبل الامتحان يمينا مؤكدة لا يأخذن فلان درجة ما، ولما وقع الامتحان ورأوا من حسن الجواب عما سألوه فوق ما كانوا ينتظرون، طفقوا يناقشون ويراجعون، ويتقلون به ويستطردون، حتى صار الامتحان مناظرة، تتولاها المشاغبة والمكابرة فعند ذلك حلف الشيخ العباسى أنه لم ير أحدا امتحن فى عصره مثله وأنه لو كان فوق الدرجة الأولى درجة ممتازة لاستحقها، فأراد أحد الشيوخ وأظنه الشيخ الرافعى أن يوفق ويصلح فأخذ الورقة وكتب له بالدرجة الثانية، وطفق يعرضها على إخوانه الذين كانوا متفقين على حرمانه ليوقعوا عليها، فوقعوا ثم أعطوها للشيخ العباسى فأمضاها لهم ولم يحب أن يراجعهم بعد أن رأى منهم ما رأى، فظفروا ببعض المطلوب وهو حرمانه من الدرجة الأولى وما كانوا ضائرين.

الإمام يطلب العلم بعد التدريس

● **يضيف - الشيخ محمد رشيد رضا:**

هذا مجمل سيرة الرجل فى تلقى العلم عن الشيوخ منذ بدأ إلى أن صار مدرسا، وإنك لتجد أكثر طلاب العلوم عندنا يعدون أخذ شهادة العالمية غاية التحصيل والتعلم فلا تتوجه همتهم بعده إلا إلى إستغلال العلم وطلب المال به واحراز الجاه والمكانة عند الناس بما ينالون به من وظيفة وعمل، وإن صاحبنا لم يسلك مسلكهم بل سار على سبيل سلفنا الصالح الذين يؤثر عنهم: اطلب العلم من المهد إلى اللحد: فكان يقول «إلى آخر حياته» إننى لا أزال طالب علم أبتغى المزيد منه فى كل يوم، فكان له فى طلب العلم ثلاثة أدوار أولها الطلب على طريقة الأزهر المعروفة من المناقشة فى عبارات كتب المؤلفين وقراءة المتون مع الشروح والحواشى والتقارير.. سلكها زمنا حتى ملها وتوجهت نفسه إلى علم أعلى وفهم أجلى فقيض الله تعالى له ذلك

العلامة الحكيم السيد جمال الدين فقرأ له علوما أخرى على طرية أسهل مسلكا وأقرب غاية، فانتشله من الإخلاد إلى أرض العبارات الركيكة والأساليب الضعيفة، والاحتمالات البعيدة، ورفعه إلى سماء عرفان الحقيقة، والإفصاح عنها بالعبارة البليغة، بعد إطلاقه من قيود تقليد المؤلفين، وتعويده الحكم باليقين، فهذا هو الدور الثانى وهو خاص كسابقه بالعلوم الإسلامية، والتى كتبت باللغة العربية، مع شىء قليل من العلوم الحديثة، وتطبيق العلم على حال المسلمين الأخيرة.

وأما الدور الثالث فهو النظر فى علوم الإفرنج، قرأ رحمه الله كثيرا مما ترجم من الكتب ثم تعلم اللغة الفرنسية فصار يقرأ الكتب فيها لا يكاد يتركها يوما من الأيام، وكانت عنايته بعلوم الأخلاق والنفس وأصول الإجتماع الإنسانى والتاريخ وفلسفته وفن التربية أشد من عنايته بسائر العلوم وقلما علم بكتاب لإفرنجى يتكلم فيه عن الإسلام والمسلمين الا واستحضره وقرأه.

وقد قرأ عدة كتب فى تربية الارادة خاصة، وفى سفره الأخير إلى سويسرة تعلم هناك القلم المسند لأنه علم أن فى بعض المكاتب الأوروبية كتبا فيه وإن الإنجليز نقلوا من حضرموت بعض ما هنالك من الآثار الحميرية ولذلك دخل كبير فى تاريخ العرب والإسلام.

وهذه العلوم الإفرنجية هى التى أعطته القوة العظيمة فى المدافعة عن الإسلام وفى زيادة البصيرة بخدمته، لأنه عرف من أين يهاجمه أعداؤه وكيف ترد هجماتهم. وكان يقول من لم يعرف لغة من لغات العلم الأوروبية لا يعد عالما فى هذا العصر.

كيف تعلم الفرنسية

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا عن الإمام الشيخ محمد عبده:

كتب لى فى ترجمته لنفسه عن تعلمه اللغة الفرنسية ما نصه:

«بدأت بتعلم اللغة الفرنساوية عندما كانت سنى أربعا وأربعين سنة ولكن

ميلى إلى تعلم لغة أجنبية ابتدأ فى أثناء الحوادث العرابية، فتعلمت الهجاء ثم تركته ونسيته تقريبا، وعندما سافرت إلى فرنسا أول مرة أقمت هناك عشرة أشهر كنت أحرر فيها جريدة «العروة الوثقى» ولم أتعلم شيئا من الفرنساوية لأن اجتماعى كان بالسيد جمال الدين وبرفاق من العرب واشتغالى بتحرير تلك الجريدة ما كان يسمح لى بوقت كاف للتعلم بدراسة منتظمة فذهب على ذلك الزمن بدون فائدة فى اللغة لا كثيرة ولا قليلة».

«أما بعد عودتى من النفى إلى مصر واشتغالى بالقضاء فى المحاكم الأهلية والحكم بها، خصوصا من الجنايات على أصول القوانين الفرنساوية وجلوسى بين قضاة يغلب عليهم العلم بتلك القوانين فى لغتها، فقد قوى عندى الميل إلى تعلم اللغة الفرنساوية حتى لا أكون فى معرفة القوانين أضعف ممن أجلس معهم مجلس القضاء».

«وبعد مجيئى إلى القاهرة واشتغالى بالقضاء فى إحدى محاكمها وجدت الوقت والحال مناسبين للبدء فى العمل فبحثت عن معلم فوجدت أستاذاً لا بأس به، فدعوته فجاءنى حاملا كتاب «نحو» فى يده «كرامير» فسألته ما هذا فقال كتاب نحو فقلت له «لا وقت عندى لأن أبتدئ وإنما عندى زمن لأن انتهى، ثم ناولته قصة من تأليف ألكسندر دوماس، وقلت له أنا أقرأ وأنت تصلح لى النطق وتفسر لى الكلم وما عدا ذلك فهو على، والنحو يأتى فى أثناء العمل، وهكذا أتممت الكتاب وكتابا بعده وثالثا عقبه وكنت أطالع وحدى بصوت مرتفع كلما وجدت نفسى فى بيتى خاليا، فتعلمت مبادىء اللغة الفرنساوية وحصلت منها ما كان يمكننى من القراءة والفهم لكن ما كنت أستطيع الكلام».

«سافرت بعد ذلك إلى فرنسا وإلى سويسرا عدة مرات فى أيام العطلة الصيفية وكنت أحضر دروس العطلة فى كلية جنيف، وبهذه الطريقة تعلمت اللغة الفرنساوية فى أوقات الفراغ من اشتغالى بالقضاءفى المحاكم الإبتدائية ومحاكم الاستئناف، ثم أن الذى زادنى تعلقا بتعلم لغة أروبية هو أنى وجدت أنه لا يمكن لأحد ان يدعى أنه على شىء من العلم يتمكن به من خدمة أمته ويقتدر به على الدفاع عن مصالحها كما ينبغى، إلا اذا كان

يعرف لغة أوروبية، كيف لا وقد أصبحت مصالح المسلمين مشتبكة مع مصالح الأوروبيين فى جميع أقطار الأرض وهل يمكن مع ذلك لمن لا يعرف لغتهم أن يشتغل للاستفادة من خيرهم أو للخلاص من شر الشرار منهم».

● يعقب الشيخ السيد محمد رشيد رضا:

هذا ما يقال فى طلبه للعلم وفيه عبر كثيرة لمن يعتبر بسير العظماء، وتاريخ أفراد الحكماء، أولها نفوره من التقليد والتسليم للشيوخ بما يقولون من غير أن يفهمه وهذا هو مبدأ استقلاله بنفسه، الذى فاق به أبناء جنسه، وأوسطها عدم اكتفائه بما ألقى عليه شيوخه فى أكبر معاهد العلم فى بلاده، حتى صار يبحث عن علوم أخرى ويلتمس أساتذة آخرين، وخاتمتها عدم الغرور بنفسه والرضا بما حصله على تفوقه فيه، بل عمل بقول السلف «اطلب العلم من المهد إلى اللحد».

الفصل الثالث

الإمام الشيخ محمد عبده

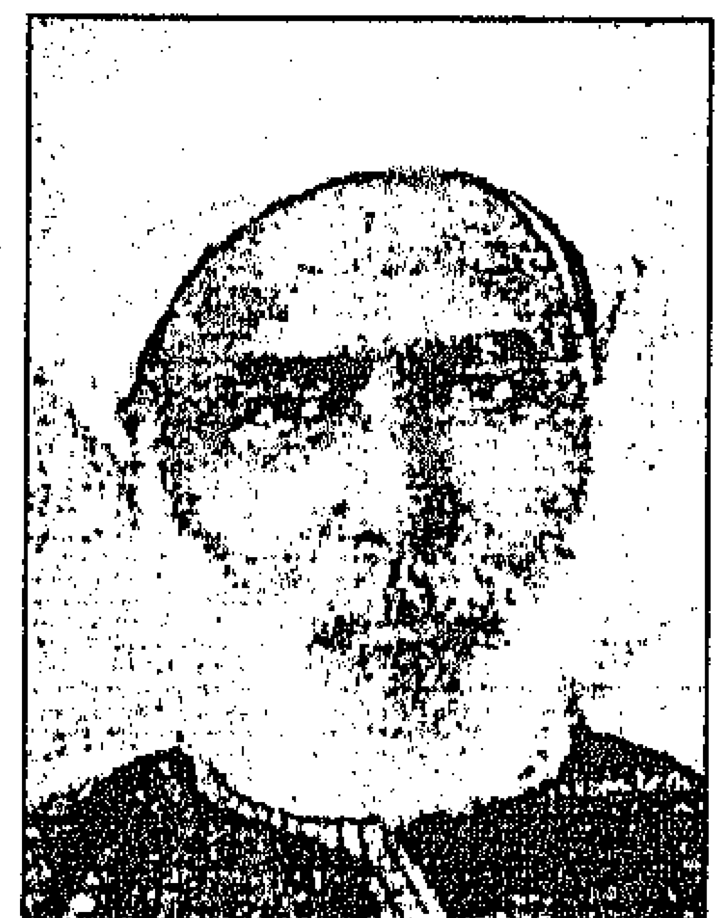
وتربيته الروحية وتصوفه

في التربية الروحية والتصوف

بقلم :
الإمام الشيخ محمد عبده

• يقول الشيخ محمد رشيد رضا عن الإمام الشيخ محمد عبده:

قد علم مما مر شيء من تربيته الأولى منها أنه نشأ فى بيت يوصف أهله بالأخلاق الفطرية الحميدة التى لا ينقصها إلا نور العلم وقد كان له، وإنه لم يعن فى صباه إلا بالفروسية وأعمال الرجولية فكان يلعب بالسلاح ويسابق الناشئين معه على ظهور الجياد ويكثر من السباحة، وهذه الألعاب مما يحسن أن يربى عليها الوالدن بالقصد كما قال الحكماء وعلماءل التربية وهى مما يربى عليه أولاد الملوك والأمراء فى أوروبا.



الإمام الشيخ محمد عبده

• ويضيف الشيخ محمد رشيد رضا فى حديثه عن الإمام الشيخ محمد عبده:

بعد أن أخذ حظه من هذه التربية الفطرية أخذه الشيخ درويش خضر بالتربية الدينية فألزمه العزلة ومجاهدة النفس، وكان من جبلته أن يأخذ كل شىء بقوة، فكان فى مدة طلبه للعلم يصوم النهار ويقوم الليل بالصلاة والتلاوة والذكر، ويمشى مطرقا لا ينظر إلا حيث يضع قدميه، ولا يكلم أحداً إلا لضرورة، وقد ظل عدة سنين لا يلقى نظره على امرأة أجنبية حتى فى الطريق.

وقد كان لكثرة الانهماك فى الذكر والفكر والنظر فى كتب التصوف والتنقل فى أحوال القوم ومقاماتهم يخرج عن حسه ويزج فى عالم الخيال أو عالم المثال، كما يقولون، فيناجى أرواح السابقين، ولو كان يجيز شرح ذلك شرحناه، ولكنه كان يقول أن ما يحصل للصوفية من الأحوال غير الطبيعية لا يجوز ذكره لغير العارف به ولا تجوز كتابته بحال، ولو كانت ملكا لحكمت بقتل الذين يكتبون ذلك لأنهم يفتنون كثيرا من الناس ولا يفيدون به أحداً، وقال ما معناه مازج أحد نفسه فى عالم الخيال ثم قدر على الخروج منه، إلا أن يجذبه جاذب آخر ويخرجه منه، وذلك قليل.

وأقول إن السيد جمال الدين هو الذى أخرجه منه، ورقى به إلى ما هو خير منه، ولم يتمكن من ذلك إلا بعد أن جاراه عليه زمنا عرفه به أنه أعرف بتلك المعاهد، وأسبق الى تلك المشاهد، بما كان يحل له من عقد كلام الصوفية التى يعجز عن حلها، حتى أقنعه بأنه من أفراد أهلها.

ولو كان الجماهير من الناس يعرفون فى أيام حادثة الشيخ عليش شيئا من أمر الرجل فى تصوفه وتنسكه لهاجوا على الشيخ عليش، وإن كانت شهرته بالصلاح عظيمة، وعلى من وشى إليه من فساق المجاورين، ولما خاضوا فى فقيدنا بالذى خاضوا، ولكنه كان يبالغ فى كتمان ذلك خوفا من الرياء وحب السمعة والأمة مستعدة للشر، وكانت الشبهة عليه حضور كتب الفلسفة والكلام على علم غريب وهو السيد رحمهم الله أجمعين.

● يتابع الشيخ محمد رشيد رضا:

قلنا إن السيد جمال الدين هو الذى نقل فقيدنا من حال إلى حال فى التربية، كما نقله فى العلم، وكان الشيخ درويش هو الذى مهد له السبيل للأمرين، وقبل أن ننتقل من الكلام فى تربيته وتعليمه إلى الكلام فى عمله وإصلاحه نذكر أن الشيخ درويشا هو الذى رباه أيضا على التعرض للإرشاد الدينى والتصدى لنصيحة الناس، فمهد السبيل التى سلكها به السيد جمال الدين - سبيل الإصلاح العلمى والاجتماعى.

ذلك أن الشيخ درويشا رأى أن مريده قد كملت نفسه بعد العزلة الطويلة وكمل سلوكه فصار بمأمن من المعاشرين الذين يقطعون الطريق على المريدين، فأمره بمخالطة الناس والتعرض لإرشادهم.

● وقد كتب لى الإمام الشيخ محمد عبده رحمه الله فى ذلك ما نصه:

«قلت أننى كنت فى أوائل مدة طلب العلم بعد مجيئى إلى الأزهر فى عزلة عن الناس إلا من أستفيد منه علما أو نصيحة لكن بعد مضى سبع سنين على ذلك - والشيخ يقودنى فى سبيل الرياضة وقهر النفس على المكاره بالصوم تارة وبلبس الخشن والتعرض لانتقاد الناس تارة أخرى، قال لى عندما رجعت إلى محلة نصر فى سنة ١٢٨٨ : إلى متى هذه العزلة وما الفائدة فى العلم وتحصيله إذا لم يكن ذلك نورا تهتدى به ويهتدى به الناس، إن من المكروه أن تستأثر بالفائدة دون أهل ملتك وإن من لم ينفع بما علم فقد أضاع أهم ثمرة تقصد من غراس المعرفة، فعليك أن تخالط الناس وتعظهم وترشدهم إلى الطريق القويمة والسنة الصالحة: فذكرت له

اشمئزازى من الناس وزهادتى فى معاشرتهم وثقلهم على نفسى إذا لقيتهم وبعدهم عن الحق ونفرتهم منه اذا عرض عليهم، فقال لى: هذا من أقوى الدواعى إلى ما حثثتك عليه، فلو كانوا جميعهم هداة مهديين لما كانوا فى حاجة إليك: ثم أخذ يستصحبنى فى مجالس العامة ويفتح الكلام فى الشئون المختلفة ويوجه إلى الخطاب لأتكلم فيتكلم الحاضرون فأجيبهم وأنطلق فى القول على وجل فى أول الأمر، ومازال بى حتى وُجد عندى شئ من الألفة مع الناس والإستئناس بمكالمتهم.

وفى شوال من تلك السنة ودعنى وبكى بكاء شديدا ومات فى السنة الثانية رحمه الله تعالى.

● ويعقب الشيخ محمد رشيد رضا فيقول:

أقول يظهر إنه أحس بأن عمله قد تم بتكميل تربية مريده وأنه ألهم بأنه قد دنا أجله إذ تم عمله، فبكى بكاء مودع، وللصوفية من هذا الإلهام والشعور، ما هو معروف مشهور.

ومن تدبر كيفية تربية الشيخ درويش للرجل وكان عارفا بطرق الصوفية، يعلم أنه يصدق على طريق الشيخ درويش ما قاله أبو السعود بن الشبل عن نفسه وعن شيخه عبدالقادر الجبلى قال: «طريق عبدالقادر فى طريق الأولياء غريب وطريقنا فى طريق عبدالقادر غريب»، وأبوالسعود هذا هو الذى كان يقول محيى الدين ابن العربى فيه وشيخه أن الشيخ عبدالقادر أعطى حال الصدق، فكان صاحب ظهور والشيخ أبا السعود أعطى مقام الصدق فكان نكرة لا تتعرف.

وهكذا كان شيخنا محمد عبده فى الصوفية نكرة لا تتعرف، أى أنه صاحب مقام لا تغلبه الأحوال، ولا يسهل عليه التأثير فى نفوس الأغيار، ولا يحتاج إلى كلفة فى إخفاء ما هو فيه وكتمان ما وهبه وأعطيه، فكان مقامه مقام الصدق، كالشيخ أبى السعود ابن الشبل، ولذلك كان يظن المحجوبون عن خصوصيته أنه كان من أبناء الدنيا، ومن رآه منهم غير مبال بالمال، ولا ميال إلى زينة الأثاث والرياش، ظن أن حب الجاه هو الذى غلب عليه، ولكن

من وقف على تاريخه، يعلم أن هذا الظن من الباطل، فانه كان يخفى ما أستطاع كل ما من شأنه توسيع دائرة جاهه من الأعمال، ولما عاد من منفاه فى سورية إلى مصر وأراد توفيق باشا أن يجعله قاضيا فى المحاكم الأهلية قال إننى خلقت لأكون معلما لا لأكون قاضيا. وإننى أعلم أننى إذا دخلت القضاة أرتقى إلى أعلى درجاته، ومع هذا أختار أن أكون معلما فى مدرسة دار العلوم على علمى بانه لا ارتقاء فى صنعه التعليم كما سيأتى.

ولما بلغ أنه صار مفتيا أنكمش وأخبرنى بذلك وهو ممتعض، حتى أننى لم أنطق بكلمة تشعر بالسرور أو التهنئة، ولكننى قلت له ومالى أراك منقبضا؟ قال لأن هذه وظيفة لا عمل فيها.

الفصل الرابع

أسباب الثورة العرابية

أسباب الثورة العرابية

بقلم :
الإمام الشيخ محمد عبده

كان الإمام الشيخ محمد عبده قد شرع فى كتابة كتاب عن الثورة العرابية بتكليف من الخديو عباس حلمى.. ولكنه توقف عنه.. بعد أن سعى الساعون بالوشاية بينه وبين الخديو..

وقد تولى الشيخ محمد رشيد رضا تلخيص وعرض ما كتبه الإمام الشيخ محمد عبده فقال:



الإمام الشيخ محمد عبده

بدأ الاستاذ الإمام محمد عبده كتابه هذا بوصف حالة البلاد المصرية وحكومتها السوءى، عندما تنازل إسماعيل باشا عن إمارة مصر ووليها توفيق باشا، فبين أولا بالإيجاز ما كان من تدخل دولتى فرنسه وإنجلتره فى شئون البلاد المالية وغيرها، ومن تأثير المحاكم المختلطة فى إضعاف سلطة الحكومة والتصرف فى ثروتها وثروة الأمة ومن سوء أحوال رجال الحكومة وأحوال الجند ومن تصرف الربويين فى استنزاف ثروة الأمة بالربا الفاحش ومساعدة الحكومة لهم، ومن الإضطراب العام فى البلاد وإشرافها على المجاعة، وبين أيضا ما كان عليه أهل مصر إلى ما قبل سنة ١٢٩٣ من توكلهم على حكومتهم فى كل شئ وتسليمها إليهم أمر شؤونهم العامة وكذا الخاصة أيضا، إذ كانو يرون كل شئ ملكا لها، وبين أن أكثر من تعلم فى أوروبة من المصريين من عهد محمد على الكبير إلى ذلك التاريخ لم يغير شيئا من هذه الحالة ولا أثر فيها مجلس الشورى الذى أبدعه إسماعيل باشا سنة ١٢٨٣، لأنه قيده فى النظام والعمل، فكان يقرر ما يوعز إليه بتقريره، فظل الناس معه على اعتقادهم أنهم عبيد للحاكم لا رأى لهم معه ولا أمر.


جمال الدين الأفغانى

ثم إنتقل من هذا إلى بيان النهضة المعنوية فى مصر، بإرشاد السيد جمال الدين الأفغانى وسعيه، فبين بالإيجاز ترجمة السيد من تربية نابته جديدة، وترقية أفكارها وأقلامها، وما كان من تأثير ذلك فى إرتقاء الجرائد العربية، وما أشرق عليها من نور الحرية، ومزج هذا بذكر بعض الحوادث الكبرى وتأثيرها فى قلوب الناس وأفهامهم، كالإرتباك الشديد فى المالية المصرية

الذى أفضى إلى تأليف اللجنة المالية المختلطة وتعيين ناظر إنكليزى للمالية وناظر فرنسى للأشغال العمومية وكأحكام المحكمة المختلطة على الخديو وحكومته - وما تلا ذلك من إنطلاق الألسنة والأقلام بالأفكار الجديدة «الجمالية» كبيان أنواع الحكومات الإستبدادية والدستورية وتأثير ذلك فى طبقات الأمة.

ولكن الشعور بحقوق الأمة فى أمر حكم نفسها ومراقبة أعمال حكامها، لم يسر فى هذه النابته من المصريين إلا وقد صحبه رؤية التصرف الأجنبى فى حكومتهم. فتعلقت آمال البصراء من الناس بإصلاح عظيم ولكن لم يهتدوا سبيلا يسلكون إليه لسوءحال الحكومة الوطنية وفساد رجالها وسوء الظن بالسلطة الأجنبية والخوف من مآلها.

ثم بين أن الخديو إسماعيل ضاق ذرعا بالوزيرين الأوروبيين وأخذ يسعى إلى الخلاص منهما فكثرت الإشاعات عن سوء مقاصدهما بإيعاز منه كما كان يقال.

وفى أثناء ذلك دعى مجلس شورى النواب إلى الإجتماع فوفد أعضاؤه إلى القاهرة وفى أنفسهم ذلك الشعور الشديد بشر الأحوال ويلوح فى أفكارهم الميل إلى الخلاص منه « فالتأم المجلس فى أوائل سنة ١٢٩٦ فى موج من التشويش شديد الإضطراب وإتفق أن الحكومة لم تقدم إليه من المسائل التى تطلب نظره فيها إلا ما لا قيمة له» فكثرت الإنتقاد على الحكومة، ولما أمرت بإقفال أبواب المجلس سلك بعض النواب مسلك الشدة فى الجواب عن ذلك الأمر، وحاولوا التوقف عن الإنصراف حتى يعلموا من أحوال الحكومة ما ينبئون به منتخبيهم، وكانت هذه أول مرة ظهر فيها لبعض النواب رأى يخالف رأى الحكومة، ولكن الخديو كان يشد عضد أعضاء المجلس فى المعارضة هذه المرة.

ثم ذكر قلق ضباط العسكرية من تأخير رواتبهم وإحساسهم بانحراف الخديو عن نظار حكومته، ومهاجمتهم لنظارة المالية وضربهم لناظرها الإنكليزى وإهانتهم لرئيس النظار نوبار باشا وقبض أحدهم عليه من شاربيه، وتصديهم لإهانة سائر النظار لولا أن جاء الخديو بنفسه وصرفهم،

وإنما كانت حركتهم بتحريك منه توسل به إلى إسقاط وزارة نوبار باشا فتم له ذلك، ولكن لم يمكن إسقاط الناظرين الأوروبيين فأدخلا فى الوزارة الجديدة التى تألفت برياسة توفيق باشا ولى العهد، وزاد تضييقهما على الخديو فى التصرف، فتوسل إلى عزلهما بوسيلة أخرى وهى طلب أعيان البلاد لذلك، إذ إجتمعوا فى دار السيد البكرى، ووضعوا اللائحة الوطنية المشهور أمرها، التى تعهدوا فيها بوفاء ديون أوربة العظيمة وأنهم ضامنون لها.

وقد بين الأستاذ ما فى هذا العمل من الخطل وقصر النظر، وأنه «أحدث فى الناس شعورا بقوة لم يكونوا يعرفونها من قبل، فقد أيقنوا أن الحاكم القوى السلطان قد صار فى حاجة إليهم ولا قوام لأمره إلا بالإعتماد عليهم، فزادهم ذلك ولوعا بما كانوا يميلون إليه من وجوب إشتراكهم فى أعمال الحكومة دفعا للمضار التى نشأت عن إستقلال الحاكم بالرأى وإنفراده بالسلطة».


الخديو اسماعيل

ثم بين سيرة إسماعيل باشا بعد ذلك فى العود إلى التصرف بأموال الحكومة وتبذيره وسوءالحالة العامة وذهاب رياض باشا ونوبار باشا إلى أوروبه بقصد الإقامة فيها وسعى الثانى إلى إقناع فرنسه وانكلتره بالسعى إلى خلع الخديو إسماعيل، ثم إرسال فرنسه موسيو تريكو مندوبا خاصا فوق العادة ليتحد مع وكيل انكلتره فى مصر فى مطالبة الخديو بالتنازل عن الخديوية لولى عهده، واستشارة الخديو لحاشيته فى الأمر وإشارة أجهلهم بالسياسية عليه أن لا يتنازل والجيش حاضر يؤيده ـ واشارة من كان يقال إنه أعلمهم بأن يتنازل، وبين بعد هذا أن جمهور العقلاء يرون أن رأى ذلك الجاهل كان عين الصواب وأن الخديو لو ظهر لمندوبى الدولتين بجلد الأسد الذى كان يلبسه للمصريين وعلموا أن دون التنازل حمل السلاح لأمكنه أن يرضيهما بوسيلة أخرى مع بقائه على العرش.

ثم بين أن السيد جمال الدين كان قد أسس حزبا فى مصر باسم «الحزب الوطنى الحر» وأنه كان بينه وبين ولى العهد توفيق باشا مكالمات فى هذا الأمر وأنه سعى مع الكثير من الأعيان إلى شريف باشا الكبير بأن يقنع الخديو بالتنازل وإن أحسن ما يجيب به مندوب الدولتين تفويض الأمر إلى السلطان - وأن السيد جمال الدين ذهب بوفد من المصريين إلى وكيل دولة فرنسا، وكاشفوه بأمر الحزب الوطنى الحر الذى يطلب الإصلاح ويرى أنه لا يتم إلا على يد ولى العهد توفيق باشا، وأن ذلك تأييدا لرأى شريف باشا فى إقناع الخديو بما ذكر آنفا فأقنعه فحول الأمر إلى السلطان فقبل السلطان تنازله ونصب توفيق باشا خديويا بدله، فهذه هى الأسباب التمهيدية الأولى للحوادث العرابية.

الأسباب المباشرة للثورة من سيرة توفيق باشا

حالة البلاد وتظاهره بالإصلاح

● ويواصل الشيخ محمد رشيد رضا عرض ما كتبه الإمام الشيخ محمد عبده فيقول:

بين رحمة الله تعالى أن البلاد دخلت فى عهد توفيق باشا فى طور جديد من الحياة فقد كان لها من إرشاد السيد جمال الدين وتعاليمه وسعى الحزب الوطنى الذى ألفه فيها، ما فتح أقفال القلوب والعقول لتدرك كنه أعمال حكومتها وما يجب أن تكون عليه، وسيرة الأجانب فيها وما يخشى أن تنتهى إليه، فقد تولى هذا الأمير ولاية أمة غير الأمة التى كان يتصرف فيها والده تصرف الراعى المالك بالمواشى، ولكن هذا الأمير لم يكن شرها ولا مسرفا بل كان عفيفا رحيما فكان لطلاب الإصلاح فيه آمال كبيرة حال دون تحقيقها نوع آخر من الضعف فيه وسوء سيرة حاشيته.

وقد كان أول عمله أن كتب إلى شريف باشا فى اليوم الثانى من ولايته أمرا بتشكيل الوزارة بعد قبول استعفائها، صرح فيه برغبته فى تحقيق آمال الأمة فيه وإخراجها من الحال السيئة التى هى فيه بالاقتصاد القانونى فى

نفقات الحكومة والاستقامة فى الوظائف العامة وإصلاح القضاء والإدارة. ثم كتب فى اليوم الخامس أمرا آخر إلى مجلس النظار فصل فيه ما يحقق الآمال بجعل الحكومة شورى ونظارها مسئولين وتوسيع نظام شورى القوانين وإصلاح المحاكم والمجالس والسعى لتعميم التربية والتعليم وتوسيع دائرة الزراعة والتجارة، ومنح الحرية للعاملين فى أعمالهم، وصدر ذلك الأمر فى ١٤ رجب سنة ١٣٩٦.

وبين الأستاذ أن كل ما ورد فى هذا إنما انعكس على فكر توفيق باشا من الحال الجديدة التى كانت عليها خاصة رعيته.

يلى ذلك بيان مشروع شريف باشا فى وضع قانون أساسى لمجلس النواب يضمن لهم حرية القول والفكر وحق النظر فيما يحق لنواب الأمة النظر والكلام فيه، على حسب ما قرأه ورآه فى بلاد أوروبا، فأعجب بذلك أرباب الأفكار المتطرفة وقالوا إن التصديق عليه يعد فاتحة عصر جديد لمصر والمصريين.

● وقال الإمام الشيخ محمد عبده:


محمد شريف باشا

«وتظاهر الأجانب بالرضاء عن الإصلاح المشروع فيه، وأنشئت جمعية فى الاسكندرية باسم «مصر الفتاة» لم يكن فيها مصرى حقيقى بل كان أكثر أعضائها من شبان الإسرائيليين المنتمين إلى الأجانب، وقد رفعت هذه الجمعية لائحة إلى الخديو فيها من مطالب الحرية ما يستحق الإعتبار، وأنشأت بعد ذلك جريدة «مصر الفتاة» فكانت تنشر فصولا حادة الانتقاد وشديدة الموعظة، على حين كان أولئك الأجانب فى ظل الاستبداد يقرضون الفلاح المئة بمئتين فى بضعة أشهر، وكانوا يتصرفون فى المصريين كتصرف حكومتهم بهم».

«سواء صح ذلك التظاهر أم لم يصح، وأما الذى لا شك فى صحته فهو أن وكيل دولة فرنسه أخذ يسعى فى إقامة الموانع دون إعطاء النواب حق النظر فى تصحيح الموازين وتقرير الأمور المالية، ودعا وكيل إنجلترا إلى مساعدته فى إقناع الخديو بضرر هذه الأوضاع الجديدة فى ذلك الوقت، بحجة أنه مما يعوق حل المشاكل الموقوفة، وساعد على إقناع الخديو بعض الوطنيين من حاشيته فتأثر الخديو بذلك ومال إلى غير ما أظهره للجمهور من قصد الاصلاح المطلوب ثم رفض لائحة شريف باشا عند عرضها عليه فاستقال شريف باشا لإصراره على هذا الإصلاح فشكل الخديو نظارة جديدة تحت رياسته».

«يتلو ذلك بيان أن وكلاء الدول أصحاب النفوذ فى مصر كانوا يظنون أن محرك هذه الأفكار الإصلاحية، وباعث الأنفس على طلب الحرية، إنما هو السيد جمال الدين فأقاموا الأدلة للخديو على خطر الرجل وأخافوه منه كما أخافوه من النظام نفسه. فأما التخلص من النظام فكان باستعفاء الوزارة وأما التخلص من السيد جمال الدين فكان بنفيه من مصر إلى الهند.

وقد فصل هنا مسألة نفى السيد، وسوء تأثيرها فى مصر، وتحول القلوب بسببها عن الخديو الذى تناقل الناس عنه قوله له «أنت موضع أملى فى مصر أيها السيد...»».

مبدأ الفوضى فى الجند المصرى

● ويتابع الشيخ محمد رشيد رضا نقله عن الإمام الشيخ محمد عبده:

ثم بين أنه فى حوالى هذه المدة وقبل استعفاء وزارة شريف باشا صرف مبلغ عظيم من الجند إلى بلادهم، وتقرر جعل الجيش العامل اثنى عشر ألفا فقط، وأن جماعة من الضباط قدموا بعد ذلك عريضة إلى الجناب الخديو يلتمسون فيها عزل ناظر الجهادية وبنوا ذلك، على أسباب منها رداءة المآكل وضررها بصحة العساكر ومنها سوء حال المستودعين وعدم النظر فى إصلاح معاشهم. فوعدوا بإصلاح الحالة، وبعد أيام استعفت الوزارة ولم

ينظر فى حال الضباط ولا العسكر بعد ذلك ولم يتوجه الفكر إلى هذه الحركة الفوضوية بالبحث فى أسبابها، واستئصال عواملها من الجيش قبل أن تأخذ قوتها ويظهر أثرها بمثل ما ظهر به من بعد.

● **قال الإمام الشيخ محمد عبده:**

«وإنما قلت إنها فوضوية لأن للضباط حق الشكوى مما يصل إليهم من الأذى أو ما يجدونه من الضرر ولكن لا حق لهم فى طلب العزل والنصف فما فعلوا كان خارجا عن حد النظام لهذا كان جديرا بالالتفات».

نفوذ الأجانب وأسبابه وغايته

« قضى باستعفاء الوزارة ونفى السيد جمال الدين غرض أرباب النفوذ من الأجانب وبعض الوطنيين فى منع الإصلاح وإرهاب النفوس الطامحة إليه على ماظنوا وبعد ذلك أخذ القناصل فى إقناع الخديو، بأن هذه الوزارة الجديدة تحت رئاسته لا قدرة لها على تذليل المصاعب الحاضرة، ومن الضرورى أن يوجد مساعدون من الوطنيين والأجانب فى الوزارة حتى تقوى بذلك على التخلص من الضيق الذى تعانيه الحكومة».

«وأشاروا إلى عودة ولسن ودبلنيار، فأظهر لهم أن ذلك غير ملائم للمصلحة، وأنه لا يرضى البتة بأن يكون فى النظارة أعضاء أوروبيون، لأنه يشوش أفكار المصريين ويؤدى إلى الخبط فى الأعمال، قال ومع ذلك فلو صممت الدولتان على إرجاعهما وزيرين فإنى مستعد للاشتراك معهما فى العمل وقبول ما يشيران به وأحسبهما صديقين، ولكنى أتبرأ من تبعه ذلك وقال: إننى لا أنكر حاجتنا إلى معونة الأجانب ولكنى أريد رجالا مثل بارنج«١» يشتغلون بإصلاح المالية ولا يخلطون الإدارة بالسياسة ويكونون فى وظائف سامية غير أنهم لا يكونون وزراء، فأشاروا إلى نوبار باشا فأظهر غاية التمنع من قبوله، بل أبى أن يسمح بعودته من أوروبا ابعادا لدسائسه كما عرف ذلك كله وشاع بين العامة وتناقلته الجرائد فى حينه، فأشير إلى رياض باشا فأبان شدة ميله إليه، وقال إنه الصديق الحميم والصادق الأمين ، وانتهى الأمر باستدعائه فحضر فى النصف الأخير من رمضان، ثم عهد

إليه برئاسة النظار فى ٥ شوال ١٢٩٦».



رياض باشا

«كان الخطاب الصادر من الجانب الخديوى إلى رياض باشا المؤذن بتعيينه رئيسا للنظار يشف عن كمال المودة وتأكد الثقة وخلوص السريرة فى الاعتماد على أمانته وفيه التصريح بأنه لم يقصد بترأسه على مجلس النظار مدة الشهر الذى مضى أن بعيد السلطة الشخصية بل كان ذلك لمقتضى الاحوال «رفض لائحة النواب ونفى الشيخ جمال الدين إذ لم يظهر حال يقتضى التفرد بالسلطة سوى هذين الأمرين».

«ومن المعلوم أن أهم المسائل لدى الحاكم والحكومة فى ذلك الوقت هى المسألة التى لأجلها أجبر خديو واسع السلطة مدرب على الملك المطلق سبع عشرة سنة، أن يتنازل عن مقامه ويهبط من عرشه ويترك ملكه ويبعد عن بلاده مشيعا بالعويل والنحيب، ولأجلها ولى خديو جديد ناشىء فى العمل لا يأنف لذة الملك ولا أبهة السلطان وله الحق الكامل فى المحافظة على ما وصل إليه بأى الوسائل الممكنة وآماله فى المستقبل، تستدعيه فى كل آن لحل ما وجده من العقد ووضع حد لتلك المصاعب التى جرت إلى مثل تلك الحادثة العظيمة والانقلاب الذى لم يكن فى حسبان، وتلك هى المسألة المالية التى كان يريد الجناب الخديو أن يأتى على حلها قبل كل المسائل ويفض مشكلها قبل جميع المشاكل، على أنه لم يكن مشكل سواها لولا ما أعقبها ما تولد منها».

«ولم تكن عقدة الإشكال فيما يمس حالة المصريين وعلاقتهم مع الحكومة فى الأمور المالية إذ لم تكن لهم حاجة إلى أمور جسام وأعمال عظام فيما يتعلق بشأنهم مع الحكومة من هذه الوجهة فقد كان يكفى أن تنظم أوقات التحصيل على وجه ما نظمت عليه أخيرا ويزاح عنهم من الضرائب ما يثقل عليهم ولا يفيد الحكومة كبير فائدة كما حصل فيما بعد، وما كان أسهل هذا الأمر فى ذاته، على أنه لو بلغ من الصعوبة أقصاها وكان فيه من المشاكل ما

يصل بين الأرض والسماء، لما أخذ من اهتمام الحكومة جزءا من المئة بل من الألف مما أخذت المسألة المالية فى ذلك الوقت، ولما كان خوف العاقبة يتعهد قلوب أولى الأمر من وقت إلى آخر ويحملهم على أعمال ربما لم يكونوا يقصدونها، على علم منهم بأنها تبعد عنهم قلوب الرعية وتصرف عنهم ميلها».

«كان معظم الاهتمام منصرفا إلى إرضاء الأجانب ووضع أساس مكين يضمن لهم وفاء ما كانوا ينالون من فوائد الدين الباهظ».

«ظهر عجز الحكومة عن تأدية بعض أقساط من دينها فى أوقاتها المحددة فى سنة ١٨٧٦ ولكون الخديو الأسبق كان يريد أن يكون ذلك العجز معروفا عند الدول ذات النفوذ، ويجب أن يتداخل أيضا فى تحديد وجوه الوفاء وطرق التسديد، ظنا منه بأنه متى ثبت عجز المالية المصرية عن أداء الدين ولم يبق من وجوه الوفاء ما يكفى له، أعلنت الدول قطع مرتب الأستانة ونادت به ملكا مستقلا على مصر لا يؤدى خراجا إلى سلطان آخر، وكان يسره أن يكون ملكا ولو على بلاد خربة ورعية ضئيلة وبين خليط من الأجانب يصرفونه فى داخلية بلاده حسب ما يريدون».

«ثم لم يكف الخديو الأسبق عن تصرفه الخفى فى المالية المصرية بما يزيد ارتباكها، وكلما تقدم الزمن ظهر الاختلال فيها، فيدعو وكلاء الدول السياسيين للتداخل فى إصلاحها ثم هم يجيبونه إلى ما يدعوهم إليه تمكينا لحق التداخل فى الشئون المصرية، إلى أن جر الأمر إلى تعيين لجنة التفتيش العليا ولم يكن فيها إلا مصرى واحد، وسائر أعضائها من الأجانب وأخذت تتناول البحث فى الشئون المالية وتصل بها ما شاءت من الأمور الادارية، وكانت أحكام المحاكم المختلطة لأرباب الديون السائرة على الحكومة من أشد الضربات عليها، ووقع الحجز على كثير من أملاك الخديو وطلبت الحكومة سبيلا للتخلص من بعض ورطاتها فعقدت سلفة روشيلد تحت شروط شديدة ورهنت بعض أملاكها وضمنت ما تعجز الأملاك المرهونة عن وفائه فكانت هذه السلفة ضغثا على إبالة ومشكلا فوق المشاكل، فقد أبى بيت روشيلد أن يؤدى بقية السلفة بعدما دفع شيئا منها وطلب شروطا أخرى وكفالة أشد

ضررا بمن يقبلها من الإستغناء عن تلك السلفة، وبذلك وقع الخديو الأسبق فى شباك من حبائل السياسة التى ألقى بنفسه فيها اختيارا لا يشوبه شىء من الإضطرار، وصدق فيه قول القائل أنه صرف مائة مليون من الجنيهات أخذها بأفحش الفائدة وأنفق معها مائتين وخمسين مليونا تناولها من الرعية بأشد أنواع العذاب، وقضى مع ذلك مدة سبع عشر سنة فى سلطة تامة وكلمة نافذة، كل ذلك لأن يعد بلاده ويهيأها لنفوذ أجنبى يسوسها، ولأن يسجل عليها استكانة وذلا يتعذر الخلاص منهما، بل كان يهىء نفسه بالمال والسلطان للسقوط تحت سيطرة مسيطر لا يرحم ورقيب يعجز عقله الذكى عن اخفاء شىء دون علمه، بل قاهر شديد يضعف سلطانه القوى عن مناوأته، وهكذا كان يبذل جهد المستطيع فى إضاعة نفسه وهو يظن أنه ساع إلى الاستبداد بالملك والوصول إلى الإستقلال به، لهذا سمح بأن يأتى وكلاء عن أرباب الديون ليبحثوا فى شئون المالية وأظهر لهم قبول ما طلبوه بعد بحثهم، وعين مراقبة من الأجانب على عموم حسابات المالية، ولم يكتف بأن يكون شأنه مع دائنيه كما هى القاعدة المعروفة فى كل ممالك العالم، بل حول المسألة من مالية إلى سياسية، وأدخل فيها القناصل والوكلاء السياسيين ليصل بهم إلى ذلك الغرض السامى الذى كان يتخيله، وهى فرصة لا يضيعها أهل البصائر النافذة من وكلاء الدول ذات المصالح السياسية والتجارية فى مصر».

«ومن المقرر عند الأوروبيين أن العادة قانون وأن العادة تتأصل بمرة فما بالك بالمرات الكثيرة، فلهذا انقلبت المسألة المالية آخر الأمر إلى سياسة محضة، وما أخذه الأوروبيون من حق التداخل فى شئونها أصبح أمراً مقرراً وقانوناً واجب الرعاية ولم يعد لأحد من حكامنا أن يفكر فى إلغائه أو تعديله خصوصاً وقد وجد الأجانب من الأدلة ما يحجون به المنازع إذا كانو يقولون «لا ثقة بوعد ولا اعتماد على عهد، فقد وعد الحاكم السابق وأخلف وعقد ونقض ولم نره يوماً أتى بعمل تكون النية فيه خالصة لنفع بلاده ولم نر له أثراً فى البلاد تساوى قيمته ما صرف فيه، والحاكم الجديد حديث العهد لا نعلم ما يكون منه ولا نريد أن نقع فى التجربة مرة أخرى، فلابد من أخذ الاحتياط الشديد من بداية الأمر، ولما كان توفير المال الذى يقوم بوفاء

الدين وضبط حسابه موقوفاً على ضبط جميع الإدارات والمصالح فلابد أن يكون لنا نوع من المراقبة عليها، حتى نكون على ثقة من أن حالتها لا تنقص الإيراد ولا تزيد فى النفقة، ولما كان الفلاح هو العامل الفرد فى سوق الأموال إلى الخزينة، ومنها إلى الدائنين، فشأنه مرتبط بشئون الدائنين ولا يثمر عمل الفلاح إلا إذا كان آمناً على نفسه وماله، فلنا حق المراقبة على كل ما يتعلق بالفلاح من هذه الجهة ـ والنتيجة التى لا شبهة فيها بعد تسليم هذه المقدمات أن لنا حق السيطرة على الحكومة المصرية بجميع فروعها، لكن تحت اسم «المراقبة المالية»، وزاد نفوذهم شدة تدخلهم فى خلع إسماعيل باشا، فههنا كان موضع الإشكال، ومن هذا كان ينبوع المخافة والاضطراب على المسند الجديد».

«قبلت الدولتان ما طلبه جناب الخديوى السابق فى عدم تعيين وزيرين أوروبيين، ولكنهما صممتا على تعيين مراقبين عموميين يقيمان فى نظارته المالية ونفوذهما يشمل جميع الإدارات المصرية، وراتبهما الذى ينالانه من الحكومة أوفر بكثير من راتب وزيرين، وصدر الأمر بتعيينهما قبل توحيد رئآسة النظار إلى رياض باشا بأيام.. ولما تعين رياض باشا رئيساً للنظار وجد موسيو بارنج «اللورد كرومر» محاسباً عمومياً بقلم الإيرادات، وموسيو دوبلنيار محاسباً عمومياً لقلم المحاسبة وإدارة الدين العمومى، ولم يبق الكلام إلا فى تحديد وظائفهما، كأن عنوان الوظيفة لم يكن كافياً فى فهم معناها، وبعد قليل قدم قنصلاً دولتى فرنسا وإنكلترا لائحة تحدد وظائف المراقبين، وبعد مداولة طويلة فى مجلس النظار ونزاع شديد بينهم قبلت اللائحة كما قدمت تقريباً، وصدر الأمر بتحديد وظائفهما على وجه أن لهما فى الأمور المالية حق المراقبة غير المحدودة على جميع المصالح العمومية، وعلى الوزراء والمأمورين من أى رتبة كانوا أن يقدمون إلى المراقبين كل ما يطلبانه من الإفادات، وعلى ناظر المالية أن يقدم إليهما كل أسبوع كشفاً مفصلاً عن دخل نظارته ونفقتها، وعلى كل إدارة أن تقدم كشفاً مفصلاً كذلك فى كل شهر، ويتقاسم المراقبان النظر فى المصالح العمومية التى يكون من شأنهما مراقبتها الإشراف عليها بمقتضى الحقوق المثبتة لهما فى ذلك الأمر الخديوى، وتقرر لهما مقام فى مجلس النظار برأى شورى، وتقرر أن لا

يعزلا إلا بموافقة حكوميتهما، ولهم أن يعزلا وأن ينصبا جميع الموظفين فى إدارة التفتيش وأن يعينا لهم الرواتب، وهما اللذان يضعان برنامج «ميزانية» التفتيش على حسب ما يريدان، وعلى الحكومة أن تصرف لهما ما يطلبان صرفه بلا معارضة».

«ومن هذا نرى أن تحديد الوظائف كان عبارة عن رفع كل حد يوهمه عنوان وظيفتهما بإطلاق حق المراقبة عن القيد».

«وقد ذكر فى ذلك الأمر ما نصه: «إن حكومتى فرنسا وإنجلترا قد رضيتا بأن المراقبين العموميين لا يتداخلان فى الوقت الحاضر فى إدارة المصالح الإدارية والمالية، فالمراقبان يقتصران الآن أن يقدما إلينا «الخديو» وإلى وزرائنا ما تهديهما إليها مراقبتهما من الملاحظات» فهذا التقييد «بالوقت الحاضر» يدل على ما كان بين الدولتين والحكومة من المخابرات.. واعتذار القنصلين باسم دولتيهما بعد صدور الأمرالخديوى عن ألفاظ «الوقت الحاضر» و«الآن» المسطورة فى الأمر الخديوى وتأويلهما على وجه لم يزد القصد إلا ظهوراً، يشير إلى أن الأمر سطر برأى القنصلين وأن الحكومة تضجرت من هذا الوعيد بعد صدور الأمر، كما تضجرت منه قبله، ولكن لم يتعطف القنصلان لإرضائها إلا بعد إمضائه، وكانت الترضية عبارة عن إبقاء الألفاظ وتأويلها بما لا يفهم منها ليجرى حكمها كما وضعت».

«لم يمر ذلك على الأنفس والعقول بلا أثر خادش وهزة أسف عامة لكل من كان يلوح فى قلبه شعاع الفكر ويدور فى خلده خيال الميل إلى إستقلال البلاد ووضع الإصلاح فيها على قواعد سليمة وإحاطته بما ينقى أعمال السلطة العليا من كل قصد إلى غير مصلحة الرعية، ويصونها عن كل غرض يسوق إلى تأييد السلطة الأجنبية، بعد ما عرفت آثارها، وتمكنت من النفوس النفرة منها.. وقد تحدث الناس بذلك بمجرد تعيين المراقبين، وأكثروا الانتقاد عليه قبل مجيئ رياض باشا وقبل أن تبين حدود المراقبة على هذا الوجه، وبعد أن نشر هذا الأمر وعرفه العام والخاص لم يدع إنساناً حتى أنطقه، ولا قلما حتى أطلقه، وجرائد ذلك التاريخ شاهدة به».

وانتقل الإمام الشيخ محمد عبده بعد ذلك إلى ذكر ما تم من الإصلاح مدة وزارة رياض باشا وماتحولت إليه أحوال المصريين، وما عرض على أفكارهم مما يحسب تقدما وتأخرا.

سيرة الخديو توفيق باشا

المفضية إلى الثورة

قال الإمام الشيخ محمد عبده:



الخديو محمد توفيق

«بعد إمضاء قانون التصفية واطمئنان الحكومة من ناحية الأوروبيين ومشاكلهم وجد الجناب العالى فراغا من الزمن يمكن أن يسمع فيه أو يلاحظ ماله مساس بسلطته التى كان ينبغى أن تكون له من جهة ما هو خديو وحاكم أعلى فى مصر».

«لين عريكة الجناب الخديو أو رعايته لجانب والده أو حسن ظنه، فيمن سبقت لهم أعمال فى خدمة العائلة الخديوية ـ شىء من ذلك حسن لديه إبقاء الكثير ممن كانوا فى خدمة حضرة الخديو الأسبق فى معيته السنية وأغلبهم كانوا ممن لا يقيمون لمصالح الرعاية وزناً، ولم تألف قلوب وجدان المرحمة والشفقة على الأهالى، ولهم مطامع لا تهدأ بعد ما ذاقوا من لذائذها الماضية ما ذاقوا.. هؤلاء يغث عليهم أن يروا السخرة الشخصية قد أبطلت، والسلطة الإدارية قد قيدت.. وتحول مجراها عن رجال المعية إلى ناحية النظارات، ولم يبق لهم التصرف المطلق فى الأعمال والمصالح ، كما كان لهم من قبل، بل أحسوا بأن من الأحكام العمومية ما يجرى عليهم كما يجرى على أفراد الأهالى، وهذه غضاضة فى نفوسهم لا يسهل عليهم الصبر عليها، فوجدوا من ذلك على رياض باشا ظناً منهم أنه هو السالب لتلك الحقوق المكتسبة».

«ميل الجناب الخديوى إلى أن يكون محبوباً من رعيته كان يبعثه على

إفاضة الإحسان بالرتب والنياشين على من يراهم أهلاً لولائه أو على الوعد بإجابة بعض المطالب المعروضة عليه من ذوى وجاهة أو من متوشحين بوشاح ضرورة، وعهد جنابه بالسلطة الخديوية أن لا تعارض فى مجراها خصوصاً إذا كانت متجهة إلى ما لا ضرر فيه بالرعية حسب اعتقاده ولا يمس مصالح الأجانب ».

«لكن رياض باشا كان يجد فى كثير من ذلك موضعاً للمعارضة وهو مع خلوص نيته فى خدمة الخديويين لا يستطيع إخفاء ما فى نفسه من غيظ أو ضجر مما لا يراه حسناً، فكان يظهر فى أقواله ما ربما يخدش نفس الجناب الخديو».

وقد كان يأتى فى بعض مقاله ما يشير إلى التهديد بالأجانب ووكلائهم، كما أخبرنى به الصادق فى روايته.. ورأى الرابضون حول الأريكة الخديوية لوائح الانفعال تظهر مرة بعد أخرى على وجه جنابه، ففتح لهم بذلك بابا يلجونه لشفاء ما فى نفوسهم، فأخذوا يستنزلون الجناب الخديوى إلى بث ما فى نفسه فيفيض بما كان يجده، وهم يفيضون فى شرح الأقوال وتوسيع دائرة المقصود منها وتحميلها ما لا تحتمله، كأنهم مشايخ محققون، يلقون دروساً على طلبة فى الأزهر مدققين، والجانب الخديو يسمع منهم ويستريح إلى ما يقولون.. وقد انتهى به الأمر رحمه الله إلى أنه كان يسمح لبعضهم بتقليد رياض باشا فى كلامه وحركاته أثناء خطابه وهيأة جلوسه وما يرى فى مشيته من دلائل الخيلاء فى زعمهم، وما شابه ذلك.. وكان رحمة الله عليه يجد فى ذلك نزهة لخاطره، ونوعاً من التسلية تسر بها نفسه، ويمضى بها وقته.. وكان غيظه يزداد على رياض باشا كلما بدت منه معارضة فى أمر صغير أو كبير بما كان يصوره أولئك المتملقون.. وكلما رأى رياض باشا علائم الانفعال اشتد ضجره وظهر فى قوله أو فعله، التهب غضب الجناب الخديوى عليه وإن لم يكن يظهره له، فوصل الأمر فى أقل من سنة بعد إمضاء قانون التصفية إلى أن الجناب الخديو لم تكن له أمنية إلا عزل رياض باشا، لكنه كان يظن أن قناصل الدول خصوصاً قنصلى فرنسا وانجلترا يعارضان فى عزله لو أراده فأخذ يلتمس الوسائل لفصله من وجه يحمل الدول على الرضاء به بدون معارضة، فاستلفت بعض من حوله نظر

جنابه إلى الحادثة القريبة العهد التى كانت سببا فى عزل نوبار باشا من رئاسة الوزارة أيام الخديو الأسبق فرآها أنجح الوسائل!!»

إثارة الخديو للضباط على رياض

«أخذ الجناب الخديوى من ذلك العهد يستدنى منه أمير الألاى الأول الذى كان يحرس السراى وهو على بيك فهمى ويستدعيه إلى مجالسة الخاصة ويمازحه ويزج به فى الحديث على اختلاف شؤونه ويظهر له أمانيه فى الإحسان عليه وعدم وجود السبيل إلى ذلك حتى قال مرة إنى أردت الإنعام عليك بألف جنيه ولم يمكن ذلك لمعارضة رياض باشا، ومرة إنى أردت الاحسان عليك برتبة اللواء فلم يقبل رياض باشا وأمثال ذلك، حتى اعتقد على بيك فهمى أن الجناب الخديوى ساخط على رئيس نظاره وأن رئيس نظاره عدو منفعته ومنفعة اخوانه، وعلى المألوف عندنا لم يخف شىء من ذلك عن بقية الضباط الكبار بل ولا على الكثير من الخاصة ومن يحبون الوقوف على حقائق ما كان يجرى حولهم».

«كل هذا والمرحوم عثمان رفقى باشا يشتد فى معاملة الضباط الذين جنى عليهم آباؤهم بولادتهم فى مصر، ويهيىء المشروعات لإراحة القوة العسكرية منهم، فماذا كان يدور من الحديث بين على فهمى وبين إخوانه الضباط الفلاحين؟ وماذا يتصورونه فى منزلة رياض باشا من الخديو؟ وماذا يتخيلونه فى ميل جنابه إلى فصله؟ وماذا حسمته أوهامهم من معاداة رياض باشا للضباط حتى اقتنعوا بأن كل ما يقع من عثمان رفقى فإنما هو من رئيس النظار؟ ولينظر ماذا يهجسون به من وسائل التخلص من رياض باشا ورفقى باشا معا، على ظن أنهم لو فعلوا شيئا من ذلك ،فإنما يفعلون ما يرضى خديويهم، ثم تأمل فى الأعاليل التى يمكن أن يتخذوها حجة على أن ما يعملونه فى هذا السبيل موافق للصواب آت على وفاق الشرع».

سيرة الأجانب من أسباب الثورة

● ويعقب هنا الشيخ محمد رشيد رضا فيقول:

عقد الأستاذ هنا فصلا فى بيان كون نفوذ الأجانب كان من أسباب الثورة،

بدأه ببيان أن الضباط وغيرهم لما استراحوا من بعض المظالم انفتحت آمالهم فى استكمال الشفاء مما بقى من عللهم والتنبه لها وزيادة التألم منها، كالمريض يشعر بالألم بقدر الأمل فى الشفاء، وبهذا التنبه ظهر لهم أن قانون التصفية وضعه الأجانب لمصلحة الأجانب وأنه حرم البلاد حريتها وأن الأجانب يتقاضون رواتب فاحشة من الخزينة فى إدارة المراقبة العمومية وصندوق الدين والدومين والدائرة السنية وسائر المصالح التى وظفوا فيها، مع ادعاء فقر الخزينة والبلاد وأنهم هم اصحاب الكلمة النافذة فى الإدارة والمالية، وإنما يعملون لمصالحهم لا لمصالح البلاد، فالحكومة الخديوية أصبحت تابعة لحكومات أخرى لا تهتم بسعادتها ولا شقائها إلا من وجه ما تبقى قادرة على تأدية ديون رعاياها وتقديم الرواتب الوافرة إلى المندوبين من قبلها، فقسوة الأجانب الربويين وسيرة المحكمين منهم مما أوقع فى خواطر الملمين بذلك «أن حقيقة الظلم واحدة وإنما طورها الجديد أرسخ أساسا وأضبط نظاما وأظهر استعدادا للخلود فلا محيص عنه فلو استطال سلطانه وامتد من دائرة إلى أخرى آل الأمر إلى وقوع البلاد فى شدة منظمة وضيق محكم الحلقات».

وذكر فى هذا الفصل أن ما كان يقوله الساخطون على رياض باشا وما ينشرونه فى الجرائد التى تطبع فى أوروبا، وما ظهر من المنشورات والرسائل الدالة على أن الحزب الوطنى يرى ما قررته لجنة التصفية وما أشار به المراقبون، لا ينطبق على رغبته وأمانيه للبلاد، كل ذلك كان يهيىء الفرص للناقمين على رياض، وذكر أيضا أن الأجانب لم يكونوا راضين عنه لأن ربحهم من البلاد قل بحسن سيرته وقد حصل نزاع بينه وبين البارون درنج قنصل فرنسا الجنرال بشأن قانون المحاكم المختلطة، إذ كان الباشا يريد تخفيف امتيازات الأجانب فيه، والبارون يأبى ذلك، فأخذ يسعى فى إيجاد الطرق لفصل رياض باشا.

أسباب تأليب الضباط الذى أفضى إلى الثورة

● **ويواصل الشيخ محمد رشيد رضا:**

تقدم أن بعض الضباط رفعوا عريضة إلى وزارة شريف باشا التى سبقت

وزارة رياض باشا يلتمسون بها عزل ناظر الجهادية تعللا برداءة الطعام وعدم النظر فى أحوال المستودعين وأرباب المعاشات، فناظر الجهادية لم يهتم بالبحث فى ذلك ولا فى أسبابه ولم يسع لتفريق من جمعتهم تلك النزعة ولم يسلك مسلك رئيس النظار فى المصالح التى تولاها بأن يحمل العسكر على الأخذ بالأعمال العسكرية وتعاليمها، ولم يلزم الضباط إحياء الآداب العسكرية وإعادة النظام السليم إليها، بل اشتغل بتقريب زيد والتحامل على عمرو وزيادة التفرقة بين المصرى والجركسى وترك كبار الضباط هملا بغير عمل.

ولما جاء وقت وضع الميزانية وعزمت الحكومة على تنقيص الجيش فى أواخر سنة ١٨٨٠ ميلادية وحصر ترقى الضباط فى المتعلمين بالمدارس الحربية، اضطربت أنفس الضباط المصريين واعتقدوا لسوء ظنهم بالوزارة، أن هذا النظام إنما أحدث لقضاء شهوة ناظر الجهادية، فاجتمعوا للتشاور فى أمرهم.

عبدالعال بك وعلى فهمى بك

وبينما هم كذلك أحال عثمان رفقى باشا، عبدالعال على الاستيداع وأقام أحمد عرابى مقامه واتفق أن انحرف الخديو عن على فهمى أمير الألاى الأول وأبدى رغبته فى نزع سلطته عن بلك الموسيقى الخديوية وفرقة المراسلة ـ وهو يعلم من سخطه على رياض باشا ما يعلم ويعتقد أن سلطته لا تنهض بالتخلص منه ـ فخاف أن يحل به ما حل بعبدالعال وأن يبدل بجركسى فانضم إلى من مسهم الظلم وكشف لهم حال الحاكم والحكومة كما سمع وعلم من الخديو نفسه.

أحمد عرابى بك

● قال الإمام الشيخ محمد عبده:

«أحمد عرابى بك كان ينظر إلى رؤسائه من الجراكسة نظر العدو إلى عدوه، وكان يحتقرهم فى نفسه لاعتقاده أنهم دونه فى المعرفة ويرى أنه أحق منهم بالرتب العالية التى كانوا يتمتعون برواتبها ونفاذ الكلمة فيها،

وربما لم يكن مخطئا فى الكثير منهم، وكان أجرأ إخوانه على القول وأقدرهم على إقامة الحجة، فلما شرعت نظارة الجهادية فى عملها الجديد وبدأت باستيداع عبدالعال، غلب على ظنه أن ما يصل إلى عبدالعال اليوم يصل إليه غدا فيحرم مما يرى نفسه أحق بالتمتع به، ووجد هو واخوانه فيما كشفه على فهمى من النفرة بين الخديو ورياض باشا سبيلا للجرأة على مقاومة تلك المشروعات ففزع إلى رئيس النظار وشكا إليه ما مس عبدالعال فقبلت شكواه بعد تردد استمر مدة أيام وأبقى كل فى وظيفته».

أحمد بك عبدالغفار

«كان قائم مقام سوارى وكان بينه وبين ناظر الجهادية منافرة لأمور أهمها تقاربهما فى درجة الفهم وتزاحمهما على هنة واحدة، فكان كل يطلب الخلاص من الآخر ولا يجده، وعرف الخديو ما بينهما وشكا إليه عثمان رفقى تصرف أحمد عبدالغفار معه، فكان من ثمرات ذلك أن الخديو كان يستدعى أحمد عبدالغفار فى طريق منتزة الجزيرة ويستوقفه ويحادثه الزمن الطويل مظهرا ميله إليه ويسمع شكواه من عثمان رفقى ويعده باشكائه ورفع ظلامته، وهذا مما كان يشجعه على مناوأة رئيسة ويزيد فى حقد رئيسه عليه «وذكر الاستاذ حادثة ضاعفت العداوة».

« وبعد أيام كان عرابى وبعض شركائه فى الخوف من نظارة الجهادية فى وليمة ببيت نجم الدين باشا دعاهم إليها اثر قدومه من الحج، وبينما هم على المائدة قال إسماعيل كامل باشا: إن ناظر الجهادية أتى اليوم عملا لا يحمد عليه: عزل أحمد عبدالغفار من قائمقامية السوارى وعين بدله محمد شاكر بك،فلم يتم أحمد عرابى عشاءه بل انصرف هو ومن كان معه من الضباط إلى بيته وكان فيهم على فهمى وعبدالعال ودعوا أحمد عبدالغفار وكتبوا تقريرا ضمنوه الشكوى من عزل أحمد عبدالغفار بلا محاكمة على خلاف القانون، وذكروا أشخاصا آخرين عزلوا واستبدل بهم شيوخ فانون أو جهلة دونهم فى المعارف العسكرية، وعددوا من سيق من الضباط الوطنيين إلى السودان ونحو ذلك وطلبوا إحالة القضية على مجلس عسكرى ينظر فى جميع أطرافها فإن كان لهم حق منحوه وإن استحقوا عقوبة قبلوها، وطلبوا

عزل ناظر الجهادية لاختلال أعماله وميله عن النظام طاعة لميل خاص».

« رفعوا نسخة من هذا التقرير إلى الخديو وأخرى إلى رياض باشا بامضاء أحمد عرابى وعلى فهمى وعبدالعال حلمى بالنيابة عن جميع الضباط المصريين فبقى التقرير ١٧يوما تحت المداولة بين الخديو ورئيس نظاره، وكان من رأى رياض باشا أن يجاب طلبهم فى تشكيل المجلس العسكرى ولكن الخديو لم يقبل ذلك ».

مظاهرة الملأ المصرى للضباط

«شاع هذا الخبر بين الناس على حسب العوائد فى مصر، علم الكثير من الأعيان والعلماء والموظفين بإصرار الضباط على طلب ماس بالوزارة وأحسوا بخلاف بين الخديو ورئيس نظاره، فهب عند ذلك جميع الراغبين فى تغيير الحال من علماء وأعيان وذوات كرام ومقربين من الجناب العالى واتحدت وجهتهم فى الغاية، وإن اختلفت الدواعى والبواعث، فطلاب مجلس النواب يؤملون فى التغيير أن ينالوا تشكيله، والمتضجرون من استبداد بعض المأمورين والخائفون من أن يؤاخذوا بالشبه يرجون بالتبديل كشفا لكربتهم أمنا على أنفسهم، والواجدون على السلطة الأجنبية يرجون شفاء شىء من وجدهم، والذوات الكرام الطامعون فى رجوع سلطتهم على أبدان الرعية وأموالها يطمعون فى إرضاء شرههم والأجانب الربويون يتطلعون إلى انقلاب تزيد به الشدة المالية حتى تتسع لهم طرق الكسب الماضية، وقنصل فرنسا البارون درنج يسعى فى الإنتقام من رياض باشا ويحب أن يأتى خلف له يمكنه مجاراته فى مطالبه، والجناب الخديو لا يكره أن يتخلى رياض باشا عن رياسة النظار بل تلك أمنية من أمانيه».

«فأخذت هذه العوامل جميعها تشتغل لتقوية جانب الضباط وتشجيعهم على الإلحاح فى الطلب، وكل من وصل إليهم من أولئك بنفسه أو أمكنه أن يبعث إليهم من يعبر عن أفكاره يؤيد لهم عدالة الطلب وموافاته للرغائب الوطنية وان ما يأتيه ناظر الحربية لا يمكن الصبر عليه ثم كانت تأتيهم الأخبار بأن الجناب الخديوى لا يأبى إجابة طلبهم بل يحب أن يمكن لهم أمنيتهم، وإنما رياض باشا هو الذى لا يريد ذلك والله أعلم من أين كانت

تأتيهم هذه الأخبار مع أن رياض باشا كان يريد تحقيق الأمر حسب ما طلبوا فى تقريرهم كما قدمنا».

«زاد هذا كله فى جراءة الضباط، وكلما طالت مدة التردد فى حسم المسألة كثرت الإشاعات وقويت عزائم المحركين وغلب الظن بضعف الحكومة، وقد حصلت عدة مقابلات بين رئيس النظار وبينهم قال دولته فى إحداها لعرابى ومن كان معه، إن ما أودعتموه فى تقريركم من طلب عزل الناظر يعد خروجا عما حدده لكم القانون، وتلك مهلكة سياسية، فقد يخشى أن يعد الأجانب ذلك سبيلا لزيادة تداخلهم فى الحكومة واشتداد وطأتهم عليها».

«وأحس بذلك البارون درنج فأرسل إلى أحمد عرابى وإخوانه يقول لهم إنه يسره ما يراه من صلابتهم فى عزيمتهم واشتدادهم فى المطالبة بالعدل فيهم، فعليهم أن يثبتوا فى مطالبهم ولا يضعفهم ما يهددون به فهو بصوت حكومة فرنسا يسند المطالبة العادلة وليس فى الإمكان أن حكومة متمدنة تقيم الموانع فى سبيل الناهضين بطلب حقوقهم، الساعين فى الإنتصاف لأنفسهم ولأبناء بلادهم».

بدء الثورة بحادثة قصر النيل الشهيرة

● ويعقب الشيخ محمد رشيد رضا بقولة:

جعل الأستاذ لهذه الحادثة تمهيدا بين فيه أن الضباط كانوا يتوهمون أن رياض باشا مؤيد فى منصبه بقناصل الدول ذات النفوذ بمصر . وأن الخديو نفسه كان يظن ذلك . ونتيجة ذلك أن مقاومة وزارته مقاومة للدول فلا يتعرض لها إلا بوسائل الرفق واللين، فلما قال قنصل فرنسا الجنرال لعرابى ما قال «انكشف ذلك الوهم وتحول السير من سؤال الخاضع إلى إلحاح المضارع» فأخذ أحمد عرابى وعبدالعال وعلى فهمى يدعو سائر الضباط للاتفاق معهم على مقاومة كل ما تسنه نظارة الجهادية من نظام ضاربهم، وطلب عزل ناظرها مثار تلك المخاوف.

علا نداء الضباط بذلك وكثر الاضطراب فانعقد مجلس النظار برئاسة

الخديو للإسراع بحل هذا المشكل وحضره بعض رجال المعية «فكان من رأى رياض باشا أن يحال تحقيق ما فى التقرير على مجلس عسكرى وكان من رأى ناظر الجهادية القبض على الضباط الثلاثة عوامل هذه الحركة، والحكم عليها بالعقوبة التى استحقوها بجرأتهم هذه. ووافقه بعض النظار وجميع من حضر من رجال المعية وكان الجناب الخديوى من هذا الرأى، واستمر الجدال ذلك اليوم إلى أن جاء وقت الظهر ولم يتقرر شىء فقاموا إلى المائدة، وبعد الفراغ من الطعام وقبل الرجوع إلى المداولة جاء أحد رجال المعية «طلعت» باشا إلى رياض باشا وأسر إليه أن بعض الناس يتهم دولته بمجاراة الضباط والأخذ بناصرهم طمعا فى أن يملك قلوبهم ثم يستخدمهم فى الاستيلاء على الخديوية المصرية، فلما عادوا إلى الجلسة لبث رياض باشا ساكتاً وصارت الأغلبية على رأسى الجناب العالى وإنما سأل رياض باشا ناظر الجهادية: هل تتحمل تبعة هذا الأمر؟ فقال نعم. وصدر الأمر بالقبض عليهم وسجنهم فى ٣١ يناير سنة ١٨٨١، هذا ما حدثنى به أحد النظار فى ذلك الوقت ولا أظنه إلا صادقاً»

«لم ينفذ الأمر الخديوى بقوة الحكومة وسطوتها كما جرت العادة ولكن سلك فى تنفيذه طريق الحيلة والغدر».

عثمن رفقي .. والحيلة والغدر

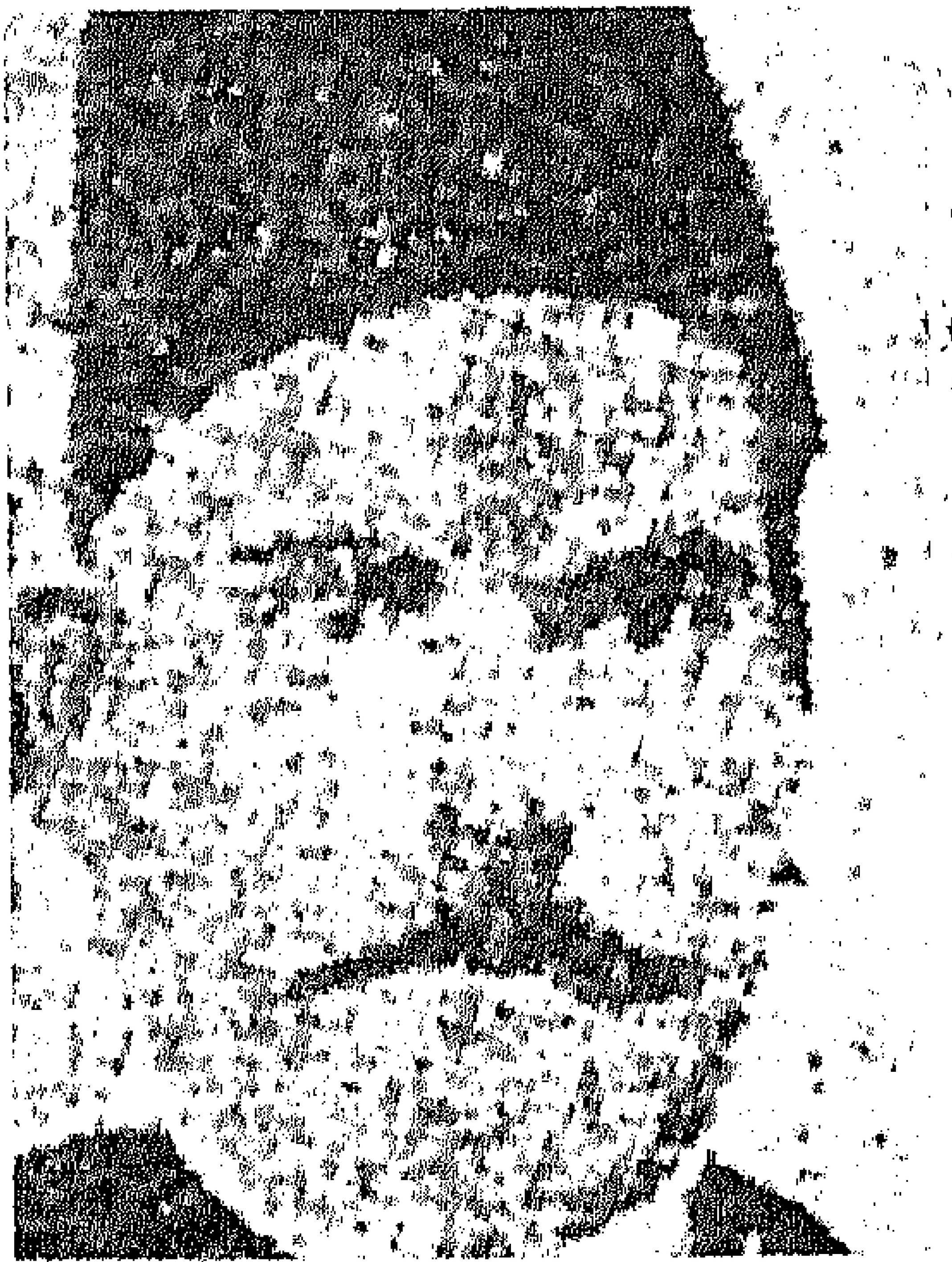
● ويلخص الشيخ محمد رشيد رضا هذا الترتيب فيقول:

بين الأستاذ ذلك بما حاصله أن ناظر الجهادية كتب إلى الضباط الثلاثة يدعوهم إلى ديوان الجهادية للمذاكرة فى ترتيب حفلة زفاف الأميرة جميلة شقيقة الجانب الخديوى أول يوم من شهر ربيع الأول سنة ١٢٩٨- وهو اليوم التالى ليوم صدور الأمر العالى بحبسهم- فلما وصلت إليهم الدعوة دهشوا لأن موضوعها لا يحتاج إلى مداولة ثلاثة من أمراء الآلايات، ولا مثله بمعتاد، ففطنوا للحيلة فى تلك الدعوة فى ذلك التاريخ فدعوا من يثقون به من الضباط وأطلعوهم على ورقة الدعوة فقنع الجميع بأن خطراً سيحل بالثلاثة ثم بكل من يشايعهم،- أو بكل ضابط مصرى على ما كان يخيل إليهم-

«فحملهم الحرص على وظائفهم وأقدم بهم العلم بضعف الحكومة عن الإنتقام منهم لمكان الاختلاف الواقع فى أمهات عناصرها، وما هاجهم من وساوس ذوى الكلمة فى مصر وما كانوا يتخيلونه من رضاء للكافة عما يفعلون- على أن يقاوموا الشر المنتظر بالقوة اذا اقتضت الحالة ذلك، غير مبالين بعاقبة، وكان فى الضباط الحاضرين كل من محمد عبيد بكباشى فى الألاى الأول- ألاى الحرس- وخضر خضر بكباشى فى ألاى السودان فأخذوا على عهدتهم إنقاذ الضباط الثلاثة إذا سقطوا».

● ويقول الشيخ محمد رشيد رضا:

بعد هذا التمهيد ذكر الأستاذ حادثة قصر النيل المشهورة وملخصها أن الضباط الثلاثة جاءوا قصر النيل يتبعهم على بعد بعض العيون من جند الألاى الأول، فإذا الديوان غاص بالضباط وأمراء العسكرية فلما وصلوا إلى حيث الناظر تلى عليهم الأمر الصادر بسجنهم وجردوا من سيوفهم وألقوا فى السجن «وتقاذفت عليهم الشتائم وكان أكثرها وأبلغها فى التحقير كلمة «فلاح» فعاد المقتفون لأثرهم وبلغوا ضباط الألاى الأول مارأوا فنهض محمد عبيد بالعسكر الذى تحت قيادته لإنقاذهم فاعترضه القائم مقام خورشيد بك بسمى، فلم يسمع له قولاً.


محمد عبيد

وشاهد الخديو حركتهم فأمر بروجى الحرس بأن يدعو ضباط الحرس إلى السراى فدعاهم فلم يستجب له أحد، وانطلق بهم محمد عبيد إلى قصر النيل فهجموا على الديوان فيه فأطار الرعب قلوب الأمراء فيه ومنهم الناظر والوكيل ووثب كل منهم من نافذة يطلب الخلاص لنفسه فمنهم من كسر ومن جرح، وفتح الجند مستودع الضباط الثلاثة عنوة فخرجوا ظافرين، وأرسلوا إلى ضباط ألاى السودان وكان فى طره فحضر حالاً وإلى ضباط ألاى العباسية وهو ألاى عرابى وكانوا قد قبلوا أميرهم الجديد الذى

خلفه بعد حبسه والتمسوا العفو عنهم، ثم بلغهم ما حصل فوقعوا فى حيص بيص، وقد خطب عرابى فى العسكر والضباط المجتمعين وأثنى على إخلاصهم فى حب أمرائهم ثم أمرهم بوضع السلاح وأخذ يكتب إلى القناصل ويستعد لمخابرة سراى عابدين.

● قال الإمام الشيخ محمد عبده:

« كان رياض باشا قد بلغه الخبر وهو فى نظارة الداخلية فجاءإلى سراى عابدين- وعرابى يرسل شكواه إلى البارون درنج قنصل فرنسا الجنرال ويلتمس منه أن يبلغ جميع القناصل أن الضباط لم يأتوا عملاً إلا مايقى أرواحهم ويضمن له إقامة العدل فيهم، وأرسل إليه ورقة الدعوة إلى ترتيب الزفاف، وبسط له الحيلة التى دبرها ناظر الجهادية، للإيقاع بهم، وشرح ما حصل لهم من سلب السيوف والحبس على أنهم لم يأتوا جريمة سوى أنهم طلبوا عزل ناظر الجهادية وهو طلب عادل لسوء تصرفه، فورد له الجواب من «البارون درنج» بالثناء على عزيمته وثباته فى مطالبه العادلة، وبشره بأنه لا خوف عليه مادام الحق فى جانبه. فسر عرابى بذلك، أما باقى القناصل فلم يجيبوه بشئ » .

● وذكر الإمام الشيخ محمد عبده:

«أن الخديو أرسل إلى عرابى يسأله عن سبب هذه الفتنة فأجابه بأنه لا يريد إلا عزل ناظر الجهادية، فقبل منه وعرض عليه عدة أشخاص على أن يكون أحدهم خلفاً للناظر، فلم يقبل أحداً الى أن عرض عليه محمود سامى باشا ناظر الأوقاف فقبله فعين فى الحال ناظراً للجهادية، فأرسل عرابى يشكر الخديو على ذلك وطلب العفو عن العساكر والضباط فيما فعلوا، فعفا عنهم، وصدر إليه الأمر بأن يصرف العساكر فى الحال فلم يمتثل، بل أجاب بأنها تتصرف فى صباح الغد وانتهت بذلك الحادثة التى تعرف بحادثة قصر النيل.

نتيجة ما تقدم
وتباين أفكار عرابى ومشايعيه
ورياض باشا والخديو فيه

«كان يمكن لعرابى أن يطلب فصل رياض باشا بل وأكبر من ذلك، لاستكمال الضعف فى ذلك الوقت وانحصار القوة فيما بيده، ولكن الأمر كان غير مدبر، فان طلاب التغيير لم تكن لهم ثقة بعرابى ومن معه حتى كانوا يفضون إليه بما يريدون بل كانوا يظنون أن مجرد المقاومة والنزوع إلى نيل مطلب ما بالعنف والوصول إليه بالقوة يكفى فى أن يقدم رياض باشا استعفاءه، ولا حاجة إلى التصريح به لعرابى ومن معه خوف الإخفاق فيزداد عناؤهم إذا انكشف أمرهم فكانت الوساوس منحصرة فى تزيين ما هم به الضباط من طلب حقوقهم».

«أما عرابى فلم يكن يخطر بباله ولايهتف به فى منامه أن يطلب إصلاح حكومة أو تغيير رئيسها، فذلك مما كان يكبر على وهمه أن يتعالى إليه، وإنما الذى أحاط بفكره وملك جميع مقاصده هو الخوف على مركزه من شدة البغضاء لمن كان معه من أمراء الجراكسة، والمنافرة من عثمان باشا، فلم يكن له هم سوى الأمن على مقامه، والانتقام من ذلك العدو والتغلب على ما كان بيد الجراكسة من الوظائف العسكرية، قصد التمتع بما كانوا يتمتعون به من رواتب أو نفوذ، لأنه هو وإخوانه أبناء البلاد أحق من غيرهم بمزاياها الخاصة بأمثالهم».

«وجميع المحركين له إنما يأتونه من هذا الباب، ولم يستلفتوه إلى أمر آخر، فظن أن مقال الأعيان والذوات الفخام وما يأتيه من الجانب الأعلى وما يسمعه من العامة ممن بلغهم خبر طلبه، من استحسانهم له وتصويبهم للثبات عليه، إنما هو لعدالة الطلب واعتدال الرغبة، فخيل له أنه بعمله هذا يرضى الجانب الخديو والكافة وقنصل فرنسا أيضاً بتطهير الحربية من ظلم ناظر الجهادية والجراكسة، فانحصر طلبه فى عزل عثمان باشا، وما بقى من سلطة الجراكسة تسهل إزالته بعد ذلك، فانقضى أرب عرابى ولم يستعف رياض باشا».

«أجـال رياض باشـا فكره فى أسـبـاب هذه الجـرأة التى أقـدمت بهـؤلاء الضبـاط على تمزيق حـجاب الهيبـة المضـروب بينهـم وبين الحكومـة، مع أنهم ليـسـو إلا مـصـريين قـد عـرفـوا بالاسـتكانة للسلطة وتنزيـه الحـاكم عن أن تتطاول إليـه الأوهام بالمقاومـة، فضـلاً عن الألسن والأيدى، فـانحـصـرت كل الأسـبـاب عنده فى البـارون درنج قنصل فـرنسـا الجنرال وأن صـفـتـه هذه وجهـره بتـعـضـيدهـم، هو الذى نفخ فـيهم هذا الروح، ولـولاه لم ينبض فـيـهم عـرق، ولم ينطق لهم لسـان، لهذا سـعى لدى الجـانب الخـديـوى فى أن يطلب من رئيس الجـمهـورية استدعاءه من مـصـر فـورد الجواب بقـبول الطلب وعـين خلفاً له موسيو ستكوفيش».

«لم يدر فى خلد رياض باشا أن البـارون درنج كان العلة المتممة وأن هناك أسـبـابا أخـرى سـبـقت سعيه وهو ظهـور الانحـراف عنه من كل جـانب، وأن الفتنة لا تسكن مـادام فى الوزارة غيـر مـرضى للجناب الخـديو، مـضـايقاً لمن يحفون به، آبياً البـحث فى تشكيل مجلس النواب، واثقاً ببعض ضـعفاء العقول من الحكام، مناصبـاً للذوات الفخـام بلا مـجاملة، غيـر نـاظـر إلا إلى مـا يراه حسناً، ومـا يعده خيراً للبلاد بدون التفات إلى ما يخفف مراده الحق إن كان مـحـضـاً، ويجلو جـمـال النيـة إن كـانت صـالحـة، ولهـذا قـد اكـتـفى بعـد إبعـاد البـارون درنج بالتـفـويض لناظر الجهـادية الجديد فى إزالة أسـبـاب الشـقـاق المخيم فى المراكز العسكرية والأخذ بزمام هؤلاء الضبـاط وردهـم إلى النظام وتسكين نفوسهم إلى الطاعة، وأما ما بقى من الأسبـاب الحقيقية للفتنة وهو ما فـى نفوس أهـالى البـلاد من الميل إلى تغيير شئ من السيـرة الحـاضرة، وما تمكن فى قلب الجـانب الخـديوى من النفرة منه، فلم يلتفت إليـه لسقوط ذلك كله عن منزلة الإهتمام من نفس رياض باشا».

«لم يكن يخطـر ببـال الجـنـاب الخـديوى فى ذلك الـوقت أن الأمـر يصل إلى هذا الحـد، وإنما كان يظهر لـبعض الضـبـاط انحرافه عن رياض باشـا ويلمح إلى أن رئيس النظار هو عدوهم وهـو الساعى فـى تقليل القوة العسكرية وفى إيجـاد النظامات التـى تحـرم كثيـراً من أبناء البـلاد ثمر أعمـالهم فى الجندية ونحـو ذلك، ثم يمـيل فى مـجلس النظار إلى أخـذ الضـبـاط الثـلاثة غـيلة وتجريدهم من سيوفهم قبل مـحاكمتهم، كل ذلك حتى يحدث شئ من الإلزام

يعز على رياض باشا قبوله فيستعفى».

«كان الجناب العالى ينتظر أن يستعفى رياض باشا، بمجرد الإصرار على صدور الأمر بحبس الضباط الثلاثة على خلاف رأيه فلم يستعف، كان يظن بعد ذلك أن غاية ما يؤدى إليه حبس الضباط الثلاثة أن يجتمع جماعة من الضباط ويتجمهورا حول رئاسة النظار يطالبون بالإفراج عن إخوانهم ويصروا على ذلك فيستعفى رياض باشا كما استعفى نوبار باشا فى حادثة الخديو الأسبق، ثم تنتهى بذلك الحادثة ويعود النظام الى مقره».

«وغاب عن الأفكار أن آثار الحركة على وزارة نوبار باشا كانت لم تزل تشاهد فى الجندية، تخفى وتظهر على حسب اقتضاء الأحوال كمايعرف من العريضة التى قدمت فى وزارة شريف باشا السابقة على وزارةرياض، ثم لو كان الجناب العالى أظهر رغبته فى عزل رياض باشا لهؤلاء الضباط ودبر الأمر معهم وقال لهم إن هذا الرئيس يرتكن على الأجانب وهم يسندونه فلابد من إيجاد سبب يقنع الأجانب ظاهره، لكان ما أتاه الضباط صادراً عن أمره، ولبقيت هيبة السند الرفيع فى نفوسهم مع اطمئنانهم على أرواحهم ومراكزهم من ناحية جنابه، ولما وجدت نفوسهم فى الظفر بمطالبهم شيئاً جديداً سوى الامتثال لأوامر الحاكم وإن كانت سرية، ولما استشعروا بتلك القوة التى اندفعت بهم إلى خرق ذلك السياج المنيع الذى يحول دائماً بين النظام والفوضى، نقول إن ذلك كان أقل خطراً فقط، أما سوء عاقبة مثل هذه الأفاعيل فمما لا محيد عنه غالباً».

«ثانى يوم الحركة استشعر الجناب العالى أن فى الحادثة ما قد يمس سلطته، وأن الضباط قد جنوا على مقامه، فأصبح فى همين عظيمين، بعد أن كان فى هم واحد – هم رياض باشا وهم الضباط- فبادر إلى أخذ الإحتياط لأهمهما خطراً وأشدهما وهو الثانى، فاستدعى على فهمى أمير الألاى الأول وذكره بما كان له من الزلفى عنده، وأظهر له غاية الرضى عنه، وأمره باستدعاء جميع ضباط الألاى إلى سراى عابدين ليقسموا للجانب الخديوى يمين الطاعة والفداء، ويقسم لهم جنابه يمين التأمين من كل عقوبة على ما مضى».

«أراد بذلك الجناب الخديو أن يتخذ هذه الفرقة من الجيش قوة يخيف بها ما بقى منه، فإذا أراد أن يريح نفسه من عبد العال مثلاً، لم يستطع ألالايه أن يفعل مثل ما فعل الألاى الأول مع الضباط الثلاثة، لوجود من يقاومه، وهكذا لو أراد أن يبعد عرابى. ثم إذا استراح من كليهما رجع على على فهمى وضباطه، وبذلك ينتهى القلق، لكن عرابى أحس بالأمر، فالتمس من الحضرة الخديوية أن يدخل فيما دخل فيه على فهمى من يمين الأمان، فدخل برضاء الجانب الخديو- أو على غير رضاه- فى رابع يوم الحادثة وتقاسما الأيمان».

«إلى ما قبل الحادثة بيوم كان عرابى يخاف على مركزه فى العسكرية ويخشى شماتة أعدائه من الجراكسة مضطهديه فكان كل همه كما قدمنا، أن يأمن على وظيفته ويتقى من عدوه، ومع هذا فقد رفعه طلاب تغيير الحال إلى إعداد الضباط لفعل ما فعلوا يوم قصر النيل، أما وقد هتك حرمة القانون وقلب قوة الحكومة، وحولها عن وجهتها، وجعل الآلة فاعلاً، والفاعل آلة، وذلك مما يعد جرماً فى نظر كل واحد حتى أن سريرته مهما عميت لا يمكن أن تغفل عنه، ثم رأى من الجناب الخديو تخصيصاً لعلى فهمى بتقاسم اليمين معه- فقد ولت عنه السكرة، وآبت إليه الفكرة، ومثل له جرمه، وشعر بأن حاكمه لا يسمح له بقوة تعلو قوته، والنظام يقضى بإهلاك هادمه، وخيل له أن المخاطر تهدد روحه بعد وظيفته، ولا ريب أن الروح عليه أعز، وأن الشماته بعدها أدهى وأمر، وأن دخوله فى يمين الخديو لا يكفى فى وقايته، لأنه لم يكن يجهل قيمة الإيمان،ولو كان اليمين «؟» عنده يلزم بالحالف بما حلف عليه لما جاء هو بما نقض الإيمان العسكريةالتى حلفها عند استلام علم الأمرة على فرقته، فأخذ يحتاط لنفسه ولمن شاركوه فى الجرم، ويلتمس العضدمن كل طرف، ويفر من الموت فى كل سبيل».

«ركب به الجبن طريقاً عمياء، يخبط فيها خبط العشواء، يسوقه الرعب، ويقوده الوهم، وضعف الحكومة يمده، والرغائب الخرقاء تساعده إلى أن أودت به وبالبلاد خطيئته».

«أول ما أخذ به من الإحتياط أن أقام الحرس على بيته وبيوت مشاركيه

ليلا ليحموهم من القيله المبتذلة على أرض مصر، علمته حادثة قصر النيل كيف يلاقى ما قد يوجه إليه من سلطان الحكومة فلجأ إلى ضم القوة العسكرية إليه وإخلاء الوظائف الجندية من كل من حدثته نفسه بالريب فيه، وسلك فى ذلك مسالك علمت صغار الضباط بل العساكر أنفسهم كيف يخرجون عن النظام الضابط لهم، وكيف يتداخلون فيما ليس من شأنهم أن يتداخلوا فيه كما، ستراه فيما بعد»

● **ويبين الإمام الشيخ محمد عبده** ما طلبه عرابى باشا لاستمالة الضباط والعسكر إليه ومنه زيادة رواتبهم زيادة كبيرة وصدور أمر عال بتشكيل لجنة مؤلفة من عشرين أميراً من كبار الضباط هو أحدهم للبحث فى أنظمة العسكرية والمدارس الحربية وترقية الضباط وتسوية أحوال المستودعين، ولكنه لم يسلك فى ذلك طريق النظام بجعل ناظر الحربية هو الذى يعرض ذلك على الحكومة بل كانت العرائض تكتب فى بيته أو بيت أحد شركائه «ثم ترسل إلى الألايات ليختم عليها الضباط صغاراً وكباراً وبعض الصف ضباط ثم تقدم من قبل ضابط ألاى إلى نظارة الجهادية أو إلى رياسة مجلس النظار - فلينظر بم كان يشتغل الضباط والعساكر وفيم يصرفون أوقاتهم؟ وكيف بذلك تموت رغبتهم فى الأعمال العسكرية ويتولد فيهم حب التطاول إلى ما هو خارج عن الحق المخول لهم بمقتضى القانون وعوائد النظام».

وأوضح الإمام الشيخ محمد عبده أن محمود سامى باشا أراد أن يتخذ سرور الضباط باعلاء مرتباتهم وسائر مامنحوه وسيلة لإزالة ما وقر فى أنفسهم من معادة الحكومة لهم، وما يحوك فى صدور الحكومة من الريب فى مسلكهم، فاحتفل لتلك المنحة احتفالا باهراً فى نظارة الحربية بقصر النيل دعا إليه النظار والمراقبين وأمراء العسكرية وخطب على المائدة خطبة فيما نالته البلاد من الإصلاح ونسب ذلك إلى همة الخديو وإخلاصه، وصدق عزيمة رياض باشا وجده، وسائر النظار ورجال الحكومة، وبين أن هذه النعمة لا تحفظ إلا بالشكر وهو الطاعة والخضوع للأوامر.

ثم خطب رياض باشا فبين الفرق بين الحالة الحاضرة وما قبلها وخاطب

الضباط فذكر لهم ما نالوه وذكرهم بوظيفتهم من حيث هم قوة الحاكم وآلته فى تنفيذ أوامره، وقام بعدهما عرابى فصدق ما قالا وقال بلسان الجند والضباط أنهم مقيمون على طاعة الحاكم الذى هو مصدر هذا التقدم وانهم آلته المنفذة فى قبضة يده يديرها كيف شاء.

● وقال الإمام الشيخ محمد عبده:

«كل مطلع على ما قيل فى ذلك الاحتفال يجد منه أن الحكومة كانت تريد أن تقنع الضباط بوجوب الطاعة، وأن عرابى كان يعدها بذلك بنفسه وبالنيابة عنهم، وهو دليل على أن القلق كان لم يزل مستمراً إلى ذلك الوقت، أى ما بعد حادثة قصر النيل بنحو ثلاثة أشهر، وقد كان يؤخذ من حالة عرابى عندما كان يجيب رياض باشا ومحمود سامى باشا أنه ينطق بخلاف ما يضمر، وأن حجاب الطمأنينة كان يشف عن كامن القلق والاضطراب»

مسلك الخديو وحاشيته مع الضباط

«قلنا إن الجناب الخديو أصبح بعد حادثة قصر النيل يطلب الخلاص من أولئك الضباط وسطوتهم النافذة فى جيشه، فشغله ذلك وأخذ يدبر الوسائل، لكن لا مع وزرائه والمسؤولين عن الأمن فى حكومته، بل مع حاشيته وبعض رجال معيته ومن كان يختصهم من خدمه - ذلك مهب البلاء على كل حاكم، ومنبع الشقاء لكل أمير: أن يتخذ لنفسه عمالا فى الخفية غير الذين أقامهم على الأعمال فى الجهر. نعم للحاكم بل عليه أن يستشير كل من يراه أهلا لأن يشير متى وثق من عقله، واتضح له حسن السابقة فى أعماله، ولكن من المفروض عليه أن يكاشف بذلك رجال حكومته الذين ألقى عليهم مقاليد أموره وفوض إليهم تدبير شؤونه فى رعاياه، فاذا أقروه على العمل بما أشير به عليه ورآه حسنا مضوا فيه بالاتفاق، وإلا نبذوه أو ادخروه لوقت آخر، أو عزل من لم ير رأيه وأقام مقامه من هو أقدر منه على تنفيذ أوامره المنطبقة على مصلحة البلاد، بعد التروى فى جميع ذلك والثقة بسلامة العاقبة، فان اختلس لنفسه شيئاً من التدبير بانفراده مع بعض خاصته على غير علم ممن ملكهم زمام الأمر من الحكومة تباينت المسالك، واختلفت الغاية، وفسد بذلك نظام الأعمال، وسقطت البلاد فى الفوضى وهجرتها

الطمأنينة، وتولاها القلق وظهر ضعف الحاكم، وباد سلطانه - عواقب قضت بها السنة الإلهية على كل أمة تضاربت فيها القوى وتخالفت النيات، واستبد كل من الوازعين فيها برأيه، ومضى على ما تزينه له نفسه».

الخديوى يتآمر

«لم يأخذ المرحوم الخديو السابق بذلك الأصل الذى وضعه الله نظاما لكل حكومة، بل أخذ يعمل مع خاصته للوصول إلى ما همه من التخلص من سلطة الضباط فى الجنود الذين تحت أمرتهم، فبدأ بعبد العال ظناً منه أنه كان أجرأهم وأشدهم نفوذاً فى عساكره، وأفضى بسره فى ذلك الوقت إلى يوسف باشا كمال، وكان ناظر دائرته الخاصة، فأخذ يوسف باشا على عهدته موافاة إرادة مولاه»

«استخلص يوسف باشا من صف ضباط ألاى السودان باشجاويشاً شركسياً ودعاه إلى بيته فى أوائل شهر مارس سنة ١٨٨١ وأكرمه وكلفه أن يلوى العساكر والصف ضباط عن طاعة ضباطهم فيما يأمرونهم به إذا سيروهم إلى حادثة مثل حادثة قصر النيل، وأن يقنعهم بأن ضباطهم لا يريدون بهم خيراً، فاذا صدر الأمر بنقل أمير ألايهم أو غيره من كبار الضباط إلى ألاى آخر فعليهم أن لا يعارضوا فى ذلك وأن يقبلوا كل ضابط يعين لهم».

«فذهب الأحمق وكتب عريضة ضمنها أن العساكر والصف ضباط لا يحبون ضباطهم ولا يريدون أن يكونوا تحت قيادتهم، وإذا نقل أى واحد منهم إلى أية جهة فلا يعارضون أمراً من الأوامر التى تصدر بذلك، وطلب من أفراد الجند أن يختموا عليها قائلا أنها عريضة طلب فيها زيادة المرتبات لهم، فختم الكثير منهم عليها لأنه لا علم لهم بالقراءة والكتابة، وقد ألفوا تلك العادة التى عودهم عليها رؤساؤهم من أن المطالب التى يطلبها الجند من الحكومة تكتب بها عرائض ويطلب من الضباط أو العساكر إيقاع الاختام عليها، غير أن أمين أحد البلوكات اطلع على العريضة فأخبر بها اليوزباشى سليم افندى الزيدى، وسلمها إليه وهو سلمها إلى عبد العال ، فقدمها عبد العال إلى نظارة الجهادية. فأوصلها الناظر إلى الجناب

الخديوى فأمر بالتحقيق لاظهار منشأ هذا الفساد، فصرح الباشجاويش بأن يوسف باشا كمال هو الذى أمره، فصدر أمر الجناب العالى بفصله من نظارة الدائرة الخاصة ظناً منه أن ذلك ينفى الشبهة فى أن لجنابه يداً فى الحادثة، ولكن الضباط كانوا على يقين تام من أن ناظر الدائرة الخاصة لم يعمل عملا إلا بإرادة مولاه، ويقال إن عزل يوسف باشا كان بناء على طلب عبد العال ومساعدة عرابى له»

«قال بعض كتاب الحوادث فى تلك الأوقات أن العريضة كانت تحتوى على التماس العساكر والصف ضباط آن يعفو الجناب العالى عنهم فيما أتوه من السير إلى ميدان عابدين يوم واقعة قصر النيل، وأن ما فعلوا من ذلك إنما كان باغراء ضباطهم لهم، ولكن ذلك تأويل للحادثة بما لا ينطبق على الحقيقة، على أنه ظاهر السخافة، فأن الجناب الخديو قد أصدر أمر عفوه عما وقع فى تلك الحادثة عن جميع العساكر والضباط وانتهى الامر فيها، ولم يكن يخطر بالبال أن أحداً سيؤاخذ على ما فعل ولم يحدث من جانب الحكومة ما يوجب الريب فى ذلك حتى يلتمس العفو، بل كانت الظواهر جميعها متضافرة عن أن الرضاء من جانب الحكومة على الجند ورؤسائه تام عام»

..ومؤامرة أخرى

«وفى أوائل شهر أبريل سنه ٨١ حدثت حادثة أخرى، وذلك أن رجلا يسمى فرج بيك الزين من أمراء الألايات المستودعين كان يسكن فى طره بجوار مركز ألاى السودان، وكان من خدم جناب الخديو السابق رجل يسمى إبراهيم أغا التوتنجى، فكان من رأى إبراهيم أغا أن يلقى الخلاف بين العساكر وبين أمير الألاى عبد العال بواسطة فرج بك الزينى، فاتفق معه على الأمر، وكان لفرج بك صهر يساكنه فى بيت واحد فاتخذه آلة لتنفيذ ما يريد، فتعرف إلى شاويش يسمى عبد الخير فدعاه إلى فرج بك فأكرمه وطلب منه أن يكثر من التردد عليه هو واخوانه».

«فذهب عبد الخير وأخبر البكباشى خضر خضر بما وقع له فسمح له

بالتردد وأمره أن يخبره بما يكون ففعل، واجتمع عند فرج بك اثنا عشر من صغار ضباط السودان فى ليلة من ليالى شهر ابريل سنة ٨١ فأبلغهم فرج بك، سلام جناب الخديو، وأن جنابه يريد أن يؤمر عليهم أميراً منهم (وهو فرج بك) وأنه متى صار الأمير منهم رقى الباشجاويش إلى بكباشى، والجاويش إلى قول أغاسى، والأونباشى إلى ملازم، ولا يتم ذلك إلا أن تعملوا على ما أشير عليكم به، وموعدنا للكلام فى ذلك الليلة الآتية بعد العشاء على شاطئ البحر، فتلقوا ذلك منه بالقبول وانصرف عبد الخير وأفضى إلى خضر خضر فأذن له بموافاة الموعد، ومتى ظهر لهم من كلامة ما يشير إلى الفتنة فعليهم أن يحضروه إليه، ثم اجتمعوا فى الموعد فى مزرعة قمح على مقربة من البحر فطلب منهم فرج بك أن يرفعوا على ضباطهم شكاية من تصرفهم إلى الحضرة الخديوية ليبنى عليها ذلك التغيير، فعند ما سمعوا ذلك قام واحد منهم وقال هذا لا يريد بنا خيراً وعلينا أن نكرهه على الوقوف بين يدى ضباطنا فى الحال، فاتفقت كلمتهم على ذلك وطلبوا منه أن يسير معهم فأبى فاحتمله عبد الخير وساعده إخوانه حتى أحضروه عند خضر خضر، فكتب الواقعة بالتفصيل إلى أمير الألاى فحضر وطلب محاكمة فرج بك الزينى فحوكم وظهرت معه رسائل من إبراهيم أغا تدل على أنه مصدر هذا الشغب، وحكم على فرج بك بانزاله عن رتبة القائمقام إلى رتبة البكباشى وبنفيه إلى السودان، فعفا عنه الجناب الخديو وأرسله إلى السودان موظفاً فى وظيفة تليق به»

تأثير دسائس الحاشية فى عرابى

«قدمنا أن سلطان الخوف ملك قلب عرابى بعد حادثة قصر النيل، ودخوله فى يمين الأمان مع على فهمى لم يخفف شيئا من قلقه، وقد زاد فى اضطرابه تكرر هذه الحوادث والوقوف على مصادرها وأن خاصة الجناب العالى هم العاملون فيها وهم لا يصدرون إلا عن رأيه السامى، فأيقن أن العفو الصادر واليمين السابقة لم يكونا إلا ألفاظا قصد بها إلهاؤه وإلهاء اخوانه عما يراد بهم، وأن الإنتقام على ما صدر منهم ضربة لازب، وأن جميع ما اتخذه من وسائل جلب الجند اليه، وجمع كلمتهم عليه، لا يحميه من الغيلة، ولا يؤمنه من السقوط فى فخاخ الحيلة»

«لهذا أخذ ينقى الجيش من كبار الضباط الذين لا يثق بهم ويخشى أن يكونوا عوناً على تدبير كيد يكاد به، فأوحى إلى ضباط آلاى العباسية (آلاى عرابى) أن يخالفوا أوامر البكباشى (ألفى أفندى يوسف) وأن يهينوه إذا عرضت الفرصة فتجاوزوا الحد فى سوء المعاملة معه إلى أن كلفوه يوماً بتقديم استعفائه فأبى، ودافع عنه يوزباشى يسمى خليل افندى على، وانتهى الأمر إلى عرابى فألزم البكباشى بأن يستعفى وحوكم اليوزباشى فحكم عليه بالسجن مكبلا بالحديد، ثم استودع مع القضاء عليه بأن لا يعود إلى الخدمة العسكرية أبدا، وكذلك أشار إلى ضباط آلاى القلعة فطلبوا إلى النظارة عزل أميرهم حمد بك صدقى فعزل وعين بدله إبراهيم بك حيدر، وكذلك فعل ضباط آلاى الطوبجية فعزل حاكم الآلاى حسين بك وعين بدله اسماعيل بك صبرى، وحصل كثير مما يماثل ذلك ولا فائدة فى الإطالة بذكره»

«أفراد الجند كثير، وعدد الضباط عديد وقوة الجناب الخديو أعلى من قوة عرابى، وليس فى الإمكان لضابط مثله أو لأعظم منه أن يملك مفاتيح القلوب ومغاليقها فى جند مثل هذا مهما قل عدده خصوصا بعد أن ألف أفراده وضباطه مناوأة أرباب الأمرة فيهم، وعرفوا فى أنفسهم القدرة على رفع التقارير بالشكوى منهم بحق وبغير حق، وبعد أن ذاقوا لذة النجاح فيما يسعون إليه من ذلك، فمن الممكن القريب أن الحضرة الخديوية أو الحكومة نفسها توحى إلى بعض أرباب الكلمة النافذة من الضباط العظام، بل إلى بعض أفراد الجند أن يوقع بعرابى وصاحبه وأن يأخذهم فى مأمنهم على غرة منهم، فإن لم يكن ذلك بإزهاق الأرواح كان بإفساد القلوب عليهم وهم لا يشعرون، ولو اتفق الجناب العالى مع حكومته على ذلك لتم لهما ما أرادا، ولكن كان القضاء وسوء التدبير يسوقان البلاد إلى ما صارت إليه».

طلب عرابى مجلس نواب وسببه

«تلك المخاوف استلفتت عرابى إلى أن يخرج من حوله وقوته الشخصيتين وأن يلتمس قوة تعلو سلطته وسلطة الحكومة معا، ولها من الشأن فى مراقبة

أعمال الحكومة ومناقشتها الحساب على ما يصدر منها خارجا عن الدستور أو مخالفا للعدل مما تخشى عواقبه وتتقى مصايره، وكان يطالع فى الجرائد وفى بعض الكتب المترجمة من اللغات الأوروبية ويسمع من بعض المطلعين على أحوال ممالك أوروبا أن مجالس النواب فى تلك الممالك هى القائمة بحفظ أصول النظام وهى القاضية على كل حاكم بالتزام حدوده، وبها محى الاستبداد فى الأرواح والأموال وحفظت الحرية الشخصية فى الأعمال، ولعب بعقله هذا الخيال، وظن أنه لو كانت فى البلاد تلك القوة النيابية ولو أن حكومتها كانت حكومة شورية، لكانت للشورى أو مجالس النيابات عاصما لحياته حافظا لحقوقه فى وظائفه، ومأمنا يلجأ إليه إذا حوم طائر الإنتقام عليه ولم يعلم أنه لو كانت فى مصر حكومة دستورية يقضى فيها القانون ولا يستبد فيها الرأى لأوخذ عرابى ومن معه أشد المؤاخذة، ولقضى عليهم بجزاء ماهتكوا من حرمة القانون وما أدخلوا فى الجند من الميل إلى الفوضى والاستهانة بالسلطة العليا ، وانما الذى استبقى حياتهم بعد ما فعلوا تلك الأفاعيل هو ضعف سلطة القانون وعجزها عن إيقاف الداخلين تحتها عند حدود أحكامه، وميل صاحب الرأى الأعلى فى الحكومة إلى تلافى الأمر ظنه أسدّ وأنجح مما حده النظام، ولو كان ذلك الحاكم مقيدا بدستور أو بآراء نواب أمته، لامتنع عليه أن يذهب إلى ما ذهب اليه، ولقامت الأمة بلسان نوابها تطالبه أن يحل أشد العقوبة على من اعتدى على حدود ما شرعته لجندها، ولكانت قوة الأمة قد قضت على قوة الجيش وأبادتها لو خالفتها، لكن تلك معارف تعلو أن يتطاول إليها فكر كفكر عرابى ومن كان معه، وغاية ماتوهم أن مجلس النواب هو من أبناء البلاد، وهم لا يسمحون بأن يقتل واحد منهم أو يعزل من وظيفته وإن تعدى حدود كل نظام، ما دام يطلب طلبا يظنه هو عادلا».

«لهذا أراد أن يستعمل ما بيده من السلطة على الجيش فى المطالبة بإنشاء مجلس نواب يكون له من الحقوق ما لمجالس النيابات فى أوروبا، ثم تخيل أنه إذا أنشئ هذا المجلس عرف أعضاؤه ومستنيبوهم فضل من كان السبب فى تشكيله فيهتمون بالمحافظة على حياته وعلى نفوذه بما يستطيعون، بل وثق بأنه يستعمل النواب كما يستعمل ضباط الجند،

ويسوقهم إلى الغاية التى يريدها منهم، ولم يخطر بباله أنه إذا فعل ذلك فقد سقط بالقوة التى يلجأ إليها إلى هاوية العدم، فإنه إذا لعب بها فقد فتح لغيره باب الإستهانة بأمرها، فيسهل عدم المبالاه بسيطرتها، وإذا قهرها على أمر فقد مهد السبل لمن هو أعلى منه سلطانا فى نظر الأمة أن يكرهها على عكسه فتنقلب عليه بعد أن كانت له، وإذا كان المجلس تحت سيطرة الجند، فما الفائدة من إنشائه مع وجود الجند، فليستغن عنه بالقوة العسكرية ولتكن هى الملجأ دونه، فكيف يتصور أن يطلب تشكيله ليكون واقيا مما لم يقو الجند على الوقاية منه؟»

«هذه أحاديث عقل ينبو عن فهمها ذهن شخص مثل عرابى تمثلت له جنايته فى صورة أغوال فاغرة الأفواه محددة الأنياب، ولزمه خيالها فى يقظته ومنامه، فهو فى فزع دائم يخيل له العزل والموت فى كل شئ يراه، يلتفت يمينا وشمالا فلا يرى إلا سيوفا مسلولة، أو حبالا منصوبة، ولا يسمع من هواجس نفسه إلا صيحة واحدة، الخلاص الخلاص.. الهرب الهرب.

ولم يتمثل فى مخيلته مهرب أوفى له من طلب تشكيل مجلس النواب على الصورة التى قدرها له فى نفسه».

«وشد أمله فى نيل أمنيته أن أغلب أهل الطبقة العليا من الناس ككثير من أهل الطبقة الوسطى يهمسون بما يدل على القلق ويشعر بالملل من إدارة رياض باشا لأعمال البلاد وسياسته فيها، للمآرب التى بيناها، فأخذ يتحسس ما فى النفوس، ويتسمع ما تنطق به الألسن، فوجد أن أمنية تغيير الحال لم تزل تجول فى صدر كل واحد ممن كان ينتابه، ولو قيل لطلاب التغيير أن لا سبيل إليه إلا بإستدعاء جناب الخديوى الأسبق إسماعيل باشا أو إستحياء اسماعيل باشا صديق، لاستسهلوا طلب ذلك بعد ماذاقوا على عهدهما ماذاقوا، فقد نسى الماضى واحتدمت الشهوة فى التملص من الحاضر، وكلمة مجلس النواب كانت لم تزل دائرة على الألسنة وفى وهم الكثير ممن نظروا فى سير الأمم الأوروبية أن علاج كل داء ينحصر فى تحقيق معنى هذه الكلمة «تشكيل مجلس نيابى وحكومة شورية» فلما نطق عرابى وهو صاحب النفوذ فى الجند بأنه يريد إنشاء مجلس النواب سمع

دوى الإستحسان من كل جانب وصفقت له الأحشاء بين الجوانح قبل أن تصفق له الأيدى فاشتد بذلك عزمه وازداد طمعه، وخيل له أن الأمة ستكون سنده».

«ولعلمه أن علاقة مصر بالدولة العثمانية، قد لا تسمح له أن يجاهر بإيجاد شكل فى الحكومة المصرية ليس معروفا عند السلطان العثمانى، بدأ بتحرير عريضة أمضاها هو وعدد كبير من الضباط ختمها بالشكوى من إستبداد الحكام فى الأقطار المصرية وأن ذلك الإستبداد قد أضعف الأمل فى الأمن على الأنفس والأرواح كما عاد بالقوة على نفوذ الأجانب حتى أصبحت مصالح البلاد فى أيديهم وتحت تصرفهم وكاد اسم الدولة العثمانية ينسى وأشرفت علاقتها بمصر على الإندثار والإنمحاء. فورد له الجواب من بعض رجال المابين يحمل إليه تحية الخليفة العثمانى ويحكى له أقاصيص رضاه السامى عن كل ما يجرى فى مصر لمقاومة نفوذ الأجانب فى إدارتها ومصالحها».

«أخذ عرابى بعد ذلك يجهر بطلبه هذا وخاطب رياض باشا فى شأنه فأباه عليه، فأخذ يخالط بعض العلماء ويكشفهم بمقصده من ثلم النفوذ الأجنبى ورد ما سلبته أيدى الأجانب إلى أربابه، وفى أثناء ذلك كان يصور لهم السلطة الأجنبية الحاضرة إذ ذاك كأنها نسر حوم فى جوها لإختيار خير الفرائس لينقض عليها، ثم اختار من بينها الدين والعوائد الموروثة عنه لنشب مخالبه فيها وأنه لو دامت سياسة رياض باشا فى منهجها لقضى على الدين وسننه، وفى خلال هذا كان يزين لكل ذى شهوة منهم ما تميل إليه نفسه ويمنيه بنيله إذا تغيرت هيأة الحكومة الحاضرة. فوجد من حضرات المشايخ وهم على ما نعهد من السذاجة والبعد عن معترك السياسات إصغاء لقوله وتأييدا لرأيه، وكذلك كان يخالط بعض الأعيان ومشايخ العربان ويقرر لكل من لاقاه أن لا سبيل لمبتغاه إلا بتأييده فى طلب مجلس النواب، فيجد أذهانا مقتنعه وإرادات مستسلمة، وذلك لأن القوة فى يده ولأن نفوسهم تظن منتهى راحتها فى التغيير على أى صورة جاء».

«استحثه الحرص على ادراك المطلب أن يفضى به إلى ضباط الجيش وأن

يثير فى أحلامهم الضعيفة تماثيل الأمانى من العزة والسلطان والصعود إلى أعلى مراقى الرتب والمناصب وأن كل ذلك لا ينال إلا بمجلس النواب ».

ولم يكفه أن يكون ذلك مطلبا لهم يشتهونه ويساعدون عليه عند القيام للإلزام به، ولكنه كان يطلب إلى بعض الضباط أن يكتبوا به عرائض يبينون فيها ضرورة إنشاء المجلس، وإنما يقام الدليل على تلك الضرورة بالطعن فى هيأة الحكومة وبيان عدم كفايتها فى كفالة الأمن على الأنفس والأموال والأعراض، وبينما هو فى ذلك إذ أحس الجناب الخديو بمسعاه وعرفه بعض حاشية جنابه الكريم، وبعد قليل ظهرت مسألة تسمى «مسألة التسعة عشر ضابطا»

مسألة ١٩ ضابطا

«كتب البكباشى عبدالله افندى الكردى تقريرا أمضاه هو وضابط قول أغاسى وستة عشر من اليوزباشية وملازمان، وقدمه إلى ناظر الجهادية، ومحصل ما فيه الشكوى من تصرف عرابى ومحالفيه وتعديهم حدود القانون واشتغالهم ببث الدسائس بين ضباط الجيش، وحملهم على تقديم عرائض للجناب العالى يطلبون فيها فصل وزارة رياض باشا وتشكيل مجلس للأمة وزيادة عدد الجيش والتصديق على القانون الجديد، وأن عرابى قد صرح لهم بما معناه أن القوة فى يدنا والعلماء والأعيان ومشايخ العربان يعضدوننا ولا مندوحة للخديو عن إجابة طلبنا، فان لم يفعل خلعناه وأقمنا حكومة جمهورية مستقلة، فلما وقف الناظر على ما فى التقرير أمر بتشكيل مجلس عسكرى لتحقيق ما زعمه الضباط، فقالوا أنهم لم يكتبوا إلا ما سمعوا وزادوا على ذلك أن فى الجيش كثيرا من المظالم والخيانات وطلبوا تحقيقها، ثم قدمت إلى المجلس العسكرى تقارير من ضباط الألايات تنسب فيها تهم كثيرة إلى هؤلاء الضباط الواقفين موقف المخاصمة مع عرابى وجماعته، وانتهت المحكمة بإثبات أنهم كانوا مدفوعين من إبراهيم أغا التتنجى على كتابة ذلك التقرير فحكم عليهم بعقوبات شديدة قابلها الجناب الخديو بعفوه الكريم، غير أنهم فصلوا من الجند».

«وفى أثناء هذا الاضطراب كان محمود سامى ورياض باشا يخطبان فيما

يجب على الجند أن يؤدوه للحكومة وعرابى يجيبهما بتصديق ما قالا، وينادى بأن الجيش آلة الحكومة المنفذة: كلا الطرفين خادع مخدوع».

«فى حوالى تلك الأيام كان قيام ضباط الألاى الرابع، آلاى عرابى، لطلب انفصال «ألفى بك» البكباشى لأنه المانع للألاى من الألايين الآخرين يوم حادثة قصر النيل، فحملوه على الاستعفاء فاستعفى وأحيل على الإستيداع، وكذلك قبل ضباط آلاى القلعة فى طلب عزل أميرهم محمد بيك صدقى فعزل وعين بدله إبراهيم بيك حيدر وتبعهم ضباط آلاى «الطبجية» فى طلب فصل قائدهم حسين بك ففصل وعين بدله اسماعيل بيك صبرى، كل ذلك ليستوثق عرابى لنفسه وليأمن على أن القوة الجندية بأسرها معه».

«على أن ذلك لم يفتر عزيمة المخلصين من حاشية الجناب العالى، فقد قيل إن بقية مما ترك جناب الخديو الأسبق إسماعيل باشا من الجوارى السود كانت تحت تصرف الخاصة من الخدم فأخذوا يزوجوهن ببعض العساكر والضباط من آلاى السودان، وكان أغوات سراى الإسماعيلية يدعون أولئك العساكر ويمنحون الواحد منهم نقودا لا تعطى عادة لأمثالهم بحجة أن ذلك مساعدة لهم على معيشتهم مع زوجاتهم عتيقات السراى، ولكن العساكر كانوا يقولون لضباطهم إن الأغوات يغرونهم بقتل رؤسائهم، فيهيج غضب الضباط وتضعف ثقتهم فى الأمن على أنفسهم، ويشتد الرعب فى قلب عرابى ومن معه، وسواء صح قول العساكر أو لم يصح فأثره فى إزدياد القلق والإضطراب لا ريبة فيه والإشاعات التى تتولد عنه لا تقل قيمتها عن الحقائق الثابتة، وإنما وقود الفتن ما يقال لا ما يفعل».

«فى ٢٥ يوليو سنة ١٨٨١ حدث أن عجلة «عربه» لأحد تجار الإسكندرية يقودها قائد أوروبى كانت تمر فى الشارع المؤدى إلى سراى رأس التين فصدمت جنديا من عساكر الطبجية فقتلته، فاجتمع رفاقه على أن يحملوه إلى السراى حيث يقيم الجناب الخديو ويلتمسوا منه الإهتمام بمعاقبه الجانى، فحملوه مخالفين فى ذلك رؤساءهم، وساروا به فى ضجة وولولة، وصاحوا بطلب الإنتقام من القاتل، فكبر الأمر على الخديو ورآه تطاولا مخالفا لآداب الجندية، وله الحق فيما رآه، فأمر العساكر بالإنصراف

فانصرفوا ظانين أن شكواهم قد قبلت، وبعد أيام صدر الأمر بتشكيل مجلس حربى لمحاكمتهم وحوكموا وصدر الحكم على الجندى الذى بدا بدعوة رفقائه إلى الإشتراك فى حمل الميت إلى السراى بالأشغال الشاقة مدة الحياة، وحكم على رفقائه وهم ثمانية بالأشغال الشاقة مدة ثلاث سنوات وبأن يقضوا مدة العقوبة فى السودان ثم يكونوا بعد ذلك من أفراد الجند فى الأقطار السودانية، ثم قدم الحكم إلى ناظر الجهادية فرفعه إلى الجانب الخديو فأمر بانفاذه، وسيق المذنبون إلى السويس ومنها إلى سوا كن ثم إلى داخل البلاد السودانية».


عبد العال حلمي

«بعد هذا كتب عبدالعال حلمى أمير الفرقة السودانية تقريرا طويلا يشكو فيه ما أصاب هؤلاء العساكر من قسوة الحكم ويبين قلقه من الحوادث التى تجرى والفتن التى لا تنقطع ولا تجف ينابيعها وأظهر استغرابه لشدة الحكم فى حادثة مثل هذه مع مقابلة الجانبين بالعفو فيما هو أعظم منها وأهم كحادثة فرج الزينى وغيرها».

«قدم التقرير إلى ناظر الجهادية، رفعه الناظر إلى الحضرة الخديوية، اشتد كدر الخديو لذلك وعده جرما لا يقل عما إجترمه حاملو القتيل وملتمسو عقوبة القاتل، فإستدعى النظار من القاهرة بالتلغراف فإجتمعوا فى حضرته وتداولو فى الأمر وقرر «أى جنابه» ووافقه الأغلب من رجال النظارة، على أن بقاء محمود سامى نظارة الجهادية مع ميله إلى عرابى ومن معه، هو منشأ هذه الفوضوية وأن لا سبيل لإيقاف سير هذا الداء ورد المتطاولين على السلطة العليا إلى الحد الذى رسمته وظائفهم إلا عزل محمود سامى، فقدم إستعفاء فقبل فى الحال وعين «داود باشا يكن» ناظرا للجهادية، وأعقب ذلك صدور أمر آخر بعزل أحمد باشا الدره ملى من ضبطية المحروسة وتعيين عبدالقادر باشا مأمورا لها».

«هنا أذكر ما أخبرنى به بعض الثقات وهو أن من أسباب ميل الجناب الخديو إلى إستعفاء وزارة رياض باشا أنه كان ينتهز فرصة لتعيين داود باشا يكن ناظرا للجهادية لمكان المصاهرة الجديدة، وأنه لما لم يتمكن من ذلك فى حادثة عابدين، لم يزل يتخذ له الوسائل حتى تهيأ له أن ينفذ ما عزم عليه من هذه الحادثة التى لا تمتاز فى شئ عما سبقها من أمثالها، ومع ذلك فقد أظهر جنابه شدة قلقه من رياض باشا، وأشيع فى الإسكندرية بل وفى القاهرة، أنه قدم إستعفاء لتحققه من عدم رضى مولاه عنه، وعلم رياض باشا بعد انصرافه من سراى رأس التين بضجر الخديو من بقائه، على ما أخبره به بعض الأوروبيين، فرجع إليه وسأله فى ذلك فأكد له أن لا صحة لما سمعه وأنه فى المحل الأعلى من رضاه فأظهر رئيس النظار إقتناعه بما سمع مع قيام آلاف من الأدلة على ما يخالفه».

«من العبث أن يقال إن رياض لم يكن يحس بوجد الخديوى عليه ورغبته فى إعتزاله للسلطة، ولكن لذة المنصب والشغف بالرئاسة وثقة دولة الرئيس بنفسه وظنه أن لا صلاح للبلاد إلا اذا كان هو صاحب سياستها والقائم بتدبير شؤونها، كل ذلك كان يغالط إحساسه ويدافع وجدانه ويلتمس له العذر فى البقاء ويصرف نظره عن أدلة الإنحراف عنه على قوتها، ويقبل به على موهمات الركون إليه على ضعفها، ولو حكم عقله وأنصف نفسه وبلاده لا نصرف عن مقام السلطة مختارا قبل أن ينصرف عنها مكرها، فقد كان من المحتمل أن لا تبلغ الفوضى بالبلاد مبلغ ما وصلت إليه أو لم يضطر الضباط إلى حشد الجنود فى ساحة عابدين لإكراهه على للتنازل عن رئاسة النظار».

«أراد داود باشا أن يقوم ما أعوج من النظام أو يرمم ما تقوض منه، فأخذ يصدر الأوامر الشديدة إلى الآليات يلزم بها أمراءها وضباطها كافة بأن لا يفارقوا مراكزهم العسكرية، ويحظر بها على جميعهم ما اعتادوا عليه من الإجتماع فى المنازل، والتردد على المحافل، ويطالبهم بإيفاء الأعمال العسكرية حقها من الدقة، وأمر بإنشاء مكاتب فى مراكز الألايات لتعليم القوانين العسكرية، ظناً منه بأن ذلك يذكر الضباط والعساكر بأحكام النظام فيقبلوا على طاعته، وتأخذهم الرهبة من مخالفته، وكان يذهب

بنفسه إلى ثكانات العسكرية ليلاً ونهاراً ليراقب تنفيذ تلك الأوامر.. واهتم سعادة مأمور الضبطية بمعرفة حركات ضباط الجيش، خصوصاً الرؤساء منهم، وهم عبدالعال وعرابى وأحمد عبدالغفار ليخبر ناظر الجهادية بما يكون من أمرهم خطوة بخطوة، فأرسل العيون والجواسيس على بيوت الرؤساء منهم وكبار الضباط، ولم يخف شىء من ذلك على عرابى ورفقائه».

القوة التى اعتمد عليها ناظر الجهادية ومأمور الضبطية

«ما القوة التى كان يستند إليها ناظر الجهادية فى إصدار أوامره ومأمور الضبطية فى بث جواسيسه؟ هى القوة التى يشير إليها اسم الوظيفة «ناظر جهادية، مأمور ضبطية» وهى من القوى المعنوية التى لا يظهر أثرها إلا بعد اليقين بأن قوة الجند من ورائها عند التواء الأمور عليها، كسائر الوظائف فى الحكومة لا تخضع الأنفس للقائمين عليها، إلا ومثال القوة القاهرة منتصب أمامها، وما تلك القوة القاهرة إذا لم تكن سلاح الجند؟ فإن كان الجند وهو حفاظ الوظائف فى كل حكومة خصماً لها أصيبت بالشلل كما يصاب به المخ تمزقت عنه عظام الجمجمة.. غفل كل من ناظر الجهادية ومأمور الضبطية عن هذا الأصل المعروف عند الأمم كافة، وظناً أن اسم الوظيفة له من السلطان فى انفاذ الأوامر ما يغلب قوة الجيش ويخمد نيران مدافعه وبنادقه، وربما صار هذا السهو منها مثالاً حذا حذوه كثير من السذج فى مصر، فيما تأخر من الزمان.. نعم قد لا يبالى بقوة الجيش متى استعصى على النظام إذا قامت الأمة بأسرها للمحاماة عن دستورها، وهمت بمعالجة جسمها بقطع ما فسد من أعضائه، واستعاض الحاكم بقوة الرعية عن قوة بعض أفرادها «وهم الجند» وأخذ لذلك من الوسائل ما هو أشد أثراً من كتابة المنشورات، ونشر الوريقات، ووسوسة الجواسيس، وحشد الأخبار يتراكم كاذبها على صادقها، ويغلب باطلها على صحيحها، ليكافح بذلك حشد الجيوش وصلصلة السلاح».

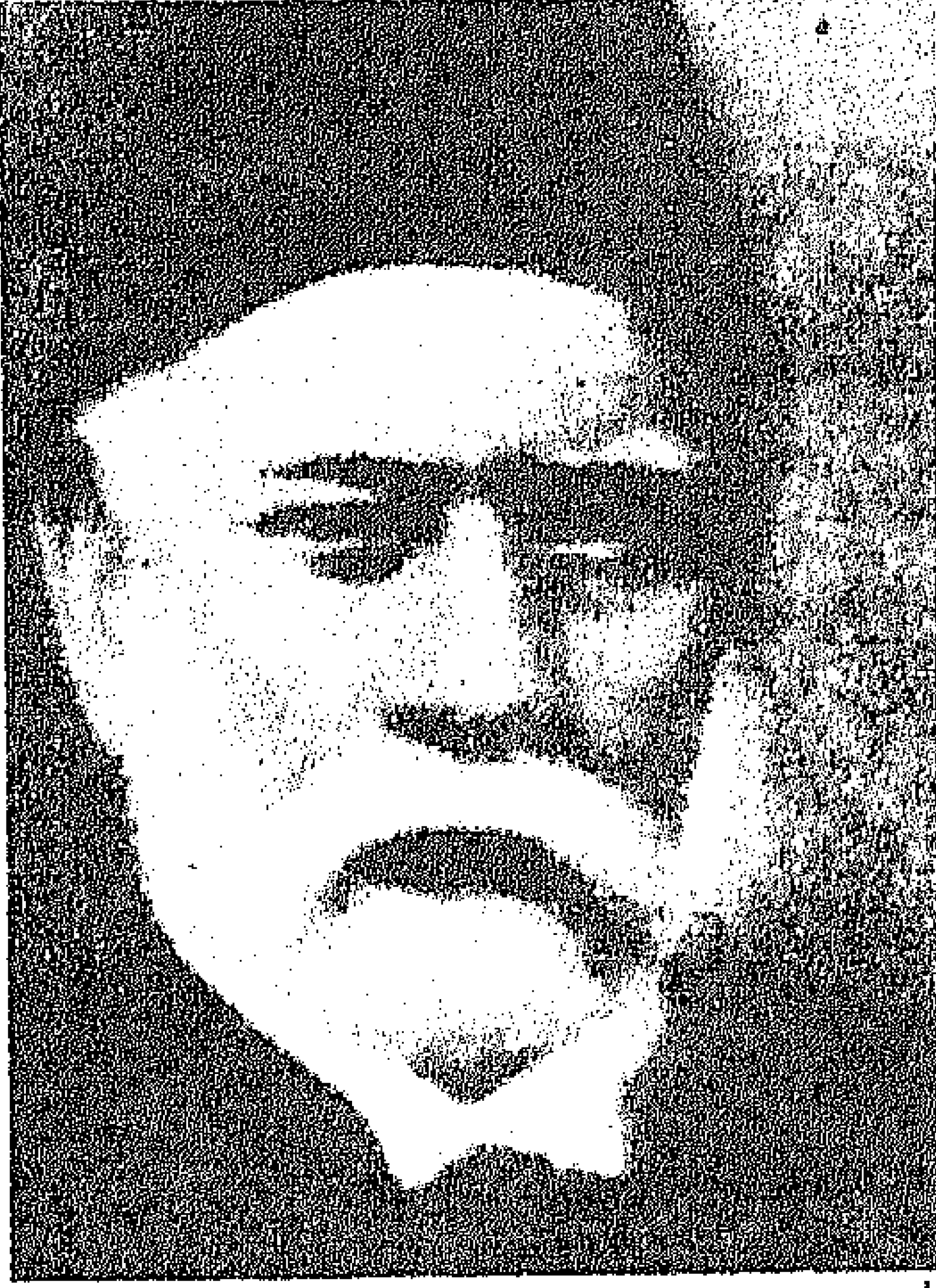
«لكن الأمة كانت لاتزال فى النقاهة من مرض التفرق وشلل الإدارة، وأرجو أن تكون اليوم قاربت الشفاء، فهى إن حكمت على متمرد فإنما تحكم أفذاذاً، كل يصدر حكمه لصديقه همساً يرجو أن لا يسمعه ثالث، وقد يبالغ

الأغلب فلا يقضى قضاءه إلا فى نفسه، وإن جهر بالقول لم يبلغ من نفوس السامعين إلا مجرد استحسان، قد لا ينطلق به لسان، وإن نطق كان على طريقة القائل: فربما اجتمعت أصوات، وعلت ضوضاء، ولكن كل فى مكانه لا تتحرك قدماه، ولا تمتد يداه، وأول صيحة من مدفع تخرس لها جميع الألسن وتخفت جميع الأصوات، ويتبدل الزئير بالأنين».

«ذلك شأن كل أمة لم تقوم نفوسها بالتربية السليمة ولم تثقف عقولها بالمعارف الصحيحة، ولم يبلغ بها حب وحدتها الملية أو الشعبية إلى حد أن يسهل عليها بذل المال والروح فى سبيل صيانتها.. كل أمة تفرق المطامع بين أفرادها، ويصرف كل منهم شأنه عن شأن مجموعها.. ويلهيهم العاجل عن الآجل.. ويذهب بها الحاضر عن المستقبل.. فلا سبيل للاعتماد عليها فى دفع غائل، ولا فى مقاومة صائل، وعلى ولى أمرها أن يبتدئ فيها قبل كل عمل بتهذيبها وإصلاح طباعها، حتى تنشأ فيها الثقة بنفسها، وتعلو منزلتها فى نظرها، ويغلب لديها أمر عامتها على أمر خاصتها، عند ذلك تكون ينبوع سعادته فى السلم، وسياجه المنيع لصد عدوه فى الحرب».

«كان الجند طوع عرابى ورفقائه لا تحت طاعة الناظر ولا المأمور، وكانت الأمة على حالها التى ذكرنا طالبة لتغيير الحال كما قدمنا، فالجند والأمة كلاهما كانا فى جانب عرابى.. وأرقام المنشورات وأشباح الجواسيس قامت عند عرابى واخوانه مقام إنذار لهم بسوء المصير، فاشتد جزعهم، فاستجمعوا كل قواهم لحفظ أرواحهم ومناصبهم.. وكانت الليالى ليالى رمضان تكثر فيها الزيارات، وتتيسر الاجتماعات، وتنتشر الإشاعات، فازداد عرابى ومشايعوه من الحراس تحفظاً مما عساه يقع من الغيلة، وواصل اجتماعه مع إخوانه ومع كثير من أعيان القاهرة، وتابع وسائله إلى بعض من يظنهم على ولائه فى الأطراف، وهو فى كل ذلك يدعو إلى تشكيل مجلس النواب، لتوهمه أنه الوسيلة الباقية لاتقاء شر الحكومة، وكان يتردد فى أغلب الأوقات على منزل سلطان باشا ويستمد منه المعونة بالقبول والفعل».

سلطان باشا


محمد سلطان باشا

«سلطان باشا لم يكن من أغبياء الأغنياء فى هذه البلاد، بل كان فيه شىء من الفطنة يزينه الغنى وتعلى قيمته مظاهر الثروة، كان يفهم ما يقال، ويرضى السامع إذا قال.. ولكن هيهات أن يكون له بصر بالعواقب أو علم بمصاير الإنقلاب فى الحكومات وتغير الأشكال عليها وما يصيب الأمم فى مجارى الحوادث من تقدم وتقهقر - أفادته مناصبه السابقة أيام إسماعيل باشا شهرة وحلو صيت - حافظ على مكانته فى النفوس ببسطة فى الكرم امتاز بها على أمثاله، فكان ينتاب منزله الأعيان والعلماء وأرباب المناصب، وكان يجد فى نفسه لهذا علواً فى أقرانه، كان مثله مثل الكثير من الأعيان فى استثقال يد رياض باشا فيما استأثر به من السلطة، وفى استنكار تلك البدع التى جاء بها فى وزارته خصوصاً ابطال السلطة الشخصية، والأخذ على يد الأقوياء، أن تطاول إلى استخدام الضعفاء رغم إرادتهم، ووضع حدودا يلزم الأعيان وأهل الثروة بالوقوف عندها فى علائقهم مع غيرهم، فكان ممن يألم لهذه القيود ويعدها من الضربات التى أصيبت بها البلاد على يد رياض باشا وشركائه.. توسم الفرج والخروج من هذه المضايق والوصول إلى مقام تعلو فيه كلمته على كلمة مثل رياض باشا، ويتمكن فيه من أن يعيد نفوذه الشخصى فيمن دونه من عامة أهل بلاده، عند ما لاحت له بوارق الثورة ولمع فى عينه شرر الفتنة - عند ما أحس أن عرابى يتلمس المعين على إنشاء مجلس النواب لوقاية روحه ومنصبه - ظن وصدق ظنه أن عرابى لابد أن يصل إلى ما يريد يوماً ما، فمن الحزم أن يتفق معه فى البداية، ليكون له النصيب الأشرف من الفائدة فى النهاية، فكان أول من مد يده إليه وواثقه على التعاون فى طلب مجلس الشورى، وأخذ سلطان باشا يستنزل بعض أعيان الوجه القبلى والبحرى فى رأيه ويحثهم على الاجتماع لتأليف وفد يطلب إلى رياض باشا ويلح عليه فى الطلب أن يستصدر من الجناب الخديوى أمراً باستدعاء مجلس النواب

وتخويله حق النظر فى وضع قانون يضمن له البسطة فى حقوقه حتى يكون كمجالس النيابات فى أوروبا، ثم يكون ذلك دستوراً للبلاد تمضى عليه حكومتها، فانصاع له بعض وعارضه آخرون، ولم يتم له تأليف ذلك الوفد، ولم ير من الحزم أن يتولى الطلب بنفسه من رياض باشا خشية الخيبة، فانقلب إلى عرابى وحالفه على أن يجمع له أعيان القطر من الوجهين البحرى والقبلى وعلماءه على تعضيد طلبه متى انفصل رياض باشا، ثم بارح سلطان باشا مدينة القاهرة وتوجه إلى المنيا فى أواخر رمضان سنة ١٢٩٨ وقت اشتداد الاضطراب وتلاطم القوى».

كنت معروفاً بمناوئه الشغب العسكرى

«كنت معروفاً بمناوأة الفتنة واستهجان ذلك الشغب العسكرى وتسوئة رأى الطالبين لتشكيل مجلس النواب على ذلك الوجه وبتلك الوسائل الحمقى، وكنت أذهب لزيارة سلطان باشا أحياناً، فأرى من لدن الباب عرابى وبعض رفقائه جالسين معه ورؤوسهم بادية من النوافذ، فإذا استأذنت للدخول وسمعوا اسمى أسرعوا بالفرار من محل الاستقبال العام إلى محل آخر ليختفوا ثم ينصرفوا».

«مررت ببيت «طلبة» ثالث يوم عيد الفطر فسمعت جلبة ورأيت بعضاً من صغار الضباط يجولون من جانب إلى آخر من البيت، فدخلت للزيارة فوجدت عرابى وجمعاً غفيراً من الضباط،ووجدت معهم أحد أساتذة المدرسة الحربية «ل بيك س» وكان من الناقمين على الوزارة لأمر لا يستحق الذكر، فجلست واستمر الحديث فى وجهته، وكان موضوعه الاستبداد والحرية، وتقييد الحكومة بمجلس النواب وأن لا سبيل للأمن على الأرواح والأموال إلا بتحويل الحكومة إلى مقيدة دستورية، فأخذت طرفاً من البحث، فأقمنا على الجدال ثلاث ساعات، كان عرابى والأستاذ من طرف، والكاتب من طرف، هما يقولان: إن الوقت قد حان للتخلص من الاستبداد وتقرير حكومة دستورية، والكاتب يقول: علينا أن نهتم الآن بالتربية والتعليم بعض سنين، وأن نحمل الحكومة على العدل بما تستطيع، وأن نبدأ بترغيبها فى استشارة الأهالى فى بعض مجالس خاصة بالمديريات والمحافظات، ويكون

ذلك كله تمهيداً لما يراد من تقييد الحكومة، وليس من اللائق أن نفاجئ البلاد بأمر قبل أن تستعد له فيكون من قبيل تسليم المال للناشئ قبل بلوغ سن الرشد، يفسد المال ويقضى إلى الهلكة، وختمت قولى بأنه لو فرض أن البلاد مستعدة لأن تشارك الحكومة فى إدارة شئونها فطلب ذلك بالقوة العسكرية غير مشروع، فلو تم للجند ما يسعى إليه ونالت البلاد مجلس شورى لكان بناء على أساس غير شرعي، فلا يلبث أن يتهدم ويزول، وأرى أن هذا الشغب قد يجر إلى البلاد احتلالاً أجنبياً يستدعى تسجيل اللعنة على مسببه.. إلى يوم القيامة، فتبسم «عرابى» ابتسام الساخط وقال: أبذل جهدى فى أن لا أكون مورد هذه اللعنة، وليس الجند هو الطالب لتشكيل مجلس النواب، وإنما هو مؤيد لطلب الأعيان ووجوه البلاد، فسألته: وعلى من تعتمد؟ وممن أخذت الميثاق على ذلك؟ فهمس إلى بصوت لا يسمعه إلا ثالثنا: إن سلطان باشا قد عاهدنى على أن يجمع أعيان القطر من الوجهين ليتقدموا بالطلب متى سقطت وزارة رياض باشا، ثم انصرفنا»

«بعد أن استوثق عرابى لنفسه من سلطان باشا وأيقن بما وعده أن أهالى البلاد وأرباب الكلمة فيها سيكونون معه، وبذلك يتحول عمله من عصيان غير مشروع إلى طاعة للأمة غير ممنوعة.. فقد تخيل أن يضع نفسه ومن معه من الضباط موضع الآلة المنفذة لرغبة الأمة، كأن الأمة هى التى استعملتهم، فالثورة ثورة الأمة لا ثورة الجند، وكل ما تأتى به الأمة فى سبيل حريتها وتقويم ما أعوج من حكومتها لا يصادف منكراً ولا يستوجب عقاباً.. هذا هو الحجاب الممزق الذى كان يسدله على أعين الناظرين إليه، والحجة الساقطة التى يقيمها للناقدين عليه، وبعد أن استحكم هذا الخيال من نفسه أخذ يترقب الفرصة لجمع رجاله لإلزام رياض باشا بتقديم استعفائه، وكان يصل ليله بنهاره فى التفكير والتدبير والمشاورة مع إخوانه، وكلما عقدوا عزماً على شىء عرض لهم ما ينقضه».

الخديو يدبر أمرا..

«كل ذلك والجناب الخديو بالإسكندرية وهم ينتظرون عودته، وكان يزيد قلقهم ما كان يبلغهم من أن الجناب الخديو استمال ألاى الحرس وأميره

على فهمى وعاهده على أن يكون قوة تقضى على من يخالف الأوامر من بقية الألايات، وقد كانت الاشاعات فى ذلك لا تخلو من صحة، فقد أخبرنى المرحوم على باشا مبارك يوم مجيئه من الإسكندرية فى معية الجناب العالى، أن افتراق ألاى الحرس عن بقية الآليات واستعداده لتنفيذ ما يصدر إليه من الأوامر مما لا ريبة فيه، وأنه عما قليل سيؤخذ تقرير أمر فاصل تنحسم به هذه الفتنة وتباد به جراثيمها».

«عاد الجناب الخديو من الإسكندرية فى أوائل شهر شوال، وبعد عودته بأيام تجلى ذلك الأمر الفاصل الذى سمعت خبره من على باشا مبارك، فإذا هو من غرائب التدابير، بل من عجائب الألاعيب، ذلك أن الحضرة الخديوية بعد أن استمالت على فهمى ورجاله وأعدتهم لمغالبة من يستعصى عليها من سواهم، واستمالت أيضاً أميرالألاى الخامس الذى كان مقيما فى الإسكندرية بجهة «باب شرقى» فأرادت أن ينقل الالاى الثالث الذى كان مقيماً بقلعة المعز بالقاهرة إلى الإسكندرية، وأن يؤتى بالألاى الخامس إلى مصر بدلاً عنه وبذلك يكون فى مصر ألايان تحت طاعتها، والله أعلم ماذا أرادت الحضرة الفخيمة بعد ذلك أن تفعل بهذين الألايين بعد استقرارهما فى مصر».

«هل كان الخديو يريد أن يصدر أمراً بالقبض على رؤساء الفتنة، فإذا قامت جنودهم لحمايتهم صدر الأمر بالحرب والقتال بين الطائعين والعاصين؟ ما أظن أن ذلك خطر بالبال، ولو مر ذلك بذهن جنابه لسهل عليه حسم الفتنة ثانى يوم واقعة قصر النيل، ولكنها هواجس كانت تجول فى الأذهان، ثم تصدر عنها حركات وأعمال لا يدرى صاحبها نفسه ما الغاية التى يريد منها؟».

«ولما استحكم اليأس من نفس عرابى وظن أن الخطر حائق به، كتب هو وجماعة من الضباط عريضة إلى السلطان يشكون فيها من الظلم ويلتمسون ارسال مأمور خاص لتحقيق ما يشكون منه، وكان ذلك قبل حادثة عابدين بثلاثة أيام».

حادثة عابدين

«أصدر ناظر الجهادية أمرين فى يوم واحد أحدهما إلى إبراهيم بيك حيدر أمير الألاى الثالث الذى كان يقيم فى القلعة بالتوجه إلى الإسكندرية، والآخر إلى حسين بيك مظهر أمير الألاى الخامس أن يبارح الإسكندرية إلى القاهرة ليحل محل الألاى الثالث، ثم أصدر أمراً إلى أمير الألاى الثانى أن يرسل من الضباط من يستلم المخافر من ضباط ألاى القلعة عند سفرهم، فعندما وصل الأمر إلى إبراهيم بيك حيدر وعرفة الضابط أسرع إثنان منهم إلى عرابى وأخبراه به «ففزع لذلك هو ومن معه وهالهم الأمر وتمثل لهم سوء العقبى وأيقنوا أن فى ذلك القضاء عليهم، فأمر عرابى أولئك الرسل بأن ينادوا فى ضباط ألاى القلعة بعدم التسليم وبالإقامة فى مواقعهم وأن يمسكوا من يأتى إليهم من الألاى الثانى للاستلام ففعلوا واجتمعت كلمتهم على ذلك».

«وعندما حضر ضباط الألاى الثانى كتب محمد أفندى الرملاوى ومحمد افندى السيد إلى عرابى بما محصله أن أربع بلوكات حضرت لاستلام مواقع الألاى. وأمتعة أبنائكم قد ربطت فاحضروا بنصف ألايكم وإلا فنحن قائمون، أما النصف الآخر فيبقى تحت قيادة محمد أفندى الزمر إلى العصر ثم يحضر».

«عند ذلك كتب عرابى «إلى نظارة الجهادية ينبئها بأن جميع الألايات ستكون فى ميدان عابدين فى نهاية الساعة التاسعة من ذلك اليوم. وهو يوم الخامس عشر من شهر شوال سنة ١٢٩٩ بعد أن كتب إلى جميع الألايات أن توافيه فى الموعد، وكتب إلى الجناب الخديوى يحيطه بذلك علما، والى قناصل الدول يؤكد لهم أن الغاية من جمهرة الجند داخلية محضة لطلب أمور عادلة فليكونوا مطمئنين على أرواح رعاياهم وأموالهم وأعراضهم».

«أرسل الجناب الخديو رضا باشا ليسأل عرابى عن السبب فى اجتماع العساكر بساحة عابدين، فأجاب عرابى أن للجند مطالب يريد انفاذها، فجآء رضا باشا وعرض الأمر على الخديو فأرسل طه باشا ليطلب الى عرابى أن يسكن ويرجع عما عزم عليه ويحذره العاقبة، فكان الوقت قد

حضر، فقام الألاى بحضرة طه باشا وقام معه ألاى الطبحية، أما الجناب الخديو فقد توجه بنفسه إلى ألاى الحرس «الألاى الأول» وأخذ ينصح الضباط ويذكرهم بأنهم أبناؤه وحرسه الخاص وينذرهم بعواقب مثل هذه العصبية، عصبية الجاهلية، فصاحوا جميعا: نحن جميعا فداء لولى نعمتنا، فعند ذلك أمرجنا به أمير الألاى أن يوزع العساكر داخل السراى وأن يقيمهم على نوافذها ليقوها من الهاجمين عليها. ثم استصحب رياض باشا وذهب إلى القلعة، وعند وصوله طلب الضباط وسألهم عن الحامل لهم على مخالفة الأمر الصادر إليهم، فأنكروا، فالتفت إلى أمير الألاى ابراهيم بيك حيدر يستفهم منه فأجابه أن «فوده بيك حسن» هو الذى أغرى الضباط بالمخالفة ومنعهم من التسليم وكان فوده بيك على القرب من رياض باشا فجذبه من طوقه وقال له: مثلك يقاوم أوامر الحكومة ويمنع من تنفيذها؟»

«وبينما هم فى الكلام إذ ضرب أحد البروجية نوبة «سنكى ديك» فأسرعت العساكر إلى تركيب الحراب على البنادق وأحاطوا بالخديو ورئيس النظار وصاحوا «أطلق البكباشى» فأمر الخديو بتركه وأخذ يخاطبهم: ألست خديويكم؟ ألست ولى أمركم؟ هل تأخر لأحد منكم راتب؟ أو نقصت له مؤنة؟ أو حرم من حقه فى ملبس أو نحوه؟ فلم جهرتهم بالعصيان وخالفتم أوامرى؟»

«فأجابوه بقولهم نحن جميعا مطيعون لأوامر ولى نعمتنا ولكن قيل لنا أن الغاية من الأمر بسفرنا هو اغراقنا فى البحر عند مرورنا فوق كوبرى كفر الزيات، فأسف الخديو لذلك وانصرف على أن يذهب إلى العباسية لمنع عرابى من المجىء إلى ميدان عابدين فبلغه وهو فى الطريق أن الألاى قد سبق إلى ساحة السراى فرجّع هو ورياض باشا فوجد الساحة غاصة بالعساكر من كل فريق، فدخلا من الباب الشرقى».

«وأول من حضر من الألايات ألاى السوارى تحت قيادة أحمد عبد الغفار ثم ألاى عرابى وألاى الطوبجية تحت قيادة اسماعيل بك صبرى ثم الألاى الثانى تحت قيادة البكباشية لأن أميره محمد بيك شوقى أبى أن يحضر معه، ثم ألاى عبد العال وهو ألاى السودان تحت قيادة أمير الألاى، وفرقة

المستحفظين يقودها ابراهيم بيك فوزى واجتمعوا جميعا فى مبتدأ الساعة التاسعة حسبما كتب عرابى».

«وصل عرابى يقود ألايه ومعه آلاى الطوبجية تتخلل بطاريات مدافعه فرق العساكر وهو ممتط جواده شاهرا سيفه ويحيط به عشرة من ضباطه شاهرى السيوف كحرس له، أنبأه بعض الضباط أن على فهمى قد أدخل عساكره فى السراى للدفاع عنها إذا دعت الحال وقد ادخر كمية وافرة مما يحتاج إليه لذلك، فاستدعى على فهمى واشتد فى توبيخه ورماه بالخيانة فاعتذر بأنه فعل ما فعل مداراة منه للخديو وتدبيرا لحيلة سياسية ثم أمر بالنداء فى الألاى بالنزول فنزلت العساكر جميعا واصطفت فى الساحة مع بقية الجنود».

«كانت قناصل الدول ومستشارو الحكومة ونظارها قد حضروا إلى سراى عابدين وعند ما رأى عرابى أن الجيش قد اجتمع بأكمله ما عدا آلاى القلعة فإنه بقى فى مقره بأمره - أمر بإقامة الخفر على أبواب السراى لمنع من يدخل إليها ومن يخرج منها».

«أشرف الجناب الخديوى على العساكر وأمر بإحضار عرابى فحضر راكبا جواده سالا سيفه محفوظا بضباط السوارى يحرسونه، فأمره باغماد سيفه والنزول إلى الأرض وإبعاد الضباط عنه ففعل ثم أخذ يخاطبه، ألم أك سيدك ومولاك؟ ألست الذى رقيتك إلى رتبة أمير آلاى، فيجيبه عرابى نعم.. ثم سأله: لم حضرت بالجند إلى هنا؟ فقال: لطلبات عادلة، وهى عزل وزارة رياض باشا، وتشكيل مجلس النواب، وزيادة عدد الجيش والتصديق على قانون العسكرية الجديد، وعزل شيخ الإسلام «الشيخ العباسى» فقال الخديو كل هذه المطالب ليس من شأن الجند أن يطلبها فسكت عرابى ولم يجب بشىء».

«ثم أشار القناصل على الخديو بالرجوع إلى داخل السراى خوفا مما عساه يعقب هذه المخاطبة مما لا يحمد، ثم تولى المستر كونفى المستشار الانجليزى فى المراقبة الثنائية وقنصلا انجلترا والنمسا أمر المخابرة مع عرابى فى مطالبه ومطالب الجند، فقال المستر مالت قنصل انجلترا لعرابى، أن عزل الوزارة من خصائص الخديو وطلب تشكيل مجلس النواب من حقوق

الأمة لا الجند، ولا ضرورة لزيادة عدد الجيش فإن البلاد آمنة مطمئنة وليس فى الأمم من يريدها بسوء، أما التصديق على قانون العسكرية فسيكون بعد اطلاع الوزراء عليه، وأما عزل شيخ الإسلام فقد يحصل بعد بيان أسبابه».

«أجاب عرابى: يا حضرة القنصل إن ما يتعلق بالأهالى من هذه المطالب لم أنهض إليه إلا بالنيابة عنهم، فقد أقامونى نائبا عنهم فى طلبه وتنفيذه بواسطة هذه العساكر الذين هم أبناؤهم وأخوتهم. وأعلم اننا لا نفارق هذا المكان ما لم تنفذ جميع تلك الرغائب التى أبديتها».

«قال القنصل: تصرح بأنك تريد الوصول إلى ما تطلب بالقوة، وهذه هى الهمجية التى تجر الخطر إلى بلادك، وربما تفضى إلى ضياعها، فقال عرابى: وكيف ذلك؟ ومن الذى يعارضنا فى شئون داخليتنا؟ ولئن تحرش لذلك أحد فاعلم أننا نقاومه بكل ما لدينا من الحول والقوة ولو أدى ذلك إلى فنائنا عن آخرنا، فقال مالت: وأين تلك القوة التى تكافح بها وتناضل عن بلادك؟ فقال: أستطيع أن أحشد فى زمن قصير مليونا من العساكر كلهم يسمعون قولى ويتبعون إشارتى، فان كانت دولة انكلترا هى التى تستعد لخصامنا فلتكن على حذر من ثورة عامة فى الهند تقضى على حياتها فيه، فقال القنصل: وماذا تفعل لو لم يجب على طلبك؟ فقال: كلمة واحدة أقولها؟ فأجاب مالت: ما هى؟ فقال عرابى: أقولها عند اليأس والقنوط».

«ثم انقطعت المخابرات بين الجناب الخديو وعرابى مدة ثلاث ساعات استولى فيها الضعف على جميع من كانوا داخل السراى من نظار وقناصل وغيرهم وظنوا أن من وراء هذا الاجتماع نيرانا تلتهب وحربا تنتشب، ولذلك أفضت مداولاتهم الى التسليم والرضا بإجابة عرابى إلى ما يطلب لكن على شريطة التدريج فى التنفيذ، وأرسلوا إليه يخبرونه بذلك فقبل ما عرض عليه واشترط أن تعزل الوزارة قبل انصراف العساكر فجاءه الخبر فى الحال بقبول استعفائها، فطلب أن يعين شريف باشا رئيساً للنظار، ومحمود سامى باشا ناظرا للجهادية فقبل شرطه وانصرف العساكر».

«اسـتـدعى شـريف باشـا لقـبـول رئاسـة النظار فـتـردد فى ذلك أيامـا لإحساسـه بالضعف عن القيام بأعباء الوظيفة اذا استمر الجند على مناوأته للحكومـة واستبداده بالسلطة فيما يطلب واستعداده عند الإبطاء فى موافاة مطلبه إلى إحاطة كرسى الحاكم بالسـلاح وتهديده بالوثبة عليه اذا لم يسارع فى سوق رغائبـه إليه، ولظنه أن دولتى فرنسا وانكلترا ربما كانتا معضدتين لرياض باشـا ويهمهما أن يبقى فى مسند الوزارة، فاذا تولا غيره خشى أن تنصبا له المكايد وتقيما له العثرات فى سيره، ولسابق علمه بالمخابرات التى كانت بين الضباط وبين الآستانة وّبما فى بعضها من الثناء عليه وأنه ورياض باشا على طرفى نقيض، فرياض باشا هو ممثل النفوذ الأجنبى فى مصر، وشريف باشا هو الإمام المنتظر لتخليص مصر من ذلك النفوذ وإعلاء الكلمة العثمانية فيها، ويخشى أن تظهر الحوادث عجزه عما يؤمل فيه».

«كان شريف باشا رحمه الله من أقوى عوالم هذه النهضة التى انقلبت إلى فتنة، كان من القائلين بأن النفوذ الأجنبى قد بلغ حداً لم يكن يمكن أن يبلغه لو لم يتساهل رياض باشا بالتسليم للأجانب فى كل ما يطلبون، كان شريف باشا يقنع جلساءه بأنه اذا ملك فيها أوقف الأجانب عند حدودهم وسار بالوطن شوطا عظيما فى مجده، كان هو ورؤساء الفتنة يتراسلون ويتواعدون، ولهذا طلبوه رئيسا للنظار ولو عرض عليهم سواه لما قبلوه، كان وجه الرئاسة يهش له على بعد، وجمالها يخدعه وهو منها على موعد حتى إذا دنا منها ألفاها شكسة شرسة».

● ويقول الشيخ محمد رشيد رضا فى ختام هذا الجزء:

انتهى ما لخصناه مما كتبه الأستاذ الإمام من كتاب «الثورة العرابية» الذى لم يتمه وها نحن نثبت ما كتبه المحامى الانجليزى الشهير «المستر برودلى M.Broadley» فى كتابه «كيف كان دفاعنا عن عرابى «How We defended Orabi» فى ترجمة الأستاذ، وهو نفسه الذى تولى الدفاع عن الاستاذ الإمام، وفيما كتبه ترجمة للائحة التى كتبها الأستاذ الإمام دفاعاً عن نفسه.

الفصل الخامس

العالم.. الصحفي.. المحرر

العالم.. الصحفى.. المحرر

بقلم :
الإمام الشيخ محمد عبده

ربما كان الشيخ محمد عبده أعظم الناس موهبة بين الرجال والوطنيين المصريين، وقد أثر فى الطبقة المهذبة من أهل وطنه تأثيراً ظاهراً لأنه كان كاتباً لطيفا، وعالما بالعربية ضليعاً، وخطيبا فصيحا يعمل فى القلوب.

ولاشك أنه ساعد من قبل كثيرا على جعل الرأى العام عاملا حقيقيا فى الترقى المصرى، ولم يكن متعصبا ذا خطر أو متهوسا فى الدين، بل هو من المسلمين القائلين بالتوسع الشديد، وكانت أفكاره السياسية تنطبق على الرأى الجمهورى الحر، وكان رئيساً نشيطا من رؤساء الرازة ووطنيته التى لا شائبة للأنانية فيها، هى التى منعت بعض رفقائه المتحمسين من استيائهم من خطته الدينية الشاذة استياءاً علنيا، حتى أن عرابى باشا صديقه قال مرة «إن رأس الشيخ عبده أصلح للقبعة منه للعمامة».



الإمام الشيخ محمد عبده

وتعد أخلاق الشيخ محمد عبده كلها مثلا لقوة العقلية العظيمة التى تلبدت عليها سحب من ضعف البنية والأخلاق مدة من الزمن، والظاهر أن عقله وجسمانه معاً سحقا سحقا، لا أمل بشفائه بعد انفعاله الشديد الناشىء عن الآمال الضائعة وغصص القنوط❖، وقد سب وأهين فى السجن مثل رفقائه لكنه يختلف عنهم بحيث أن اخباره عما أصابه من المحن ضعيفة مبهمة اذا قيست بأخبارهم، والظاهر أنه لم يتخلص من تأثير الصدمة الناشئة عن توقيفه إلا فى أواخر أيامه فى السجن، حينئذ أخذ يعاملنا بتلك الثقة التى سعينا لا ستحقاقها.. وكاد يتعذر علينا فى بعض الأحيان أن نصدق أن الشيخ محمد عبده هو كاتب تلك الإيضاحات البراقة الدالة على غايات الوطنيين المصريين التى كان قد أرسلها إلى المستر بلنت قبل ذلك بستة أشهر فقط. وكذلك يتعذر على البريطانيين وهم فى بلادهم أن يفقهوا الانحطاط الأخلاقى التام الذى يفعله الفشل مع التهديد والتعذيب فى نفوس المصريين حتى فى أقواهم عقلا وأجرئهم أدبا (١)، ولاشك فى أن مرتب الزيارات الليلية المنزلية للمعتقلين السياسيين بعد نقلهم للسجن المصرى كان شاعرا بمقامها وشأنها فى نظر الشرقيين وعارفا قدرها من حيث النجاح فى المرافعة القادمة إلا أن هذه الزيارات أدت إلى نتيجة مضادة كل المضادة للغاية التى وضعت لها.

❖ أخطأ هذا المحامى الانجليزى فى قوله: أن الشيخ قد سحق جسمه وعقله من غصص القنوط، فقد دلت قصديته التى نظمها فى السجن ضد ما زعمه هذا المحامى وهو أن المصائب لم تذهب بأمله ولم تزد أخلاقه إلا كمالا ثم ثبت هذه بسيرته بعد السجن فى منفاه وبعد عودته إلى وطنه، فى سائر عمره، ولكن أكثر الافرنج لا يستطيعون أن يقدروا الشرقى الكامل حق قدره

(١) يقول الشيخ محمد رشيد رضا: إن هذا المحامى قد تعذر عليه وهو فى مصر، ما زعم أنه تعذر على قومه فى بلادهم، بل كان أجهل منهم فيما إدعاه من فقه ما أثره التهديد والتعذيب فى نفس الإمام الشيخ محمد عبده.. فكان جهله مركبا لأنه يحسبه علما وفقها، وكذلك شأنه فى كثير من القضايا التى استنبطها من تقريره كما يعلم من مقابلتها بما فى هذا الجزء من تاريخه.

كتب الشيخ محمد عبده مذكرة فى الدفاع عن نفسه بلغة عربية فصحى كانت باعتبارها عملا أدبيا ايضاحا عظيما، نوّر أفكار ترجماننا «المسترسنتلانا» لكنى أراها ويا للأسف قريبة جدا من نوع الاعتذار(٢) والنقطة التى يستند عليها إستناد النبهاء الحكماء هى من حيث الشريعة والصناعة تكاد تكل دونها الأبصار، وكان سلوكه فى رواية الثورة المصرية من أولها إلى آخرها سلوك التابع الطائع المخلص(٢) وأصبح قبل أن يرفع الستار محررا للجريدة الرسمية، وأظهر فى هذه الوظيفة من أولها إلى آخرها الطاعة لأوامر من تقدموا عليه بالحق الواحد تلو الآخر(٢) ولا تصير أخباره لذيذة إلا حينما تتصل بآرائه وتجاربه الخاصة، أما ما يختص بقيامه بواجباته العامة فإن المسوغ الذى استند عليه هو طاعته التامة للعمدة من ذوى الاقتدار، **ويتحول محور دفاعه عن سلوكه الوطنى إلى قضية منطقية مبتكرة مقنعة كما يأتى:**

«إن وطنيتى ووطنية سلطان باشا واحدة وكلانا عمل وفكر تفكير الرجل الواحد، وقد أصبح سلطان باشا ذا لقب «سير» وحصل أيضا على مكافأة قدرها عشرة آلاف ليرة، لذلك وجب أن تكون وطنيته حسنة وأهلا للثناء عليها، إذن يكون سلوكنا كلينا أهلا للثناء عليه، فلماذا يا ترى أزج فى السجن منتظرا محاكمتى على وطنيتى بينما يصبح سلطان باشا حائزا رتبة الشرف الإنجليزية وحاصلا على مكافأة قدرها عشرة آلاف ليرة(٣)».

«إن ما ذكره الشيخ من شدة الارتباط بين سلطان باشا وعرابى باشا فصل مهم فى تاريخ الحركة الوطنية، وقد كانت آراؤه إلى يوم عصيان عابدين مخالفة كل المخالفة لآراء عرابى المعتبرة عنده مثلا لآراء عسكرية صرفة، ويقول إن الاجتماعات العامة المتنوعة التى عقدت بعد ذلك مباشرة للحصول على دستور برآسة سلطان باشا حولت فى الحال مقام عرابى من قائد جيش إلى قائد مصر، وإليك ما قاله الشيخ: «وحينئذ أصبحت

---

(٢) قضايا باطلة، وقد علم مما تقدم أنه كان سيطر على الحكومة كلها حتى رؤسائه فيها.

(٣) فى مذكرات الإمام الشيخ محمد عبده الخاصة بحوادث الثورة بيان لسبب ما ناله سلطان باشا من اللقب والمكافأة وهو خيانته لوطنه وخدمته السرية للإنجليز كما سيأتى، ولا ندرى أكان فى مذكرته التى قدمها للمحامى شئ من ذلك كتمه المحامى أم لا؟

وسلطان باشا والبلاد المصرية قاطبة من أتباع أحمد عرابى إلى آخره»

وهاك ما كتبه الشيخ فى حوادث الحرب:

حوادث الحرب

«هل يقدر أحد أن يشك فى كون جهادنا وطنيا صرفا بعد أن آزره رجال من جميع الأجناس والأديان فكان يتألب المسلمون والأقباط والإسرائيليون لنجدته بحماس غريب وبكل ما أوتوه من حول وقوة لاعتقادهم أنها حرب بين المصريين والإنجليز».

«إنى لم أعلم أنه قيل أن الخديو كان يحارب جيشه، بل المعروف عند الناس أن الحرب وقعت برضاه وبأمره . وقد رسخ هذا الإعتقاد عند ما علم الناس أنه أقال عرابى من منصبه لأنه لم يمتثل أمره بالاستمرار على المقاومة وتحصين بعض المراكز اتقاءا لنزول غزاة من البحر».

«وفى أثناء ذلك طفق العلماء يقرءون البخارى فى الأزهر ومسجد سيدنا الحسين ويدعون بالنصر لعساكر عرابى والهزيمة للإنجليز . وكان إمام الخديو الشيخ الصالح العالم الإبيارى فى طليعة الملتهبين غيرة ووطنية، فنشر قصيدة إبراهيم دريد فى غارة التتار على بغداد فى أيام الخليفة العباسى المعتصم، وهى عبارة عن دعاء وابتهال وقد أضاف إليها أبياتا من نظمه، فكان من الناس من يقرؤها ويتلوها بعد قراءة البخارى، وقد طلب إلى أن أنشرها فى الجريدة «الوقائع» حتى يطلع عليها الجيش أيضا . وقد كان عمله هذا مشروعا إذ إن المعروف عند الناس أن هذه الحرب حرب إسلامية ضد الكفار . وعند رجوع الخديو إلى مصر بعد انتهاء الحرب خطب هذا الشيخ حاثا الناس على طاعته».

«وقد تبرع الأمراء والأعيان والعلماء وسائر أفراد الحاشية الخديوية - حتى النساء - بالخيل والحبوب والنقود والميرة اللازمة للجيش . وأظهر المديرون والموظفون على اختلاف مراتبهم والكتبة، غيرة وحمية فى جمع الميرة المطلوبة وحشر المتطوعة للجيش ولسائر الأشغال العسكرية».

«وقد أرسل عثمان باشا غالب مدير أسيوط فى ذلك الزمن ورئيس شرطة «بوليس» العاصمة الآن، بضعة ألوف من أرادب الحبوب من مديريته ماعدا الخيول وغيرها من الحيوانات وقام بأمر التجنيد بهمة ونشاط استحق عليهما ثناء وزارة الحربية. وهاهو ذا كما قلنا آنفا «رئيس بوليس العاصمة» بأمر الخديو».

«وقد بذل من أذكر اسماءهم فيما يلى أموالهم بسخاء فى سبيل الحرب إما مباشرة وإما بواسطة دوائرهم وهم:

البرنس جميلة: أخت الخديوى وحرم المرحوم سعيد باشا

خيرى باشا: الأمين الأول

على باشا مبارك: وزير الاشغال العمومية الآن

يوسف باشا جددى: أحد أعضاء لجنة التموين

محمود بك: كاتب «أوأمين» أسرار الخديو

على حيدر باشا: وزير المالية «الفعلى»

«وأسماء هؤلاء وردت فى أعداد الجريدة الرسمية. وإذا كانت سجلات المديريات لاتزال موجودة فيمكن استقراء ما تبرع به كل واحد منهم بالتحديد».

«وقد رأيت الناس من فلاحين وبدو ذاهبين إلى الحرب برضاها واختيارهم متشوقين لمقاتلة الإنجليز، وقد شمل هذا الحماس الأقباط، وكان يشجعهم على ذلك رؤساؤهم، وكان شبان القاهرة يمرحون فى المدينة ليلا يتغنون بمديح عرابى وفى أى اجتماع ذكرت فيه الحرب كان الناس يدعون الله طالبين النصر لجيوشنا».

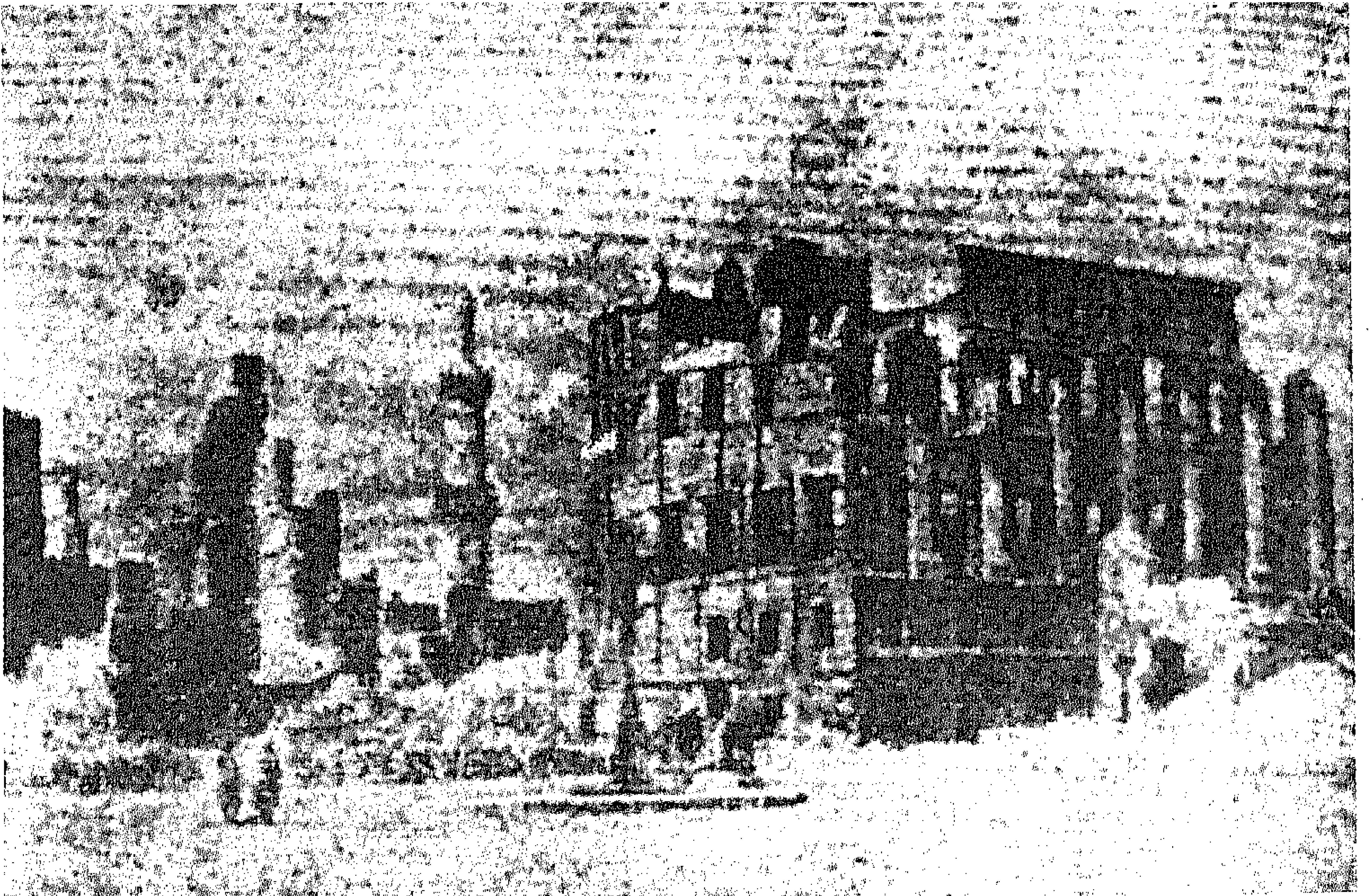
مذكرات الإمام الشيخ محمد عبده

فى حوادث الإسكندرية

قال المحامى:

وكتب الشيخ محمد عبده بعد حين مذكرة فى حوادث الإسكندرية التى حدثت فى الحادى عشر من يونيو «١٨٨٢» كانت هى وعبارتان أو ثلاث على

نمطها سببا لامتعاض شديد، ربما لا يرجح تحقيق الحق وابرازه، لكن ثمة مسألة فى البحث ناصعة لا ريب فيها، وهى أن مثل هذه المصيبة التى نزلت كانت مخالفة كل المخالفة لمصالح عرابى المهمة، وتكاد تكون بالنسبة إليه فشلا سياسيا وخذلانا قوميا تاما، وإذا كانت قد تمت بإشارته فإنها تعد حينئذ انتحارا أدبيا حدث عمدا، على أن نتائج هذه الحادثة من الجهة الأخرى تكون ربحا عظيما لأعدائه، ويتخذ هذا الموضوع شكلا مختلفا جدا باختلاف النظر إليه من الوجهتين السياسيتين المتباينتين ـ السياسة الغربية والسياسة الشرقية، فالأولى تعتبر العمل السائق إلى المذابح بل المحرك على تجمهر الغوغاء جناية لا تغتفر على حين تعتبره الثانية جائزا، أو ربما حسبته «نقلة» فى الشطرنج السياسى حاذقة، وبعد ما أصبح عرابى الحارس المسئول عن الأمن العام لا باختيار مصر وحدها بل برضا أوروبا كلها، رأى الشيخ عبده بصورة واضحة أن سياسة الخديو ورجال قصره فى سلب الثقة به هى سياسة موت أو حياة لهم، وأعتقد أنهم لم يحجموا عن التوسل بهذه الوسيلة المشتبه فيها كثيرا للقضاء على خصمهم المفرط فى النجاح والقوة. ويوجد رجال آخرون ذهبوا هذا المذهب أيضا وصرحوا به.



آثار التدمير في منطقة مسجد ابراهيم باشا يوم ضرب الاسكندرية

● **وإلى القراء ما قاله الشيخ محمد عبده:**

«لما وقع الخلاف بين الخديو ووزارة محمود سامى باشا شاع فى القاهرة أن الخديو سيسعى بواسطة بعض أتباعه ليحدث شغبا فى نفس القاهرة إلى حد أن الوزارة احتاطت لمنع الفتنة وبالغت فى ذلك طول مدة قيامها بأعباء الأمر، واستدعى الخديو إبراهيم بك توفيق مدير البحيرة وطلب إليه أن يجمع مشايخ قبائل البدو ويحضرهم إليه. ففعل وبالغ الخديو فى حسن استقبالهم وأكثر لهم من المواعيد ثم أوعز إلى المدير أن يأمرهم بحشد ٣٠٠٠ بدوى وباحضارهم إلى العاصمة بطريق الجيزة ليحدثوا فتنة فى البلد لعدم وجود النظام بينهم، ولكنه تعذر على المشايخ حشد العدد المطلوب من البدو فحذف هؤلاء من العسكر. وما فشل مسعاه هذا أرسل تلغرافا رمزيا «شفره» إلى محافظ الإسكندرية هذا نصه:

«قد ضمن عرابى أمر الأمن العام ونشر ذلك فى الصحف وجعل نفسه مسئولا لدى القناصل وإذا نجح فى ضمانه هذا وثقت به الدول وصغر شأننا. أما الآن وأساطيل الدول فى مياه الإسكندرية وعقول الناس متهيجة فوقوع الخلاف بين الأوروبيين وغيرهم أمر محتمل فاختر لنفسك إما خدمة عرابى فى ضمانه أو خدماتنا».

عمر لطفى.. وراء الفتنة ومذبحة الإسكندرية

«وفى يوم هذه الحادثة توجهت إلى السراى فرأيت موظفيها فى جذل عظيم مما حدث وكانوا يبالغون فى رواية الأخبار ويضحكون من عهد عرابى بالمحافظة على الأمن العام. ومن المعلوم أن موظفى السراى لا يقولون إلا ما يسر الخديو فإذا كانت الأخبار سارة تكلموا وضحكوا، وإلا تظاهروا بالحزن والكآبة جهدهم».



عمر لطفي باشا

«وبعد ١٢ يوما من هذا التاريخ كنت فى الإسكندرية فسمعت الناس أجمع يقولون إن المحافظ «عمر لطفى» سمح بانتشار الفتنة إلى هذا الحد، لأنه كان مقيما فى البلد ولم يصدر أمرا بتوقيفها ولم يذهب إلى مكان الفتنة إلا بعد مضى وقت، ولم يطلب مساعدة العسكر النظامى مع أنهم كانوا على مقربة منه - وأجمع الناس على أن عمله هذا موعز به من الخديو - وعلمنا أيضا أنه لما كانت المذبحة على وشك النهاية وكان المحافظ يتمشى من مكان إلى آخر، وإذا بأوروبى فى شباك وفى يده مسدس فقال أحد البدو: أأرمى هذا الرجل يا باشا، فقال له «ارمه» فأطلق البدوى عليه الرصاص فقتله - وكثير من المنهوبات دخلت بيته وبيوت أقربائه فى ذلك اليوم الأسود».

«وقد سمعت أيضا أنه حرض بعض الناس أثناء المذبحة وشجعهم على ذلك وأنه أشار إلى البوليس «المستحفظين» أن لا يتداخلوا قائلا «دعوا أبناء الكلاب يموتون».

«ولم تسأل اللجنة التى تألفت للنظر فى أسباب هذه الفتنة، عمر لطفى، عن شىء مما حدث مطلقا، بل كان الخديو أوعز إليه بأن يستعفى بدعوى المرض».

«كان عمر لطفى محافظ الإسكندرية زمن الفتنة وقد أهمل أمر القيام بحفظ الأمن العام على أنه هو الشخص الوحيد المسئول عنه، هذا إذا لم نقل أنه هو المحرض عليها - فإذا كان فعل ما فعل إطاعة لأمر عرابى كما أدعى مع أن وظيفته تابعا رأسا إلى الخديو - لأن الخديو أصدر أمرا مخصوصا صرح فيه أنه بعد استعفاء وزارة سامى أفضت أمور الداخلية وشئونها إلى السراى - فكيف نعلل تعيينه «أى عمر لطفى باشا» وزيرا للحربية جزاء لطاعته لعرابى وعصيانه لسيده الخديو، وإذا كان الأمر اهمالا منه فكيف يصح مع اهماله وعدم كفاءته تعيينه وزيرا للحربية، ولماذا لم يسئل سؤالا واحدا عما جرى مع أنه كان يجب أن يكون أول من يسئل».

«لا ريب فى أن استقراء سير هذه الحوادث يظهر أتم الظهور أن الخديو بالاشتراك مع عمر لطفى كان سبب هذه الفتنة - أى مذبحة الإسكندرية».

● قال المحامى :

هذا وأن الحذر والإحجام الباديين على الشيخ دائما يزيدان فى قيمة تصريحه، وهى قيمة لا أكاد أضعها على تصريح يقوله أى رجل من درجته، وما لم يحدث انقلاب جوهرى فى الحالة الإجتماعية المصرية فإن حل لغز الحادى عشر من يوليو يبقى مستحيلا، وكل التصورات التى تحوم حواليه تبقى أبدا من باب التخمين والترجيح، على أنه يصعب علينا أن نقول أن رجلا كالشيخ عبده وضع لكتابته التى شكا فيها من البصق عليه فى الحبس مقدمة معتبرة أهداها له والخديو، يذهب هذا المذهب النظرى ما لم يكن مطلعا أشد الإطلاع على المعميات فى دسيسة «السراى المصرية» وإننى أشهد شهادة عرفتها بنفسى أن جماعة آخرين أثبتوا هذه الرواية ولم يكن لهم اتصال ممكن بالشيخ.

وفى مساء اليوم الأول من يونيو سنة ١٨٨٣ ودعت فى الظلام محمد عبده الذى ذهب أخيرا منفيا عن القطر المصرى مدة ثلاثة سنوات وعلمت منذ ذلك الحين يعيش عيش الفقر والشقاء فى بيروت «هذا غير صحيح كما يعلم من التاريخ».

وإذا جاز لمصر أن تسير منفردة أو يكون لها بداءة خير يوما من الأيام فإنها لا يسهل عليها الاستغناء عن مثل الشيخ محمد عبده العالم المحرر.

● وهنا يقول الشيخ محمد رشيد رضا:

هذا ما كتبه محامى العرابيين الإنجليزى فى كتابه وكنا نود أن نقف على تقرير الأستاذ الامام الذى ذكره المحامى بنصه العربى الأصلى، ولكننا نفهم من هذه الترجمة عين ما فهمه المحامى الإنجليزى لدقة ترجمته، ويمكننا أن نجزم بأنه أخطا فيما فهمه من التقرير من أنه أريد به الإعتذار لما اعترى كاتبه من ضعف النفس وشدة اليأس، ليس الكلام اعتذارا عن نفسه ولا تنصلا من عمل عمله وندم عليه، وإنما هو إقامة حجج وبراهين على أن مؤاخذته وحبسه مع زعماء الثورة ومحاولة الإنتقام منه، إنما هى اغراء من الخديو توفيق باشا له لأنه يكرهه كراهة شخصية من حيث هو خليفة

السيد جمال الدين فى نشر الأفكار الحرة ودعوة ترقى الأمة فى مصر، وكان الخديو يعلم أنه كان خصما لعرابى وحزبه العسكرى إلى أن أصبح عرابى صاحب الأمر والنهى وقائد الجيش الوطنى المدافع للأجانب عن البلاد، وفى هذه الحال لم يكن له أن يقاوم عرابى إن استطاع وأنى يستطيع!

إذا كان هذا الرجل قد لز مع زعماء الثورة لأنه منهم، فلماذا ترك سلطان باشا؟ بل لماذا كان أقرب المقربين إلى الخديو والإنجليز جميعا وهو الزعيم الأكبر للثورة بعد عرابى أو معه أو قبله؟ هذه حجة بالغة أراد الاستاذ أن يلقنها للمحامى البارع، فلبسها مقلوبة كما يلبس الفرو، وكأنه توهم عن فهم أو عن غير فهم، أن الشيخ اعتذر بها عن نفسه، وأحب أن يكون من الخديو والإنجليز فى مكان سلطان باشا، ولو أنه كاشف المحامى بكل ما يعلمه من خيانة سلطان باشا لما كان لذلك التوهم إلى عقله من سبيل.

خيانة سلطان باشا لمصر

• يقول الشيخ محمد رشيد رضا:

كان الأستاذ الإمام يعتقد أن أكبر المصريين خيانة لوطنهم سلطان باشا، ويليه فى الخيانة عمر لطفى باشا محافظ الإسكندرية فى ذلك العهد، سلطان باشا كان موقد نار الفتنة ومحضاء نارها، حتى إذا اشتعلت نار الحرب بين أهل وطنه بتحريضه، وبين الإنجليز، نكص على عقبيه وكان أكبر مساعد للإنجليز على قومه بالرشوة مع أنه من أكبر الاغنياء، وأما عمر باشا فهو الذى مهد السبيل لمذبحة الإسكندرية ونهبها ليقيم الأجانب الحجة على عجز عرابى فى حفظ الأمن، كما جاء فى آخر ما نقله المحامى الإنجليزى عن الأستاذ آنفا وأقره عليه وعلى سببه، وهو أنه تنفيذ لإرادة السراى وسيأتى بيان ذلك نقلا عن مذكرات الأستاذ اليومية المحفوظة عندنا بخطه وفيه النصوص الصريحة بتعمده لذلك، وبأنه كان يمكنه أن يمنع الشر، ويحفظ الأمن، وبأنه طولب بذلك فامتنع بل كان هو الذى طلب من قائد الأسطول الإنجليزى التدخل بقوته العسكرية، وهو إنما كان عبدا مأمورا، لذلك كان سلطان باشا شرا منه لأنه كان منافقا مذبذبا.

والذى زاد فى استياء الأستاذ من أعمال سلطان باشا غير الخيانة، أنها كانت على عكس أعماله هو، فالأستاذ كان ينهى عن الثورة ويسعى لمنعها إلى أن نزل الجيش الأجنبى فى البلاد محاربا لأهلها، حينئذ صار عونا لهم على قتال عدوهم، وسلطان كان داعية الثورة وزعيمها وعدو أمير البلاد المحرض على قتله وإتهامه ببيع البلاد إلى الأجانب إلى أن جاء الإحتلال الأجنبى فصار نصيرا له وعدوا لوطنه وخائنا يشترى به ثمنا قليلا.

الفصل السادس

من مذكرات الإمام الشيخ محمد عبده في الثورة العرابية

من مذكرات الإمام الشيخ محمد عبده فى الثورة العرابية

بقلم :
الإمام الشيخ محمد عبده


الإمام الشيخ محمد عبده

فى كتابه تاريخ «الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده» يقول الشيخ محمد رشيد رضا إن الإمام الشيخ محمد عبده كان لديه معلومات واسعة لم يتيسر لغيره الإطلاع عليها، إذ كان على امتيازه بالذكاء والفطنة، مديراً للمطبوعات، ومفوضاً من الحكومة بالاطلاع على كل شىء.

وكان لديه مذكرات عن الأحداث والوقائع، يمدها إذا شاء أن يكتب، بما يحفظه حفظاً كما يرى القارئ مما كتبه فى أسباب الثورة العرابية.

● **يقول الشيخ محمد رشيد رضا:**

اطلعت على دفتر جيب للإمام الشيخ محمد عبده بخطه من هذه المذكرات، كان يكون من مادته لو أتم كتابه هذا، فرأيت أن أثبته فى هذا التاريخ، والظاهر أنه كان تابعاً لدفتر قبله، وفى أوله تقديم وتأخير فى التاريخ، ووجدت ورقة مفردة من هذه المذكرات، سابقة التاريخ على ما فى دفتر الجيب المذكور، مبدوءة بما يدل على أنها تابعة لشىء قبلها.. وهذا نصها كما كان مكتوباً بخطه.

وهذا بيانها

سلطان باشا

«فهذا الهمام الوطنى الذى أوقد نار الفتنة فى البلاد، وجمع لها وقودها وحطبها حتى امتد لهبها وعم جميع الأنحاء، ثم هرب من طريقها عند ما خاف أن يلدغه لسان لهبها، جاء فى آخر الأمر نائباً عن الحضرة الخديوية فى حبس كثير من الناس ولم يفرق بين الأبرياء وغيرهم.. نال المكافأة * من الجناب العالى بالإحسان جزاء إيقاد الفتنة ثم الهرب منها، ليتعلم كل مصرى هذه الطريقة المفيدة لكسب الشرف ونيل الإحسان أولاً وآخراً.

إلا أن العدل الإلهى سيقوم بمجازاته حق المجازاة على ما صدر منه أول الأمر وآخره «يوم يعض الظالم ** على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً . ياو ويلتى ليتنى لم أتخذ فلاناً خليلاً . لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطان للإنسان خذولاً».

---

* أنعم الخديو توفيق باشا على سلطان باشا بعد الاحتلال بعشرة آلاف جنيه من المالية جزاء إخلاصه، كما فى كتاب «مصر المصريين»، وهل هذه هى المكافأة التى عناها الأستاذ أم غيرها؟ فهناك مكافآت.

** الأستاذ لم يكتب تتمة الآيات هنا إلخ

«وكما أن العدل «الإلهى» سيأخذه بما قدم من عمله، أظن أن محاكم العدل والإنسانية تبين له خطأه فى زعزعة راحة البلاد المصرية فى أول الأمر».

«فى رمضان سنة ١٢٩٨ دعا شريعى «باشا» للتوجه معه إلى الخديو لطلب مجلس النواب، فامتنع ونصحه بأن لا يسعى فى ذلك (حاكى الحكاية سليمان أباظة وكان فيمن دعاهم لذلك).

«قال سلطان فى بيت على باشا مبارك بحضورى: إن مصر يمكنها أن تجمع ثلاثمائة ألف عسكرى فتحارب أى دولة كانت.. وأجابه على «باشا» بعدم كفاية المالية، وانتهى الأمر بقوله «نسمع المغنى أحسن».

«على باشا رأى الضباط يهربون من أودة «أى حجرة» إلى أودة فى بيت سلطان، وحكى لى الحكاية ثلاثة مرات».

«جاء شواربى «باشا» عند محمود سامى «باشا» وهو ناظر الداخلية وقال إن جميع النواب متكدرون من تعيين فريد باشا مأموراً للدائرة البلدية.. تكدرت النواب جداً لأنى أشرت بانتخاب سليمان باشا أباظة وكيلا للداخلية وذكر لى ذلك أحمد محمود فتبت على يديه إلخ».

تعدى مجلس النواب ما ضرب له من الحد، وتذاكر فى إبطال مصاريف الإبراهيمية، مع أنها داخلة فى إيراد مديرية أسيوط المرهونة للدين الموحد، وردت المالية القرار، ثم حكم المجلس بتوقيف الأطباء الذين كانو فى الكورنتينة بناء على عرض حالات قدمت إليه، وظن سلطان أننى الذى أبين هذا الخطأ للنظار، مع أنه كان بحيث يفهمه الصبيان، فاشتكى سلطان باشا إلى ناظر الداخلية منى، وقال له: قل للشيخ محمد عبده لا يبدى ملحوظات على محاضر النواب * » .

«كتب سلطان وهو رئيس النواب كتابة رسمية يطلب فيها من إدارة المطبوعات أن تعترف أن جريدة الطائف هى لسان النواب المعبر عن

* يعنى فى الجريدة الرسمية «الوقائع المصرية»

أفكارهم، فاعترفت الإدارة بذلك تنفيذاً لأمره، ونشر ذلك رسمياً بأمر ناظر الداخلية «وزارة سامى» ثم إننى عطلت الطائف * شهراً لتهييجه، ومع ذلك لم يكتب الباشا ما ينقض ما كتبه أولاً، وهو الذى حمل النواب على الاشتراك فى ذلك الجرنال، واكتتبوا له بمبلغ كبير».

«إشارتى بعدم الاهتمام بمسألة الجراكسة - تقرير راغب باشا بطلب العفو عن جميع من اشترك فى الحوادث ما عدا الجانين فى مذبحة الإسكندرية - وقبول الخديوى وصدور العفو».

«يوم الحرب ذهبت للتكلم مع ناظر الداخلية فى طريقة نشر جريدة المونتيور الفرنساوية الرسمية لسفر محررها».

مذكرات الدفتر

● يقول الشيخ محمد رشيد رضا:

«هذا كل ما فى الورقة المفردة وهو عناوين كان الغرض منها تفصيل الكلام فيها فى فصول تفيد العبرة بها، ويليها مذكرات الدفتر أسردها بنصها إلا أننى أضع لها أرقاماً لضبطها بالعدد».

(١) الدائنون يريدون أن تدفع لهم الفوائد على فداحتها، فعدل سير الإدارة على أن يؤدى إلى هذا الغرض.. ورسم على المصرى أن يخضع لاستبداد إدارى مختلط، بل هو فى الحقيقة أوروبى لا شائبة للعدل فيه، وهو الاستبداد الذى اقتحمه الخديو المعزول.

(٢) كل الأمم من كل الأديان تغتنى من عمله «أى الفلاح المصرى المشار إليه فى الجملة الأولى» وعلى نفقاته وهو فى ذلة الفقر والفاقة » .

* جريدة الطائف كان يصدرها السيد عبدالله نديم «المهيج» الشهير بمقالاته وخطبه، كما يقول الشيخ محمد رشيد رضا، حدثنا أحمد فتحى باشا زغلول قال كنت فى عهد الثورة تلميذاً فى مدرسة رأس التين بالإسكندرية فبلغنا أن السيد عبدالله نديم سيخطب الجمهور فى مكان كذا، فحضرت خطبته مع كثير من الطلبة وغيرهم، فكان مما قاله ما خلاصته: إن طوابى الإسكندرية إذا أطلقت مدافعها على البحر يبلغ مرماها جزيرة قبرص من هذا الجانب ومدافع الاستانة إذا أطلقت تبلغ هذه الجزيرة من الجانب الآخر - فكيفما جالت الأساطيل الإنكليزية فهى تحت رحمة مدافعنا - فعلاً هتاف الناس وتصفيقهم له!!

(٣) مـا يقـصـر من أداء الديون من الدومـيـن والدائرة السنيـة يوفى من الخزينة «تدبير ولسون».

سنة ١٨٨١

(٤) فى أواخر سنة ١٨٨١ قصد غمبتا إرسال ٢٥ ألف عسكرى لتقرير النظام فى مـصـر، مع أنه لم يكن حـصل فـيـهـا شـىء، وكـان ذلك فى وقت المخابرة بين فرنسا وانجلترا فى عقد معاهدة تجارية.

(٥) البارون درنج رأى الفرصة مناسبة لتقرير نفوذ فرنسا فى وادى النيل لكنه لم ينجح فى إعـداد المراقبـة الثنائيـة لقـبـول خلع الخـديو وإيجـاد نظام جديد، وكان قد عرض على حكومته خطر استقلال المراقبة الثنائية وخطر مركز الخديوى «لعل غمبتا قنع بما قاله درنج أخيراً».

(٦) فى ٤ فـبـراير سنة ١٨٧٩ نشـر منشـور ضـد رياض باشـا طبع منه عشرون ألف نسخة، وفيه مطالب وطنية، ولم يعثر على ناشره وكاتبه. ونسب إلى الجـمـعـيـة التى تـألفت لمعـارضـة رياض باشـا «جـمـعـيـة حلوان» شـريف، وشاهين، وعمر لطفى وراغب. ويقال أن سلطان باشا كان فيها

(٧) يقـول شـريف باشـا بعد حادثة عـابدين أنه لا يقبل الوزارة حتى تكون لديه ضـمـانة تكفل أنـه لا يعتدى الضـبـاط أو الجند على النظام مـرة أخـرى. كأنه لم يعلم بسير الفتنة مع أنه كان من مدبريها.

(٨) حصل سلطان باشا على عـرائض ممضـاة من الأعيان والعلماء قبل حادثة عـابدين واطلع عليها عـرابى وأبى عرابى إلا أن تكون تحت يده، فهرب سلطان إلى المنيا، وبعد الحادثة ظهرت العرائض والمحاضر.

(٩) لم يبق داع لبقـاء أديب (اسحق) فى أوروبا فألغيت (جريدة) القـاهرة وأعيدت على هيأة جديدة وفى مـوضـوع جديد، وكوفىء مـحـررها بتعـيينه رئيس قلم ترجمة أولاً ثم سكرتيرا لمجلس النواب بعد ذلك.

وصاح الخديو عند إمضاء الأمر بتعيينه من شدة الفرح: (الحمد لله الذى خلصنى من رق شخص كنت أبغضه).

خلاصة خطاب سياسى لعرابى

(١٠) لم يذهب عرابى إلى رأس الوادى إلا بعد أن صدر الأمر بتشكيل مجلس النواب على طريقة جديدة. وقد كان الخديو حاول أن يستدعى أعضاء على مقتضى النظام القديم، فأبى إلا نظاما جديدا، وعند سفره ألقى على مودعيه خطابا طويلا، شكافيه من العقبات التى تصادفها مطالب الشعب من وضع دستور يكفل له الحرية ويؤمنه من الإستبداد. وصرح فيه بأن الخديو والنظار ومن على شاكلتهم كلهم لا يميلون إلى مساعدة الأمة على ما تطلب، وبأن أعداء الأمة هم الدائنون ومعاونوهم من الأجانب، يدفعهم الطمع إلى الإستيلاء على جميع موارد الرزق فى مصر وأن من الإفتراء أن يقال أن البلاد تريد سلب الأموال والاستئثار بالمنافع وسلب حقوق الدائنين، وإنما الحق أن هناك شعباً يطالب بأن يكون على أثر بقية الشعوب، تحت حماية قانون عادل يؤمنه من الإعتداء على الأشخاص والأموال.

تواطؤ فرنسة وإنكلتره على المصريين

(١١) قال غمبتا فى محاثته مع اللورد ليون فيما يتعلق باستدعاء مجلس النواب (قلبى ممتلىء رعبا، ليس من الممكن الحزر والتخمين على ما عساه يقرره ما يسمى بالحزب الوطنى، من الجائز أن يعمد إلى تقرير طريقة مختلفة تخالف مصالح الأوروبيين، لا أجد وسيلة للاحتياط لمنع نهضة جديدة أفضل من إفهام المصريين أن إنكلتره وفرنسا لا يمكنهما أن تحتملا شيئا من هذه المطالب ولا تلك النزعات).

اتفاق غمبتا واللورد ليون من التعصب، إذ لم يعرف مثل هذا الاتفاق على اسبانيا واليونان مع كثرة ديونهما وأنهما أحط شر،(؟) فى الوفاء من مصر

سنة ١٨٨٢

(١٢) فى ١٢ يناير سنة ١٨٨٢ سأل اللورد غرانفيل مالت: أخبرنى بالتلغراف ما هى حدود سلطة مجلس النواب فى المالية المصرية على حسب ما قررته الجمعية العمومية والشروط التى تطلبها؟.

فأجابه فى ١٣ منه:

مرتبات الموظفين الذين لم يكن تعيينهم بعقود مع الحكومة تكون تحت مراقبة المجلس وعلى ذلك يمكنه أن يلغى مصلحة المساحة مثلا لأنها لم يكفل تشكيلها باتفاق دولى ويمكنه الإستغناء عن عدد كبير من موظفى الأوروبيين فى الإدارة المصرية.

(١٣) قال سالت (فى ديسمبر سنة ٨١) إذا حاز مجلس النواب حق تقرير الميزانية فقدت المراقبة سطوتها فى الأمور المالية.

(١٤) فى ١١ يناير سنة ١٨٨٢ قال مالت إنه قد تقرر عنده أن المصريين قد دخلوا بحق أو بغير حق فى طريقه الدستور وأن اللائحة التى يريد المصريون تقريرها لمجلس شوراهم تمثل فى الحقيقة شرائط حريتهم وحيث قد تقرر هذا المجلس بحالة نهائية فلا شىء يمكن أن يبطله ولا أن يلغيه إلا أن يكون تداخل وهو آخر ما ينتهى إليه العمل.

مقاومة فرنسة وإنكلتره لمجلس النواب فى تقرير الميزانية

(١٥) سلطان أكد لقنصل إنجلترا أن النواب لم يوافوا إلا آمال الشعب وليس من ضغط عسكرى ولا يمكنهم أن يعدلوا عما يوافى رغبة الأهالى.

فأجابه: لا انتظار لأدنى مساعدة بما يختص بهذه المسألة (تقرير الميزانية) لما فى ذلك من الخطر، وما يقولونه وما يطلبه النواب لا طريق لنيله الا القوة، وإستعمالها إعلان الحرب. وقد علمت إرادة إنكلتره وفرنسا فيما يتعلق بذلك.

(١٦) فى ٢ يناير سنة ١٨٨٢ فى مجموعة أعمال البرلمان نمرة ٢٣٠، ٣ تلغراف من مالت فى ٢٠ يناير سنة ٨٢ إذا تمسكنا بابائنا على مجلس النواب أن ينظر فى الميزانية كانت المداخلة العسكرية أمرا إضطراريا، فإن إصرار مجلس النواب على رأيه فى ذلك جزء من مشروع تام أعد للثورة.

(١٧) فى ١٧ يناير سنة ٨٢ قدم المراقبون طلبهم فيما يتعلق بمجلس النواب ومطالبه قائلين إن الأوامر الخديوية السابقة قد ربطت الإدارة المالية

بدولتى فرنسا وإنكلترا فإليهما يرجع السماح للمجلس بحق إعطاء رأيه فى الميزانية وعدمه، وهما لا تسمحان بذلك لما ظهر من مقصد المجلس فى تنقيص عدد الموظفين الأوروبيين، وفى ٢٧ منه أمضوا المذكرة بذلك باسم الدولتين.

(١٨) فى ٢ فبراير سنة ٨٢ استعفى شريف وعين محمود سامى.

(١٩) مجلس النواب قرر تعيين لجنتين لتخفيف بعض الشكاوى التى رفعت على مصلحة المساحة وعلى إدارة الجمارك وظهرت وجوه الخلل فى أعمال الموظفين الأوروبين وتحقق ما كان يخشاه المراقبون من مقاصد المجلس وقد رفض موسيو كاليار مدير الجمارك أن يحضر جلسات التحقيق وعارض فى أعماله.

(٢٠) وقف المجلس على تقرير قدم للمراقبين من أحد موظفى الدومين المسمى (روفسل) يطلب فيه مراقبة المجلس حيث أعطى الفلاحين آمالا فى أن يصارا بالطفرة إلى ما يقال من حريتهم، واشتكى من أن المدير لا يحبس فى الحال من يطلب منه حبسهم لتوقفهم عن العمل، ومن أن كل شخص يحبس بغير أمر قضائى يرسل بالتلغراف إلى نائبه، وعلى ذلك يسأل المدير عن السبب فى الحبس. وهذا تظاهر من الأهالى بالأحوال الجديدة التى يبنون عليها حريتهم وخلاصهم.

(٢١) غوردون باشا يكتب إلى التيمس فى يناير سنة ١٨٨٢:

يقال إن مصر تسرع فى الغنى والسعادة وأنه (كذا) فرحة مسرورة.

ولا أظن أن شيئا قد تغير عما كان إلا ما كان من ضمانة الدين فإنها اليوم أو ثق، أما الحبوس (السجون) فغاصه بأولئك المساكين من الفلاحين.

مسألة الشراكسه وغش القنصلين للخديو

(٢٢) فى مسألة الجراكسة قدم عرابى الحكم وطلب العفو بتخفيف العقوبة فأرسل الخديو (الحكم) إلى الاستانة، فطلب السلطان الأوراق، وكان ما فعل الخديو بناء على نصيحة القنصلين. ساء الوزارة ذلك وبدأ الخلاف

وطلب من الخديو تسوية المسألة، فأشار عليه القنصلان بالإصرار وطلب استعفاء الوزارة.

(٢٣) فى ٢٠ مايو أرسل موسيوسنكوينس(؟) أحد موظفى القونسلاتو مسيو مونج عند عرابى ليذاكره فى المسائل الحاضرة فكان من قول عرابى أن المجلس الآن هو الحاكم وهو أول خاضع له ونقل هذا مسيو مونج إلى رئيسه، وعند ذلك ابتدأ القنصلان فى المخابرة مع سلطان باشا.



أحمد عرابي

وفى ٢٥ مايو قدموا المذكرة التى ذكر فيها أن المجلس بلسان رئيسه نصح عرابى بالابتعاد عن الأقطار المصرية حينا من الزمن

سألت النظارة سلطانا فأنكر

ولكن الخديو قبل المذكرة فاستعفت الوزارة بعدا إقامة الحجة على كل ما جاء فيها.

لم يقبل أحد النظارة فرجع عرابى ناظرا للجهادية وأحيلت أعمال بقية النظارات على وكلائها.

ما يتعلق بالمذكرة التى استعفت الوزارة عقبها

(٢٤) جاء فى الكتاب الأزرق الإنكليزى أن مستر مالت كتب أولاً أن رئيس المجلس لا يمكنه بعد الآن أن يعتمد على أعضائه فان كراهتهم لكل تداخل أجنبى تزداد كل يوم عما قبله.

ثم يقول فى رسالة أخرى إن المذكرة التى قدمها لم يطلب فيها إلا تنفيذ ما أراده أعضاء مجلس النواب وقد صرح المجلس بإرادته على لسان رئيسه سلطان باشا.

(٢٥) يقال أن قنصل الروسياموسيو ليكس نصح مرارا أن أحسن طريقة لمعاقبة الشره الأوروبى كان امتناع الأهالى كافة عن إعطاء الضريبة الخ

لكن كان عرابى ورفاقه يثقون بالدول غرورا، ولا يعلمون ما كان يجرى حولهم (كذا يقول القنصل) فقد كتب مسيو مالت فى ٧ مايو سنة ١٨٨٢ قبل وصول المراكب يقول لحكومته (ليس من الممكن الوصول إلى أى حل كان للمسألة المصرية قبل أن تحصل أزمة شديدة فى البلاد).

(٢٦) حصلت مذاكرة فى المذكرة إلى قدمها وكلاء الدولتين بحضور سلطان باشا والنظار فوضع سؤال: هل يمكن لنا أن نجمع المجلس فأجاب سلطان أظن أن ذلك لا يكون إلا بأمر الخديو فنسأله فى ذلك، ولا ريب أنه يوافق عليه. فقال له أحد النظار: الخديو الذى كنت تطلب خلعه إن لم يمكن قتله قبل أيام؟

قبل هذا جاء كلام فى الخديو فى جلسة، فطلب سلطان باشا قتله وأبى عرابى. وكان سلطان يقول إقتلوا الثعبان سلالة الجناة الناهبين الذين باعونا للأجانب

هذا هو سلطان الذى كان رئيس الحزب الوطنى وهو لا يريد الآن إلا مجاملة الخديو ذلك الخديو الذى لا يبغى إلا بيع البلاد للأجانب.

اجتماع مجلس النواب حق للشعب ونحن نوابه ولا بدلنا أن نطلب النواب إلى القاهرة، حتى لو أراد عرابى أن يوافى ما طلب من إبعاده ارضاء للسياسة الأجنبية، فليفعل، أما نحن فلا نخضع لمثل هذه المطالب مهما أدى إليه اختلاف.

سلطان رجع عن رأيه إلى رأى الحاضرين مع الحيرة فيما وعد به الخديو والقنصلين وفيما اضطر إليه من موافقة الثائرين.

(٢٧) يؤكدون أن ضرب الإسكندرية لم يكن خطر ببال الوزارة الإنكليزية ولا وضع فى مداولاتها إلى الرابع من شهر يوليو سنة ٨٢، وإنما وضع بعد ذلك إنتقاما من مؤتمر الآستانة وليس من البعيد أن يكون السبب صلات عرابى مع الآستانة.

(٢٨) مقاصد الآستانة وإرسال درويش باشا: (أ) اطالة زمن المخابرات (ب): أن يطمئن قلب المراقبة وتوفيق من جهة تأكيد سلطة الخديو (جـ): أن يستمال قلب عرابى وإخوانه بطريقة أبويه إلى زيارة الآستانة قصد التنزه على شواطئ البوسفور (د): تقرير سلطة الباب العالى بمصر. وكان من السهل إدراك ذلك كله لو أرسلت من هو أقوم من درويش الخ.

(٢٩) درويش يذكر بسلطة السلطان ويثنى على الخديو وينصح بالخضوع للنظام وإذا جاء الكلام فى النهضة المصرية يقتصد فى القول ويقتصر على قوله إن السلطان مولانا وأبونا وهو الذى سينظر فى ذلك.

(٣٠) أرسل الخديو لاستقباله ذو الفقار باشا وأرسل عرابى من قبله يعقوب سامى، وقد حصل خلاف بين الرسالتين فى المراكب (الباخرة) عند المقابلة لتكدر ذو الفقار، لكن درويش إستقبل كليهما بالبشاشة **جاء الإسكندرية فى ٦ يونيو وسافر إلى القاهرة فى ٨ منه.**

(٣١) أقوال بعض العلماء فى إظهار مطاليب فى رأيهم وتصريحهم لدرويش بما يجب أن يفعل أغضبه، ومن ذلك الوقت مال إلى توفيق فلما أحس بذلك «أى الخديو» أرسل إليه ما يزيده إقبالا (*).

المحاورة المهمة بين درويش باشا التركى وعرابى باشا ومحمود سامى باشا.

(٣٢) فى يوم السبت ١٠ يونيو قابل درويش باشا عرابى ومحمود سامى لأول مرة فجرى الحديث بينهما على ما سنذكره:

«قال درويش» نحن جميعا رجال جند يحترم بعضنا بعضا وأنتم أولادى لمكانى من السن، وقد أرسلنى مولانا السلطان لتقرير الاتفاق بين عائلته

* أى أرسل إليه رشوة قدرها خمسون ألف جنيه وحليا قدر ثمنه بخمسة وعشرين ألف جنيه.

المصرية العزيزة، وستسهلون على هذا العمل، أنا أعلم شكواكم ستشكون (١)، صبرا قليلا سيكون هذا العمل بعد رحيل هاتين الدونانمتين (٢) اللتين تضايقاننا جدا، فقبل كل شىء يلزمنا إبعادهما هذا ما أتكفل به لو عضدتمونى فيه، أنا أرى جيدا من جهة وقع الخطأ، ليس الخطأ من قبلكم، يجب التوسل، إلى المطلوب مع الحزم والبصيرة، ثم التفت إلى عرابى وقال له: أنت أنت وحدك الآمر الناهى فى مصر، أنت مع كونك لست إلا ناظر الجهادية بيدك السلطة العليا بأسرها هذا ما أغضب الدول المتحدة، يلزم أن يرين المساهلة معهن. وما بقى بعد هذا عملنا فيه بيننا وحدنا. استعف من وظيفتك العسكرية بحجة حضورى، حيث أنى مشير مرسل من قبل السلطان، وكن نائبا عنى مأمورا تحت قيادتى، لكى تسهل على المخابرة مع الأجانب، عليك أن تذهب مع الضباط الكبار من إخوانك إلى الآستانة حيث أن مولانا الخليفة العادل يرى الخير فى مفاوضته معكم.

فأخذ محمود سامى يترجم المقال وعرابى يسمعه ثم قال «عرابى» مشروعكم هذا فى غاية الحسن وإنا نختاره مع الشكر، لست حريصا على السلطة التى تريد أن تنسبها إلى. هى سلطة غير مغتصبة، الأمة هى التى أفضت إلى بها، فالواجب أن ينظر إلى الأمة ويفكر فى شكواها.

اعترف بأن يديك أبرع من يدى فى العمل لتذليل المصاعب التى أمامنا الآن. سيفى ووظيفتى تحت تصرفك.. أنا مستعد للانسحاب واتباع نصيحتك، انما أشترط شرطا واحدا: أعطنى باسم السلطان واسم الخديو واسمك كتابا تصرح فيه ببراءة ذمتنا من التبعات جميعا فى كل ما جرى إلى الآن كائنا ما كان سواء كان ذلك منى أو من اخوانى، وحيث أنى تعهدت للقناصل بحفظ الأمن فى الديار المصرية وتحملت ثقل ذلك على كاهلى فأرجو أن تعفينى من ذلك بطريقة رسمية معروفة، أطلب ذلك لأن الأحوال إن جرت على وجه حسن لم يعرف لنا فيها صنيع، وان جرت على العكس من ذلك كنا الجانين.

---

* أى أرسل إليه رشوة قدرها خمسون ألف جنيه وحليا قدر ثمنه بخمسة وعشرين ألف جنيه.

(١) تشكون بضم التاء وفتح الكاف أى ستقبل شكواكم ويزال ما تشكون منه.

(٢) العمارتين من الأساطيل الإنكليزية والفرنسية اللتين فى الإسكندرية.

مالت وكولفنى وسندويش عاملونا معاملة الخارجين على النظام وذلك فى بلادنا وهم الأجانب الذين لا يحترمون لنا شيئا ونحن نحترم لهم كل شىء.

فوعده درويش بإنالته مطلبه يوم الاثنين ١٢يوليو وهو اليوم المحدد لجلسة يحضرها درويش باشا تحت رياسة الخديو.

وإنما طلب أن يعلن هذا القول، الذى جرى بينهما من قبلهما جميعاً، وطلب من عرابى أن يكتب إلى الاسكندرية ذلك بالتلغراف فأبى عرابى أن يعلن شيئا إلا بعد أن ينال ذلك الأمر المخلص له من كل تبعة.

استعداد الأوروبيين وتسلحهم استعدادا للمذابح

(٣٣) مسألة تسلح الأوروبيين وايهام موسيو كوكسن أن حوادث ستحدث *

(٣٤) مالت أخبر حكومته نقلا عن سكرتير الخديو الأوروبى «كودار بك» أن محمود سامى وعرابى دخلا ثانى يوم استعفاء وزارة سامى والسيف فى يد كل يهدد الخديو بفقد حياته.

(٣٥) سمع مكاتب التيمس من عرابى قبل ضرب الإسكندرية أنه يحترم القنال ما لم يخرق العدو حرمة البلاد وإلا هدمه، ولكنه ضعف عن ذلك وقت الحرب.

(٣٦) أكثرت الجرائد والتلغرافات من الإشاعات التى أفزعت الأوروبيين وأخافتهم من المصريين، وطلبوا من مديريهم فى الأعمال أن يأذنوا لهم بالتسلح فمنهم من أبى ومنهم من أذن.

(٣٧) خدمة «لاسترن تلغراف» طلبوا التسلح فأبى رئيسهم فكتبوا له عريضة فعرضها على رئيس «الكمبانية» فى لندرا فأذن بذلك وسمح بثمانية وثلاثين «لوفلفير» وعائلات الموظفين أرسلت إلى قبرص على نفقة الكمبانية.

* كوكسون هو قنصل الإنكليز فى الاسكندرية.

(٣٨) الأوروبيون أصبحوا متأكدين من عداوة الشعب لهم لإحساسهم من ضمائرهم بسوء أعمالهم إليه.

بدء المذبحة فى الإسكندرية فى ١١ يونيو سنة ١٨٨٢

(٣٩) ١١ يونيو سنة ٨٢ كان يوم الأحد والقهاوى كانت غاصة بطالبى الراحة من الأشغال، الطالبين للهو باللعب والسكر.

فحدثت مشاجرة على قرب من قهوة القزاز فى آخر شارع البنات نحو الساعة واحدة بعد الظهر حيث يوجد ازدحام كثير من الكراسى والطرابيزات وأشخاص، منهم القائم والقاعد:

مالطى يقال أنه خادم مستر كوكسن أخذ «ركب» عربة وطاف بها من محل إلى محل يشرب وينتزه إلى أن وصل إلى خمارة أحد مواطنيه وهو سكران فطلب منه العربجى الوطنى أجرته فأعطاه المالطى قرشا واحدا ودخل القهوة «الخمارة» فتبعه العربجى وتبادلت الكلمات بينهما فتناول المالطى سكينا كانت معلقة فى مائدة الدكان، معدة لقطع الجبن وطعن بها العربجى فسقط لاحراك به، فاجتمع بعض الوطنيين وحمار من أقارب العربجى وأرادوا القبض على القاتل، فجاء يونانى خباز مجاور للخمارة ومعه بعض مواطنيه بالسكاكين والطبنجات وأخذوا يضربون يمينا وشمالا، ومضى نصف ساعة قبل أن تصل عساكر المستحفظين من قراقول اللبان.

أول من جاء منهم مع المعاون قتل فجاء آخرون وصارت معركة عمومية ولكن لم يتداخل العساكر فى القبض على الجناة فتمكنتوا من الفرار «الأورام والمالطية».

وكان يكفى لحسم المعركة تداخل المحافظ لو اهتم بذلك لغيبة الضابط لمرضه، وبعد نصف ساعة حصل نزاع بين العامة وعساكر المستحفظين، فتفاقم الخطب لأن كلا منهما كان يريد أن يفترس الآخر «وذلك لعدم القبض على الجانين» لكن مسألة الجانين لم يبق لها ذكر فى أذهان المتنازعين وإنما بقى النزاع.

(٤٠) والمسلمون والمسيحيون دخلوا فى خصام حقيقى بين أهل الديانتين، وأخذ الأروام والمالطيون يطلقون الرصاص من أعلى البيوت، مع أنهم كانوا فى مأمن من وصول الشر إليهم، وعند ذلك أخذ المسلمون يفدون من كل جانب مسلحين، بعضهم بالعصى والبعض بأرجل الطرابيزات أو هشيم الكراسى وبعضهم بالنبابيت اشتروها من المخازن القريبة خصوصا من السوق الجديد.

فى هذه الحالة رؤى موسيو كوكسون نازلا من بيت أحد المالطيين بلباس ملكى ومعه قواصه، فتبعه المتشاجرون ضربوه ضربا خفيفا عندما أراد أن يركب العربة ففر ونجا منهم وصحبه «عمر لطفى» فى أثناء الطريق.

(٤١) لم يكن المسيحيون مدافعين بل كانوا يهاجمون أيضا وقد طارت الغوغاء ورؤيت عربة تمر حاملة قتلى من عساكر المستحفظين، وعلى القرب من شارع الميدان جاء جماعة من الأروام المسلحين على حسب الأوامر المعطاة لهم وأخذوا يطلقون الرصاص على الجموع بدون تمييز، ولم يأت أحد من العساكر ولا من البوليس «ولا المحافظ» لإطفاء النار.

(٤٢) على القرب من تمثال محمد على حيث لم توجد مقتلة، وجد نحو إثنى عشر قتيلا ليس فيهم أوروبى إلا واحد.

(٤٣) وعلى القرب من زيزينيا رؤى «عمر لطفى» فسأله سائل كيف تكون هنا والمذابح على خطوات منك؟ فقال لست بقائد وهذا لا يعنينى. فسأله ولم لم تحضر بلباسك الرسمى على حصانك شاهرا سيفك فى خمسين من عساكر المحافظين وبذلك كان الأمر ينتهى؟ فأجابه انصرف ليس هذا من شأنك وهل أنت محافظ البلد؟ وبعد ذلك مر أحد موظفى المحافظة فسئل ماذا يفعل الضابط؟ فقال إنه مريض وقد طلب من المحافظ مرارا أن يرسل العساكر فلم يفعل.

(٤٤) سليمان سامى كان مستعدا لإرسال العساكر إذا ورد له الأمر من

---

[٤] لهذا كان عمر لطفى باشا وسلطان باشا أبغض البشر إلى الإمام الشيخ محمد عبده رحمه الله.

نظارة الجهادية، ولكن لم يكتب أحد بذلك إلى النظارة، لأن الأمر بيد المحافظ، وقد بدأ فى المخابرة التلغرافية مع القاهرة من بدء الحركة ولا جواب على ما يظهر.

(٤٥) ذهب نينه عند قنصل الروسية وحدثه بما رآه من المحافظ فعجب وقام للمخابرة مع اخوانه القناصل وبعد ذلك كتب للخديو ودرويش وعرابى وكانت الساعة ٤ بعد الظهر.

(٤٦) نحو الساعة ٥ بعد الظهر قابله من أخبره أن عرابى أرسل الأوامر لإعادة النظام، كانت الشوارع غاصة بالرعاع والأوباش يحملون الأسلاب ويصيحون ويسبون وبعد نصف ساعة عاد النظام إلى ما كان.

(٤٧) لم تقتصر المذبحة على شارع البنات بل وقع ذلك جهة الجمرك وشارع رأس التين وأبوالعباس «أيضا» واتفق مع ذلك أن بعض المسلمين فى هذه الحالة خلصوا نساء أوروبيات وأوصلوهن إلى بيوتهن.

(٤٨) يقال أن أخوين إنكليزيين كانا مسلحين بلوفرفير «مسدس» ولم يكونا يحسنان استعماله قتل أحدهما بضربة عصا أطارت سلاحه من يده.

(٤٩) ظهر فى اليوم الثانى أن عدد القتلى الوطنيين كان ١٦٣ غير من أخفاهم المتشاجرون، إذ حملوهم سرا من وسط المعركة. ومجموع ما وجد من جثث المسيحيين أوروبيين وغيرهم ٧٥ ، كثير منهم مصاب برصاص فى قمة رأسه * فمجموع القتلى ٢٣٨.

(٥٠) لم يصل الخبر عرابى إلا الساعة أربع وربع بعد الظهر، مع أن القليل من موظفى التلغراف الذين يشتغلون بعد الظهر لم يكن عندهم وقت للعمل إلا فى تلغرافات «المحافظ» حتى أن رسالتين مهمتين من أحد الميرالايات فى إسكندرية لم تقبلا لإشتغال العدة بتلغرافات «المحافظ».

(٥١) عمر باشا لطفى طلب إنزال عسكر انكليزى لعجز عرابى عن الأمن.

---

* هذا يدل على أن هؤلاء قتلوا بالرصاص الذى كان يلقيه الأروام والمالطيون من أعلى بيوتهم بغير حساب.

١٢ يونيو سنة ٨١

(٥٢) موسيو كليكن كويسكى القائم بأعمال قونسلاتو فرنسا رجع إلى عقله وأخذ فى طلب تحقيق عن أسباب الحادثة، فصدر الأمر فى الحال بذلك، وبعد هذا امتنع الأعضاء الأوروبيون من العمل. وألح الوطنيون على التحقيق مع حبس من تظهر الشبهة عليه من الأوروبيين، فعارض فى ذلك مندوبو اليونان والإنكليز وأبى مندوب فرنسا الحضور(١) وطلب بعض وكلاء الدول شنق عشرين شخصا من المذنبين وبهذا تنتهى المسألة فى رأيه.

«١١ يونيو»

(٥٣) جيش صادق بك وكيل الضابط «سيد قنديل» لم يمكنه أن ينفذ شيئا من تعليمات الضبطية لأن «عمر لطفى» كان يعمل بعكس تلك التعليمات وبعد ذلك عين وكيل حكمدارية السودان بناء على توصية «عمر لطفى» فهل لابعاده حتى لا يشهده، أو مكافأة له على المشاركة فى الجناية؟

(٥٤) بعد الحادثة نبه القناصل على الرعايا بالهجرة مع الطلب من كل أن يكتب ما عنده. فكتبوا دفاتر وزادوا فيها ما شاءوا ذلك أن القناصل كانوا يعتقدون ان البلد ستضرب وأرادوا أن يربح رعاياهم ما يشاءون (١).

(٥٥) فى الأسبوع التالى للحادثة أشيع خبر أن سيمور لا يعتقد أن للحزب الوطنى دخلا فى الواقعة، فاهتم الخديوى وأمر عمر لطفى أن يخبر سيمور أن تعهد عرابى بالأمن أصبح لا يعتد به، ويخشى من مذبحة أخرى - ففعل ولكن لم ينل جوابا شافيا (أخبر الكاتب نديم عرابى بذلك وطلب منه عزل عمر لطفى ولم يتيسر).

(٥٦) ثم عينت وزارة راغب وأصدرت عفوا عن الجرائم السياسية، غير أن القناصل لم يعترفوا بها تبعا لقنصلى فرنسا وانكلترا.

---

(١) ليعتبر الشرقيون بهذه الذمم وبهذه التصرفات ولاسيما الذين يعرفون ما يمدح به هؤلاء الإفرنج أنفسهم وما يذمون به المصريين وسائر الشرقيين وما يصفونهم به من التعدى والتعصب.

(٥٧) بعد ضباط سيمور خبر الطوابى(١) وأنها ليست بشىء (هذا الباعث له على الضرب).

(٥٨) عساكر الطبجية كانوا فى بلادهم بتعلة الإقتصاد، كان فى الطوابى مائة مدفع وواحد، منها ٦٩ كانت فى مواضعها الحربية والباقى كان مرمياً، بعضه بجانب بعض، وذلك من نحو اثنتين وثلاثين سنة قبل الواقعة.

وأما البمب (أى القذائف أو القنابل) فلم يفارق مخازن الترسانة، قبل الضرب بيوم واحد لم يكن جهز مدفع من المدافع بما يلزمه من بارود وبمب.

غيرة الأهالى يوم الضرب

(٥٩) تحت مطر الكلل ونيران المدافع كان الرجال والنساء من أهالى الاسكندرية هم الذين ينقلون الذخائر ويقدمونها إلى بعض بقايا الطبجية الذين كانوا يضربونها وكانوا يغنون بلعن الأميرال ومن أرسله.

(٦٠) لوردنورثبروك أرسل البروفسور بلمير (بالمر) ليغوى قبائل عربان غزة من شهر يونيو وقابله ننيه وكان لا يذكر اسمه لتنكره. وقال له يوما قبل الضرب بمدة: ليهاجر فأن المدينة ستضرب.

(٦١) قبل الضرب بمدة صدر أمر من مدير شركة التلغرافات الإنكليزية بتعديل فى بعض الخطوط وطلب وكيلها فى مصر مد خطوط إلى بورسعيد والسويس تحت الماء، وأذن له عرابى ولكن لم يتم.

مدير الشركة فى لوندرا طلب من وكيله بمصر فى شهر مايو أن يتغيب بالإجازة إلى أن تنتهى الحوادث فان ميله إلى الوطنيين قد يضر به عند الغالبين إذا حدث حرب.

(٦٢) قنصل الروسية أكد لننيه أن الاسكندرية ستضرب وسأله أن يسعى على الأقل فى عزل عمر لطفى. عزل عمر لطفى وعين ذو الفقار وهو لا يريد إلا ما أراد الخديو.

---

(١) يقول الشيخ محمد رشيد رضا: هذه الجملة ليست واضحة فى مسودة المذكرات، وتدل القرينة على سقوط شئ منها، والمراد منها أن سيمور قائد الأسطول الإنكليزى عرف حقيقة طوابى الإسكندرية، بالاختبار، وأنها غير مستعدة لضرب بوارج الأسطول، ولكن لا يعلم من أخبره بذلك.. وكلمة بعد فى أول الجملة، لا يعلم متعلقها، ويحتمل أن يكون أراد بها «بعض».. أى أن بعضهم اختبر الطوابى ولكن كيف كان ذلك..

شهر يوليو سنة ١٨٨٢

تحرش الأسطول لضرب الإسكندرية



الأميرال سيمور

(٦٣) فى ٩ يوليه، كتب سيمور لطلبه (باشا) فى شأن وضع المدافع وتجهيز الدفاع وتوعد بالضرب.

(٦٤) فى ١٠ منه: كرر ذلك الاشتكاء وقال أنه سينفذ تهديده إن لم يسلمه طابية رأس التين لتجريدها من السلاح (لم يكن شئ من التجهيزات قد وصل فى ذلك اليوم) فأرسل إليه قرارا من مجلس النظار تحت رياسة الخديو حضره أيضا كثير من الأعيان، محصله أن مصر لا يمكنها تسليم موقع من مواقعها إلا قهراً، وأن شيئا مما يدعيه لم يحصل من يوم صدور أمر السلطان بمنع ذلك . وما كان قد حصل (فهو) من الترميمات السنوية. وأن المدافع لم تزل على حالها من سنين .

وصل الجواب إليه ضابط قال له: إن شاء فليزر بنفسه الطوابى وليتحقق مما يدعيه. فأجاب بأنه مصر على وعيده، وأن عرابى لم يزل يحول بينه وبين مصر الخ

رأى الخديوى توفيق باشا فى ضرب الإسكندرية وإحراقها



الخديو محمد توفيق

(٦٥) ١١ يوليه: أحد الميرالايات الذين فى معية الخديوى قال له: ما مصير الاسكندرية لو ضربها الانكليز؟

فأجاب (أى الخديو) ستين سنة!! وهز كتفه

فقال الضابط: لكن السكان سيحرقونها فأرجو أن تتوسط لدى الأميرال والوقت لم يزل سمح بذلك، استدع ذو الفقار وأمره أن يحافظ

على المدينة فعنده من الرجال الكفاية.

فأجاب (أى الخديو) فلتحرق المدينة جميعها ولا يبقى فيها طوبة على طوبه، حرب بحرب، كل ذلك يقع على رأس عرابى وعلى رءوس أولاد الكلب الفلاحين، وسيذوق الأوربيون الملاعين عاقبة هروبهم مثل الأرانب.

(٦٦) الخديو ذهب من رأس التين إلى الرمل والمحافظ وموظفو المحافظة انسحبوا واختفوا.

حرق الاسكندرية وضربها والمهاجرة منها

(٦٧) بين من حرقوا الاسكندرية أروام بلباس عرب رؤيت جثثهم بتلك الثياب أثناء الحريق، ومنهم عريان من أولاد على ممن كانوا على صلة بالخديو - ومنهم من أهالى الاسكندرية - ومنهم أوربيون بقصد المبالغة فى التعويضات. وذلك بعد ما أخليت الإسكندرية ممن يخشى عليهم.

(٦٨) فى ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ الساعة ٧ صباحاً ضربت الاسكندرية، وكان قد أوصى عرابى ضباطه، ألا يضربوا إلا بعد خامس طلقة من المراكب .

(٦٩) قتل كثير من النساء وهن حاملات أطفالهن على أيديهن ومات الأطفال أيضا، وحمل النساء والأطفال وهن على هذه الحالة.

(٧٠) هدم المسجد الذى فى طابية قائد بك عمداً، وجهت إليه النار على قصد

المهاجرون من الإسكندرية

(٧١) نحو مائة وخمسين ألفاً من السكان مجردين من كل شئ أخذوا فى الحركة لغير قصد ولا لمأوى - الموت والفزع ملء نفوسهم. على شطوط المحمودية إلى دمنهور وجسر السكة الحديد من دمنهور إلى القاهرة

كانت المهاجرة تكون خطوطا سوداء تارة عريضة وأخرى رقيقة، متحركة فى كل جهة، أشبه بسلسلة أنسانية طويلة، هنا ينزلون، هناك يمشون ببطء

لا وقاية ولا عيش، على طرفى تضاد مع سماء صافية وأرض خضرة نضرة.

عود الضرب ثانى يوم

(٧٢) فى ثانى يوم الساعة ٨ صباحا عاد الضرب إلى الساعة الحادية عشرة وأصاب الإسبتالية وهجرها كثير من المرضى والجرحى وكان عليها العلم الأبيض بالهلال الاحمر

(٧٣) طلبة (باشا) بعد أن رفع العلم الأبيض على نظارة البحرية ذهب إلى الأميرال يسأله عن سبب عودة الضرب فأجابه أحد الضباط عن لسان الأميرال أنه يطلب تسليم الطوابى والقشلاقات أيضا. طلبة أراد المخابرة مع مجلس النظار، انتشر الخبر فى المدينة، أخذ العساكر فى إخلائها، هلع الناس وأخذوا ثانية فى الهرب.

(٧٤) دخل أولاد على للنهب. سليمان سامى سلم محافظة محلة الأوربين إلى عساكر الرديف الذين لم يكونوا أفضل من العربان فانضموا إليهم فى النهب آخر النهار.

عود إلى وصف المهاجرين من الإسكندرية

(٧٥) أما الهاربون فكانوا كالأعاصير أو كماء انكسر سده فاندلق، يتصل بعضهم ببعض مزدحمين متراكمين، فى حالة عقلية أشبه بالجنون، سائقين أمامهم أو حاملين على ظهورهم ما خف حمله من أمتعتهم: حيوان، أثاث ضئيل، ثياب رثة، حتى بعض المفروشات التى لا قيمة لها.

فى هذه الحالة - حالة شعب طرد من بيته - كان الحر شديداً وغيم من الغبار مذ الأفق، وأظلم الجو، نساء يبحثن عن أولادهن، يتشاجرون بعضهن مع بعض، يتضاربن، فى أخلاط لا يمكن التعبير عنه - عربات بلا عجل استعملت مساكن - عربات من كل نوع بعضها ساقط فى المحمودية، بعضها مقلوب، بعضها بخيل، بعضها بغير خيل- روائح شئ اللحم- صياح على المارة: الخبز الخبز.

(٧٦) ابتدأ الحريق فى المدينة الساعة ١١ مساء من ثانى يوم الضرب.

(٧٧) فى ١٣ يوليو توجه الخديو من الرمل إلى رأس التين، وعسكر عرابى فى كفر الدوار.

(٧٨) فى ١٤ يوليو عندما وصل عرابى لكفر الدوار اجتمع عليه النساء والرجال يلعنون العالم، ويطلبون الخبز، فوعدهم بالقوت وبما يحملهم مجانا إلى داخل البلاد وقد أرسلوا مع تواصى للمديرين ليقيتوهم ويضعوهم فى أعمال بقدر الطاقة.

إنذاره

كتاب تاريخى من الخديو إلى عرابى ورد عرابى عليه

(٧٩) فى مساء ذلك اليوم (١٤ يوليو) ورد لعرابى كتاب من الخديوى محصله بعد العنوان:

سعادتلو عرابى باشا ناظر الحربية فى معسكر كفر الدوار-

«إنك تعلم أن الأميرال الإنكليزى لم يرد حرب مصر وإنما أطلق المدافع على الطوابى بسبب ما كان جاريا من التجهيزات كما أنذر به، وقد أعلننا أنه يجب إعادة العلائق معنا، وأنه مستعد لتسليم الاسكندرية لجيش منظم مطيع، فان لم يكن فإلى جيش عثمانى، وقد قرر مؤتمر الأستانة أن للسلطان وحده حق المداخلة بقوة السلاح فى المسألة المصرية. فعليك أن تحضر مع رفاقك إلى رأس التين للمداولة فى ذلك، وآمرك بالكف عن التجهيزات التى لا فائدة منها بعد الآن».

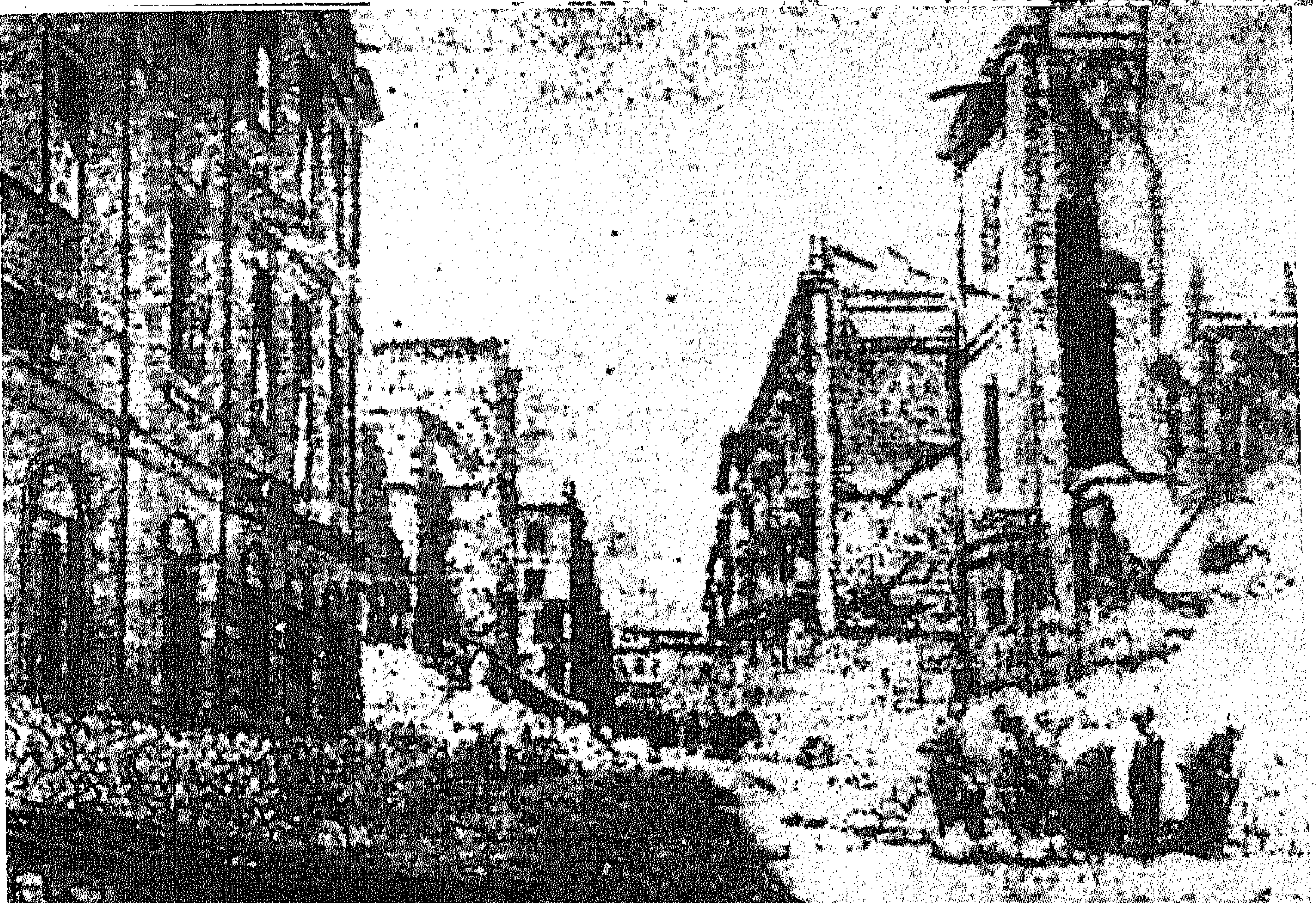
فأجاب عرابى بعد التعظيمات:

«إن الأميرال إنما أطلق المدافع بعد التأكيدات من الوزارة ومن سموكم بأنه لا تجهيز ولا تحضير، وقد عددنا جميعا (وسموكم معنا) أن بالضرب إهانة لمصر وإعلان بحربها بلا سبب، ومع ذلك فلم يقتصر الضرب على الطوابى كما قال، بل قذف قنابل مفرقعة على الأملاك حتى قتلت ودمرت

كثيراً، وإن عسكركم المنظم مستعد لأن ياتى المدينة عند الإقتضاء، وأنا لا أرفض أى مخابرة فى الصلح، لكن يلزم أن يتذكر أن التعدى وخرق سياج السلم وتدمير المدينة إنما جاء من المراكب الإنكليزية، وأن الطوابى لم تجاوب إلا بعد خامس ضربة من المراكب حسب القرار الصادر من المجلس المرءوس بسموكم وحضور درويش باشا».

«ومن المعلوم أن إنكلترة أصبحت بذلك محاربة لمصر، إذ بعد إطلاق النيران اثنتى عشرة ساعة واضطرار العساكر المصرية لإخلاء المدينة وإشغالها بعساكر إنكليزية لا يمكن أن يقال أن البلد فى غير حرب».

«سموكم يعلم أنه فى هذه الحالة لا يمكن أن تكون مداولة حرة ما دامت المراكب الأجنبية فى مياه الإسكندرية، بل يجب أن تبعد عنها، فاذا حصل ذلك فأنى مستعد لإجابة الدعوة حالا. أما التجهيزات فيجب أن تستمر إلى أن تبعد المراكب عن الإسكندرية. تلك التجهيزات التى يشير إليها سموكم وهى جمع ٢٥ ألف مقاتل هى التى أمرتم بها وما أنا إلا منفذ لأمركم».



آثار التدمير في شوارع الاسكندرية بعد ضربها

عزل الخديو لعرابى باشا

واتفاق الناس على مخالفته واستمرار الاستعداد للحرب

(٨٠) بعد أيام صدر الأمر بعزله ووزعت بذلك منشورات لهذا السبب وصرح فيها بأنه كان ناظر الحربية إلى تاريخ الدعوة إلى رأس التين.

(٨١) طبعت نسخ من تلك المخاطبات ووزعت فى البلاد فجاء الناس لعرابى طالبين بقاءه والاستمرار فى الإستعداد، وأخذت الهدايا تتوارد عليه من كل جانب، ثم شرع فى بناء الإستحكامات، وأغرق الجانبان من جهة الملاحات، وانتهت القلاع فى قليل من الزمن، وساعد على ذلك أن العدو لم يكن يعمل شيئا.

الجيش المصرى والمتطوعون فيه والجيش الإنكليزى

(٨٢) كان الجيش مؤلفاً من ثمانية آلاف منظمة مع ثمانين مدفعاً من كروب. وكان يوجد فى أبى قير ثلاثة الاف وخمسمائة، وألفان وخمسمائة فى رشيد، وخمسة آلاف فى دمياط، المجموع أحد عشر ألفاً (١) أما الخيالة فلم يكن لهم وجود إلا قليلا .

(٨٣) كان من عمل المراكب أن تهدد فى حركاتها النقط المذكورة لتمنع عرابى أن يرسل جيشا إلى الوادى.

(٨٤) أدخل العربان فى الجيش على علم من عرابى بمضرة دخولهم. شرع فى جمع عساكر الرديف ولم يكونوا يصلحون لشئ. شرع فى جمع غيرهم. ودخل كثير من المتطوعين ولكن لم يكن يكفى لجعلهم جيشاً صالحاً للدفاع وراء الجدران أقل من ثمانية أشهر مع الإجتهاد، وأما فى الفلا فلا أقل من سنة لعسكرى ألمانى ومن سنتين لعسكرى إنكليزى.

(٨٥) قالت التيمس: أرسلت الحكومة الإنكليزية ٣٥ ألف وستبلغها ثلاثين ألفاً لمقاتلة الجيش المصرى.

---

(١) أى مجموع العساكر التى فى الثغور المذكورة، فتكون مع الجيش المنظم الذى يقوده عرابى ١٩ ألفاً.

طلاب التطوع فى الجيش المصرى من الأوروبيين.

(٨٦) كثير من ضباط التليان والألمان والسويس عرضوا أنفسهم ومعهم عدد وافر من المتطوعين، والبعض كان يطلب وسيلة للنقل والبعض لم يكن يطلب «كالألمان» إلا تعيين الضابط الأكبر باسم رفيع فى الجيش.. أما الفرنساويون فجاء من بعض المفلسين منهم شىء لا يلتفت إليه.

غير أن البحر كان مأخوذاً تحت مراقبة المراكب الإنكليزية، والمواصلات كانت منقطعة تقريباً بين مصر وأوروبا.

آراء عرابى فى حالته وفى عدم الثقة بالفرنساويين

(٨٧) لم يكن يهم عرابى عندما رأى فى بعض الجرائد الفرنساوية والإنكليزية تلقيبه بعاص - إلا مخافة أن يصدر بذلك أمر، وكانت له ثقة بالسلطان إلا إذا أكره، وتذكر البارون درنج وكان يلومه على عدم مساعدته له عند حكومته مع أنه كان موظفاً فى خارجيتها.. ثم بعد ذلك أخذ يذكر مصائب الإحتلال الفرنساوى فى مصر أيام نابليون وما احتال به هذا ومنو على المصريين من الأكاذيب، وما حصل من الفرنساويين فى تونس، واستنتج أنه لا يمكن الاعتماد على فرنساوى فى شىء (١).

(٨٨) عندما ضبط الأسير الإنكليزى واستنطقه عرابى وسأله (٢) عما كان مكتوباً على بعض الكلل (٣) من اسم «إسكندريا» فأجابه حصل تحريف والحقيقة «إسكندرا» اسم المركب، فاعتذر عرابى بعدم معرفته الإنكليزية.. ثم قال لعلك رأيت ما يخالفه بما قرأت عن المصريين؟ فأجابه نعم ولكنى عسكرى، ما على إلا أن أطيع.

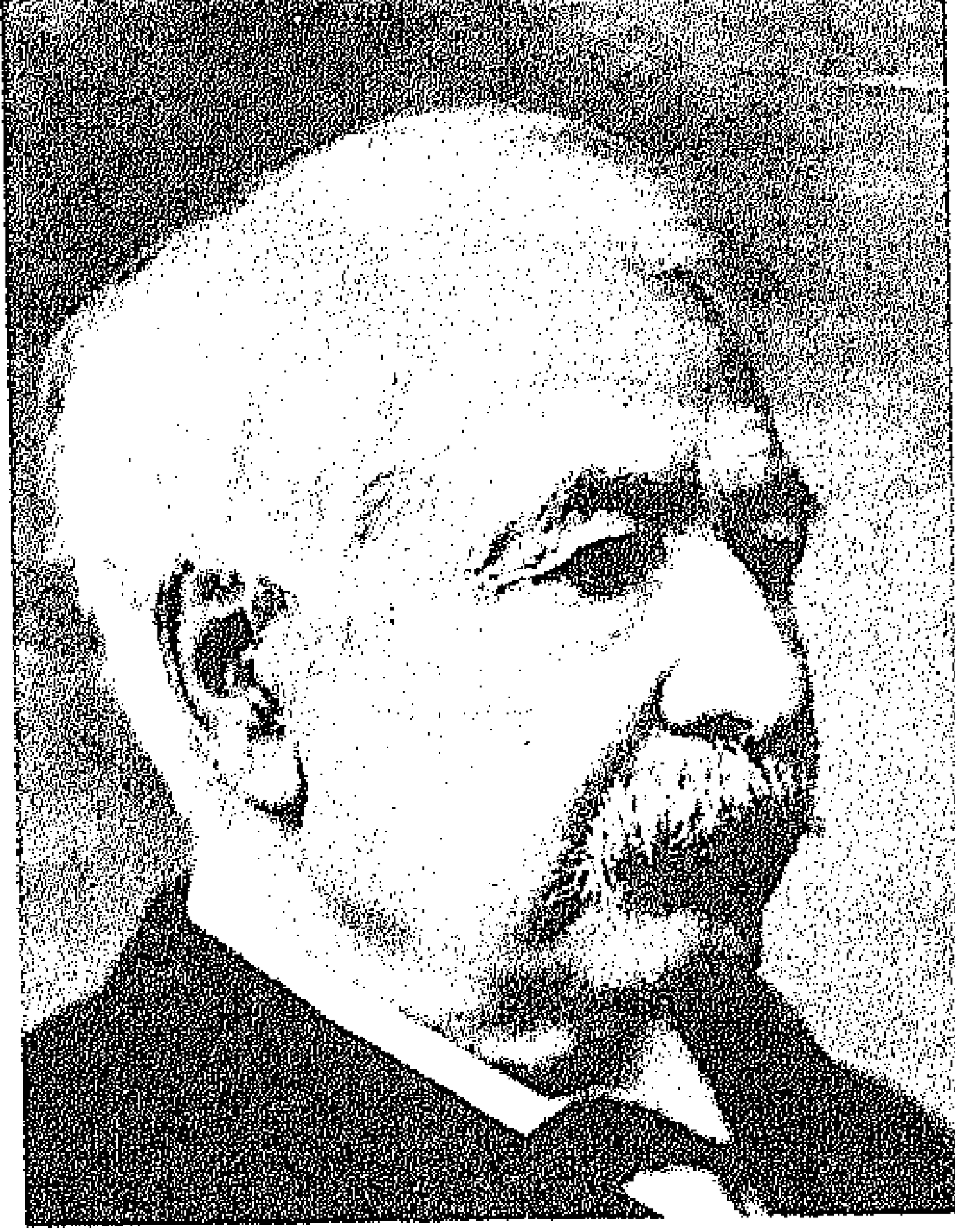
انخداع عرابى بغش دلسبس فى تركه القنال

(٨٩) عرابى اعتمد على دلسبس فى حماية القنال وكان يظن أن مس

---

(١) يقول الشيخ محمد رشيد رضا: ولكن عرابى الغر اعتمد بعد هذا على دلسبس الفرنسى فى حماية القنال من الإنكليز كما رآه فى عدد ٨٩.

(٢) وقوله واستنطقه عرابى وسأله الخ لابد أن يكون أحد الفعلين بغير واو العطف (٣) الكلل تنطق بالكاف المفخمة وأصلها قاف ولعلهم كتبوها بالكاف حتى لا تشتبه بقلة الماء وأصلهما واحد.


دلسبس

القنال يهيج عليه جميع الأمم لهذا ترك تلك الناحية عوراء، وعندما أحس دلسبس بأن الجيش المصرى قد يتحرك ناحية القنال، كتب تلغرافاً لعرابى يقول له من المستحيل أن عساكر الإنكليز تمر من القنال.

وبعد واقعة مهمة فى ناحية كفر الدوار جاء الخبر عقبها بأن اثنين وثلاثين مركبا توجهت إلى القنال فورد تلغراف من دلسبس يقول: لا تشرع فى شىء يمس القنال، لا يمر عسكرى إنكليزى إلا ومعه جندى فرنساوى: أنا مسئول عن كل ما يحصل.. فأجيب بأن هذا غير كاف وتقرر إرسال جيش ثم أرسل الجواب ببطء وقبل أن يتحرك عسكرى إلى ناحية القنال كان الجيش الإنكليزى قد احتله وذلك لتأخر الجيش ١٥ ساعة فى مخابرة دلسبس، ويظهر أنه كان فى الحاضر خونة حملوا الأخبار وأبطأوا فى المخابرة.

(٩٠) قال ولسلى لو قطع عرابى القنال كما قرر لم يكن لنا إلا حصر مصر، والضرب فى البحر، أربعة وعشرين ساعة خلصتنا وأنجتنا.

أخبار القتال بين المصريين والإنكليز وضعف عرابى وجيشه

(٩١) فى ٢٣ و٢٤ أغسطس كانت واقعة نفيشة وأسر محمود فهمى «باشا» فجاء سامى «باشا» بنفسه وطلب من عرابى أن يذهب إلى ناحية الوادى.

(٩٢) جيش الجهة الشرقية كان أغلبه من العساكر المجموعة حديثاً التى لا تساوى شيئاً.. خسارة محمود فهمى كانت جسيمة لا تعوض وليس من السهل تعويضه.. عرابى وجميع الضباط ومحمود سامى شعروا بالضعف والوهن عند ذلك.

(٩٣) قررت مشورة حربية إغراق المنطقة الشرقية مما وراء الزقازيق.

ذلك أخاف عرابى وأرهبه فلم ينفذ وتقرر سحب بعض الضباط من دمياط ورشيد وإرسال مثل عبدالعال إلى جهة الوادى، فنفذ شىء وأوقف شىء ولم يحضر عبدالعال وكان حضوره مفيدا.

(٩٤) ذهب عرابى إلى الوادى فى حزن وانكسار قلب، وقد اعترف أنه فى مدة الستة أسابيع لم يأت اجتهاده بتنظيم قوة من المشاة يمكن الاعتماد عليها، أرسلت عساكر إلى الوادى وجاء إلى كفرالدوار من عساكر الرديف الهرمون والمؤفون (١).

(٩٥) مع حركات الجيش المتوالية وتلك الدهشة المستولية كان النظام والخضوع مستوليا على الجميع.

عود إلى خيانة سلطان باشا

(٩٦) فى ٢٧ أغسطس جاء خبر بأن فارسين خرجا من الإسكندرية وتوجها من الناحية الشرقية من البحيرة، وهما بدويان من قبيلة أولاد على من عائلة شهيرة بالفيوم، فقبض عليهما عند مرورهما على قريب من معسكر كفر الدوار، ووجد معهما منشورات من سلطان باشا ورسائل منه إلى رؤساء القبائل وبعض الضباط، يدعوهم إلى ترك عرابى والالتحاق بالجيش العثمانى الذى جاء لإخضاع العصاة.

استنطقوا فاعترفوا بكل شىء: وذكروا أن جنديا بحريا إنكليزيا يسمى «جيل» حمل ثلاثين ألف جنيه من سيمور ليلحق بالأستاذ «بالمر» يستميل معه عربان غزة، وحمل معه رسائل من توفيق ومن سلطان باشا إلى رؤساء العربان فى الشرقية - وأن مبلغا لا يقل عن المبلغ السابق سيصحب القائد الإنكليزى إلى الزقازيق، وبعد أن سلم الضابط أوراق المرور إلى القائد ذهب إلى السويس لمقابلة «بالمر» وقد قطع سلك التلغراف الذى يصل بين مصر والآستانة، وكان كل ذلك حقا، فإن قائد الفرقة البحرية فى القنال أخذ المبلغ من «جيل» وسلم منه أربعة آلاف جنيه إلى «بالمر» وحجز الباقى على

---

(١) أى الذين أدركهم الهرم والمصابون بآفات العاهات، فلا يستطيعون عملا، فمؤفون، جمع مؤف، وأصله مأووف، اسم مفعول، من إيف الشئ، أو الشخص، أى أصابته آفة أو عاهة.

حسابه وأرسل معه جيل وضابطا آخر فقتلوا جميعا بين العربان.

(٩٧) مركز الدسائس والمخابرات كان فى إسكندرية فى مكتب يسمى «قسم المخابرات العسكرية» اجتمع فيه كثير من الإنكليز من موظفى الحكومة المصرية ومن المقيمين بمصر وكان روح الجميع سلطان باشا.

(٩٨) عرف سلطان باشا أن توزيع النقود باسم الإنكليز لا يفيد وعرف مقدار سلطة النقود على الأرواح فأخذ فى التوزيع باسم الخديو والسلطان، واختار لبث الأفكار الحاوى الطحاوى أحد ثقاة عرابى، فكان الحاوى يعظ إخوانه العربان بعصيان عرابى وقوة الجيش المحارب ونحو ذلك، وكانت القيم التى تدفع إلى الأفراد تتفاوت من جنيهين إلى ثلاثة، ولم يكن عرابى يقتنع بخيانة العربان، وكان الحاوى مع ذلك يخبر عرابى ببعض حركات العدو على وجه الصدق وعرابى كان يفضى إليه بجميع ما عنده.

(٩٩) فى واقعة القصاصين كان الرسم كما ينبغى وكانت العساكر المصرية يجب أن تزحف فى الساعة الثانية بعد نصف الليل على الجيش الإنكليزى وماراع القواد المصريين إلا وجود الفرق الإنكليزية زاحفة وآخذة جميع الطرق فى الساعة الواحدة، وجرح على فهمى وراشد باشا وانهزم الجيش وماذاك إلا من الجواسيس العربان، وكانت الخيانة وصلت والنقود قد وصلت إلى قلب الجيش وإلى كثير من الضباط بسعى سلطان باشا ومراسلة العربان.

(١٠٠) فى ١١ سبتمبر جاء عرابى مراسله ينبئه بخيانة العربان فأبى قبولها قائلا إنهم مسلمون «!!!».

(١٠١) فى ١٢ سبتمبر أنبىء عرابى من المنبع نفسه «بعض رؤساء العربان أيضا» بأن الإنكليز سيضربون التل الكبير ويرمون إلى بلبيس «جهة حصنها الفرنساويون من قبل» ليأخذوا هذا الموضع ويفتحوا طريق القاهرة، اقتنع عرابى بصحة الخبر فأرسل إلى طلبة يطلب منه إرسال فرقة من الجنود لتكون فى التل الكبير صباح الثالث عشر من شهر سبتمبر.

جاءت الفرقة ماشية، وصلت الزقازيق فى صباح اليوم المذكور بعد الهزيمة.

(١٠٢) يقول أحد الضباط إنه فى الساعة الثانية بعد نصف الليل لم يشعروا إلا بصياح العربان وبضرب النيران، ولم يعرف من كان لهم ممن عليهم، ووقع الاضطراب العام والجيوش الجديدة انهزمت، فكان الإنكليز يقتلونهم كأنهم فى الصيد، وقاوم ثلاثة آلاف، ففنى نحو نصفهم وبعض الضباط كان فى عجز عن المشى عن الفرار «لعلها عند الفرار» لثقل النقود التى كان يحملها فنهب من بعض السودانيين.

(١٠٣) يقال إن عرابى كان يحب إطالة زمن الحرب (أى رجاء أن تتدخل الدول فى المسألة كما قاله الإمام الشيخ محمد عبده فى موضع آخر).

ختام المذكرات

● وفى ختام هذه المذكرات كتب الشيخ محمد رشيد رضا يقول:

هذا ما عندنا من المذكرات الخاصة بالفتنة العرابية أثبتها بحروفها كما كتبها رحمه الله فى تلك الأيام الحالكة الظلام المشتبهة الأعلام، المثيرة للأوهام حتى أننى لم أصحح ما أقطع بأنه من عثرات القلم وإن كتب فى بعض المواضع على الأصل الصحيح وفى بعضها على المشهور الدائر على ألسنة الناس، كلفظ الإسكندرية وإسكندرية وسكندرية وإنما وضعت قليلا من العناوين لبعض المسائل المهمة فى سطر مستقل للتنبيه والتروى، وبعض الخطوط على بعض الأعلام أو الجمل من فوقها وقليلا من الكلمات المفسرة والموضحة بين علامتى الإدراج هكذا ( ) وأما الجمل التى وضعت بين هاتين العلامتين فهى له رحمة الله تعالى إلا الأخيرة منها التى ختمنا بها كلمة المؤلف.

وفى هذه المذكرات عظات وعبر لو أتيح لأستاذنا رحمه الله تعالى اتمام تأريخ الفتنة العرابية وشرحها لاستفاد قراؤه منها ما لا يوجد له نظير إلا فى كلام حكماء المؤرخين الأعلام الذين يقل عددهم حتى فى الأمم الحية العزيزة وكان لدى الإمام الشيخ محمد عبده ملخصات مترجمة من الجرائد الأجنبية فيما كانت تكتبه من الأخبار والآراء فى المسألة المصرية فى أثناء تلك الفتنة، كانت تترجم بأمره لإدارة المطبوعات التى هو رئيسها، ولدينا بعضها ولكن لا حاجة لنا بنشره لأننا نكتب تاريخ الرجل لا تاريخ الثورة العرابية، وقد جئنا بما علم به رأيه فى أسبابها ونتائجها وسيرته فى أولها وآخرها.

الفصل السابع

بعض فوائد ما كتب
الإمام الشيخ محمد عبده
فى المسألة العرابية

من مذكرات الإمام الشيخ محمد عبده فى الثورة العرابية

بقلم :
الشيخ محمد رشيد رضا

لما كان غرضنا من كتابة تاريخ الإمام الشيخ محمد عبده استفادة الأمة مما فيه من الخبرة، حسن منا أن نذكر القارىء ببعض الفوائد التى تؤخذ مما كتبه فى المسألة، كتابة المؤرخ الصادق الحكيم والوطنى الصميم.



الشيخ محمد رشيد رضا

(الفائدة الأولى)

أن الأوروبيين كانوا يتصرفون فى الدولة المصرية والبلاد المصرية أسوأ التصرف وأشده إفسادا للنظام وكلبا فى جمع الحطام، ويسوقون الحكام والرعية كما تساق الأنعام.

(الفائدة الثانية)

أن أمراء البلاد لم يكن عندهم من العلم بطبائع الأمم وحقوق الدول وأخلاق البشر وتاريخهم وسنن الإجتماع مايهديهم إلى السياسة المعقولة والإدارة القويمة فى حفظ ملكهم الإستبدادى، لذلك كان اسماعيل باشا هو المجتاح لثروة الأمة والدولة الممكن لنفوذ الأجانب فيهما والممهد للثورة التى هى موضوع بحثنا وهو يظن أنه سيجعل مملكته كممالك أوروبة، وكان توفيق باشا هو الموقد لنارها والداعى للإنكليز إلى احتلالها من حيث يظن أنه يحفظ سلطته من عبث الرعية بها.

(الفائدة الثالثة)

أنه لم يكن فى رجال هذه الدولة وأصحاب النفوذ فيها أو فى الشعب رجل كبير العقل بعيد الرأى قوى الإخلاص والعزم يتلافى الثورة عن علم وبصيرة بأن يحقق ما حققه الشيخ محمد عبده، من أسبابها ويقنع الخديو توفيقا بما يجب فعله فى أمرها، وقد كان هذا ممكنا مع توفيق لما كان عليه من الدماثة وضعف الإرادة مع حب الخير والتدين، ولو كان لهذا الشاب الأزهرى محمد عبده مدير المطبوعات ورئيس تحرير الجريدة الرسمية، مما كان لرياض باشا وشريف باشا من المكانة فى الدولة أو ما كان لسلطان باشا من الجاه والثروة فى الأمة، لقام بهذا الواجب.

كان سلطان باشا يعلم أن عرابى وإخوانه الضباط المصريى العرق، ما فكروا قبل تفاقم خطب هذه الحوادث بالخروج على الخديو ولا فى تقييد سلطته الاستبدادية بمجلس نواب ولا بغيره، وكان يعلم أن غرضهم الأول من طلب المجلس، الأمن على أنفسهم ثم على وظائفهم العسكرية، وأن غرضه هو من المجلس الذى إتخذهم وسيلة له، أن يكون وزيرا أو رئيسا له، فكان يمكنه بعد استفحال الخطب وقرب وقوع الخطر على البلاد بالإحتلال الأجنبى، وقد رست بوارج الأسطول أمام مدينة الإسكندرية، أن يقنع الخديو توفيقا بحقيقة أمر العرابيين، وان إخضاعهم ممكن، وأنه خير له وللبلاد من الاستعانة عليهم بالإنكليز، فإن هؤلاء إذا إحتلوا البلاد احتلالا عسكريا بظهورهم على قوتها العسكرية، فإن سلطانه الحقيقى يزول وانما يبقيه الإنكليز كالشبح الماثل ليستعينوا باسمه على حكم البلاد، كما يريدون كما فعلوا فى بعض الممالك الهندية، أو دون ذلك.

ولكن سلطان باشا كان أصغر نفسا وأقل علما وأضعف وطنية من ذلك، بل كان خائنا خان أميره أولا بشبهة خدمة الأمة وجعل حكومتها مقيدة بالشورى النيابية، ثم خان أمته بشبهة خدمة أميرها والمحافظة على إمارته، وانما خدم الإنكليز وحدهم فأين هو من الشيخ محمد عبده الذى كان ساخطا على عرابى وجماعته منكرا عليهم افتياتهم على حكومتهم وأميرهم، محذرا إياه من سوء العاقبة بانتهاء فتنته بإحتلال عسكرى يوجب لمسببه لعنة التاريخ إلى يوم القيامة، ومنكرا عليه وعليهم التعجيل بطلب الحكومة النيابية، قبل إعداد الأمة لها، على أنه كان هو وأستاذه السيد جمال الدين أول من نبه الأفكار ووجه القلوب إليها ثم لما آل الأمر إلى تدخل الأجانب فى أمر البلاد بطلب الخديو، اضطر إلى أن يكون مع الأمة عليه ويساعد الأمة ما استطاع من رأى.

وقد تقدم ما يثبت ذلك بالتفصيل.

(الفائدة الرابعة)

إن من أهم أسباب هذه الفتنة وما آلت إليه من المحنة إحتقار الخديو ورجال بلاطه وكذا وزراؤه وكبار ضباط جيشه من الترك والجركس

للمصريين الخلص والتعبير عنهم بالفلاحين للتحقير والتعيير، وعدهم غير أهل لمناصب الدولة، ولذلك عظم على توفيق باشا أن يطلب منه هؤلاء الفلاحون حقوقا، وقد خلقوا على رأيه ورأى البيئة التى تربى فيها ليكونوا عبيدا، حتى آل به الأمر إلى الإحتفال بانتصار الإنكليز على جيشه وقبوله التهانى من الوجهاء على إحتلالهم لبلاده وسلبهم لملكه كما يراه المطلع على كتاب «مصر للمصريين» وعلى جرائد تلك الأيام.

والواقع أن البلاء وقع على رأسه هو لأنه سلب منه ملكه الاستبدادى وأن الفلاحين كانوا فى عهد الاحتلال آمن على أموالهم من السلب وعلى أنفسهم من الإهانة والضرب مما كانوا عليه من قبل، وهذا من أكبر ما أصاب الشعوب الإسلامية بعد زوال ملك العرب العادل، الذين كانوا يعدون جميع المسلمين إخوة لهم فى الاسلام، وكانوا يساوون فى العدل بين جميع رعاياهم على اختلاف مللهم ونحلهم وأجناسهم وملاحدة الترك يعدون هذا من عيوبهم جاهلين أنهم لولاه لما تم لهم إخضاع تلك الشعوب الكثيرة لسلطانهم وإدخال تلك الملايين فى الإسلام باختيارهم.

(الفائدة الخامسة)

إن الشعب المصرى فى جملته قد قام بكل ما يجب عليه من الحقوق المالية والوطنية، فقد بذل كل ما استطاع من المال والرجال فى سبيل الدفاع عن بلاده، وانما خانه بعض كبار رجاله كسلطان باشا وبعض الضباط وهمج البدو لا رجال الحكومة والقصر «السراى» من الأعاجم الأصل وحدهم.

وقد استفاد الشعب المصرى من هذه الفتنة أن شعوره بوجوده وبحقوقه قد انتشر فى المدائن والقرى، وضعف به ما كان مستحوذا على القلوب من هيبة الأمراء والحكام، بعدما كان من جراءة العرابيين عليهم، فإن الأسباب الخفية الخاصة التى جرأت ضباطه على المطالبة بحقوقهم التى هى حقوق لشعبهم، لم تكن معروفة للجمهور على أنها كانت أسبابا شخصية دخلت فى طور الحقوق العامة، فكانت كما قال بعض أئمة العلم: طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله، واستفاد عقلاء الشعب من الحكام وغيرهم أنه لا قوة فى هذا العصر للدولة إلا بالأمة وأن الحكومة الشخصية الاستبدادية إذا لم

تسقط بقوة الأمة فإنها لابد أن تسقط بقوة الأجانب وتكون آلة لهم يذلونها ويذلون الأمة بها وأنه لا يرجى إستقلال لهذه البلاد إلا بعد تمكن هذه العقيدة فيها وعملها بمقتضاها.

(الفائدة السادسة)

ان الدولة العثمانية العريقة فى الحكم وممارسة السياسة الدولية لم تحسن التصرف فى المسألة المصرية، وكان يسهل على مندوبها المشير درويش باشا درء الخطر، وحل الإشكال ولكنه كان خائنا أيضا فأخذ الرشوة من توفيق باشا ووافقه على هواه، فأين هو من فؤاد باشا فى حل مشكلة سورية ولبنان سنة ١٨٦٠ واخراجه للجيش الفرنسى منها بدهائه وحكمته.

(الفائدة السابعة)

أن الإمام الشيخ محمد عبده كان مؤيدا لوزارة رياض باشا الإصلاحية ويرى أنها صورة حسنة للمستبد العادل الذى يرجى أن ينهض بالأمة فى مدة خمس عشرة سنة كما بين ذلك فى مقالة اجتماعية عامة وجيزة، وكان يفضلها على إنشاء حكومة نيابية قبل إستعداد الأمة لها، وإن كان أول من نبه الأمة لها هو وأستاذه السيد جمال الدين ودعواها إليها كما تقدم، ولكنه كان يرى أن رياضا قد أفرط فى العدل والإصلاح بعدم مراعاة إستعداد الخديو ورجاله وأركان حكومته الذين استمرؤا مرعى الإستبداد وطبعوا على الإسراف فى إستعباد الرعية الضعيفة الجاهلة وإن كان ينبغى له مداراتهم والرفق بهم، وانه لما علم بسخط أميره عليه وكراهته له كان ينبغى له أن يستقيل من منصبه أو يرضيه إن أمكن، لأن طاعة الأمير واجبة عقلا وشرعا ما دام أميرا، فإن ظلم وفسد وتعذر إصلاحه جاز السعى لإسقاط إمارته بالوسائل التى سنها الخالق الحكيم للاجتماع البشرى، ولكن لا يجوز الاستبداد عليه والعصيان له ما دام أميرا.

(الفائدة الثامنة)

أنه كان يعتقد أن عمل عرابى خطأ وخطر على البلاد لأن تصدى رجال الجيش لإدارة الحكام وإرغام ممثل السلطة العليا ومن دونه على ما يريدون،

قلب للنظام وإفساد الحكم وإفضاء بالدولة إلى الفوضى ولأن الثورة العسكرية فى مصر قد تفضى إلى إحتلال أجنبى يذهب باستقلالها، وكان يعلم مما تلقاه عن السيد جمال الدين، ما كان من سيرة الإنكليز فى الإستيلاء على الممالك الهندية، ويعلم أنه ليس فى البلاد من القوة العسكرية المنظمة ومن الثروة ما يمكنها ممن الظفر بدولة قوية غنية كالدولة الإنكليزية، وقد تقدم عنه التصريح بهذا، وكان مع هذا كله يعتقد أن عرابى باشا غر ساذج ينخدع للاجانب بما لا يصح أن يخفى على رجل متعلم فى الدرجة الوسطى، وذكر عنه أنه انخذع بقنصل فرنسة الجنرال أولاً وبمسيو دلسبس آخرا، وإنمافهم بعد خراب البصرة، أنه لا ينبغى لأحد أن يثق بفرنسه ولا بأحد من رجالها وأنه انخدع لأعراب أولاد على، وكان يطلع الحاوى جاسوس الإنكليز على أسراره العسكرية، ولا يتصور وقوع الخيانة منه ولا من أحد منهم لأنهم مسلمون، فيا لله العجب من فهمه لإسلامهم ومن ارتقائه بأنفسهم فيه إلى مقام الصحابة من المهاجرين والأنصار وإلى درجة الأولياء والأبرار، بل عرج بهم إلى أفق الأنبياء المعصومين عليهم السلام وأكثرهم لم يعرف من الإسلام، إلا إسمه ولا من القرآن إلا رسمه، كما يقول خطباء الجمعة فى مسلمى هذا الزمان من أهل الحضارة بله همج البداوة.

فهل يرجى لجيش أن ينتصر على مثله أو ما دونه فى العدد والعدة إذا كان قائدة يبنى أحكامه وأعماله الحربية على هذه الأوهام؟.. كلا.. فكيف يرجى أن ينتصر على جيش يفوقه فى كل شئ من الأسباب كالعدد والعدد والسلاح والنظام؟..

وانما كان الإمام الشيخ محمد عبده مع هذا كله يشد أزرهم بما استطاع بعد وقوع العداء بينهم وبين الإنكليز، لان هذا واجب شرعا ووطنية، ولو استطاع درء هذه الفتنه بمنع الثورة قبل استفحالها أو بصلح شريف بعد وصولها إلى آخر حدها لفعل.

ولله فى خلقه سنن مطردة والموفق من الأفراد والشعوب من اعتبر بها وراعاها فى عمله «ولن تجد لسنة الله تبديلا. ولن تجد لسنة الله تحويلا»

«انتهي الكتاب»

«خاتمة»

وهكذا نصل إلى ختام هذا الكتاب الذى يرى القارئ الكريم أنه قد ضم ثلاثة كتب فى كتاب واحد.. ولا شك أن الجزء الأساسى فيه هو «تراث الجمهورية».. ثم رأينا لكى تكتمل الفائدة أن نسبقه بجزء يمهد لما جاء فى «تراث الجمهورية» الذى تناول صفحات من كفاح الشعب المصرى فى مواجهة الاحتلال والتى كانت قمتها «ضرب الإسكندرية» فى ١١ يوليو ١٨٨٢.. ثم أن يتبع «تراث الجمهورية» جزء آخر يضم «مذكرات الإمام الشيخ محمد عبده».. وكما ترى كان كل جزء من هذه الأجزاء الثلاثة يمكن أن يكون كتابا وحده.. ولكننا رأينا أن نجمعها سويا فى هذا الكتاب إتماما للفائدة واستكمالا للموضوع الواحد فى كتاب واحد.

ونأمل عزيزى القارئ أن يلقى هذا الجهد تقديرك

وعلى الله قصد السبيل...

صلاح عطية
salahattia@hotmail.com

مراجع الكتاب:

١ ـ مصر للمصريين: سليم خليل نقاش

٢ ـ رقيب على احداث مصر: ميخائيل شاروبيم

٣ ـ تاريخ الحركة القومية فى مصر وتطور نظام الحكم: عبدالرحمن الرافعى

٤ ـ مصر المجاهدة فى العصر الحديث: عبدالرحمن الرافعى

٥ ـ الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى: عبدالرحمن الرافعى

٦ ـ ضرب الإسكندرية فى ١١ يوليو: عباس محمود العقاد

٧ ـ أحمد عرابى مصر للمصريين: د. حسين فوزى النجار

٨ ـ مذكرات عرابى: كشف الستار عن سر الأسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية فى عامى ١٢٩٨ و ١٢٩٩ الهجريتين وفى ١٨٨١ و١٨٨٢ الميلاديتين: بقلم زعيم الثورة العرابية أحمد عرابى

٩ ـ الزعيم الثائر أحمد عرابى: عبدالرحمن الرافعى

١٠ ـ مذكرات الزعيم أحمد عرابى: محمد فريد السيد عجاج

١١ ـ عظماء من مصر: عبدالمنعم شميس

١٢ ـ تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده: السيد محمد رشيد رضا

١٣ ـ الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده: تحقيق وتقديم د. محمد عمارة

١٤ ـ الإمام محمد عبده: عبدالحليم الجندى

١٥ ـ مذكرات الإمام محمد عبده: طاهر الطناحى.

١٦ ـ الإمام محمد عبده بين المنهج الدينى والمنهج الاجتماعى : د. عبدالله محمود شحاته.

الفهـــرس

الجزء الأول

ضرب الاسكندرية

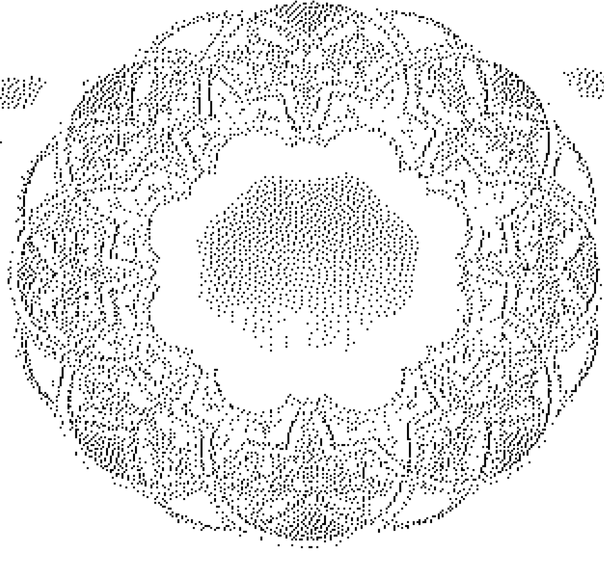
المقدمات والنتائج

الجزء الثانى

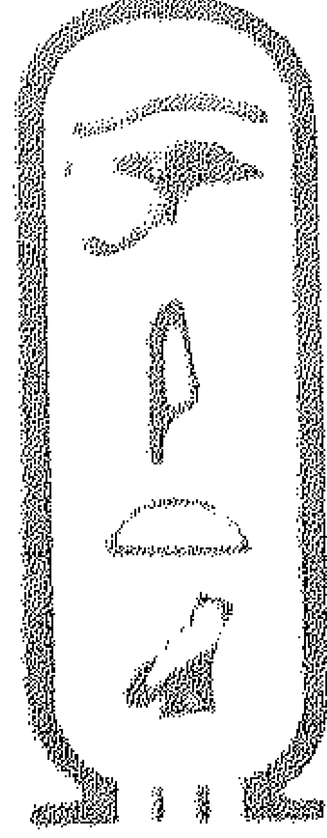
صفحات من « تراث الجمهورية »

الجزء الثالث

مذكرات الإمام الشيخ محمد عبده



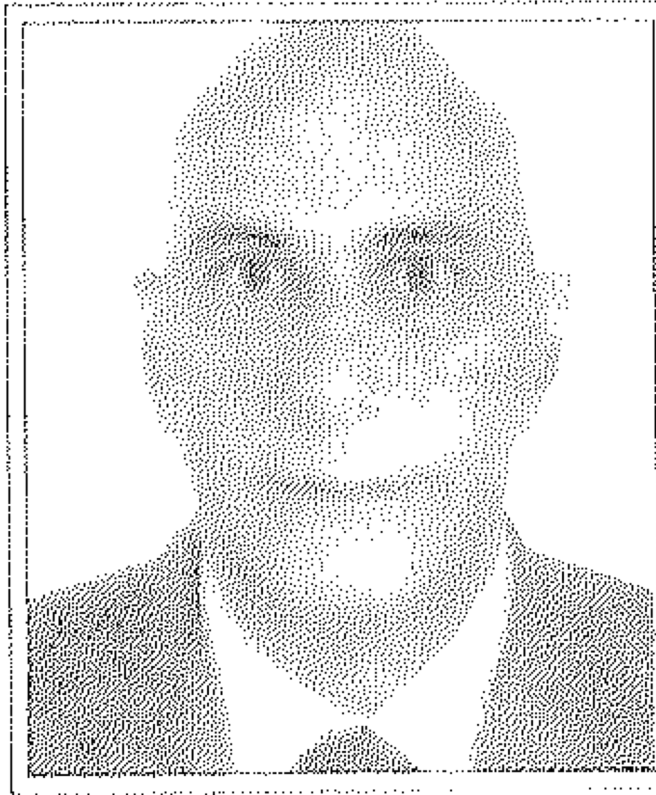
هذه السلسلة تصدر تحت رعاية



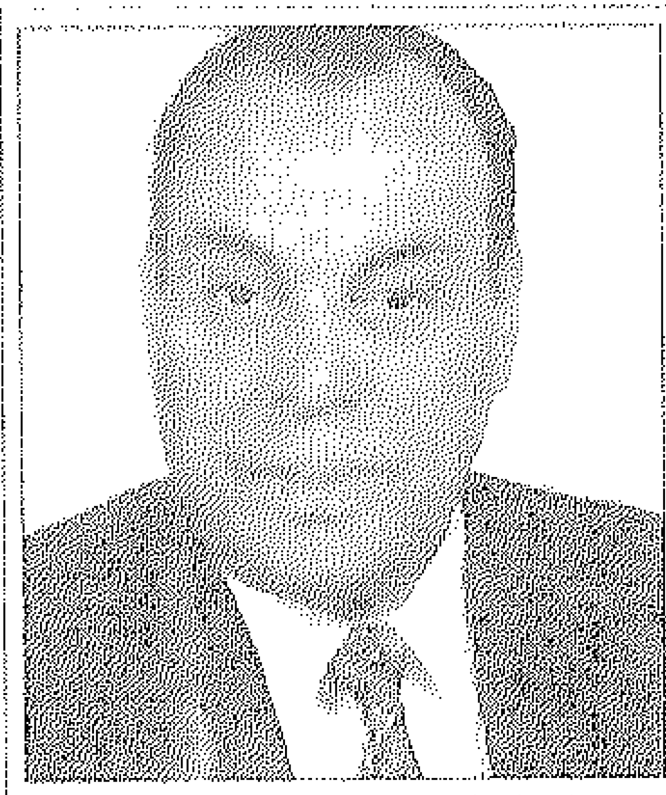
الهيئة المصرية العامة للتنشيط السياحي
ورعاية كريمة من الأساتذه



المحمدى حويدق
رئيس مجلس ادارة
الجفتون للمشروعات السياحية



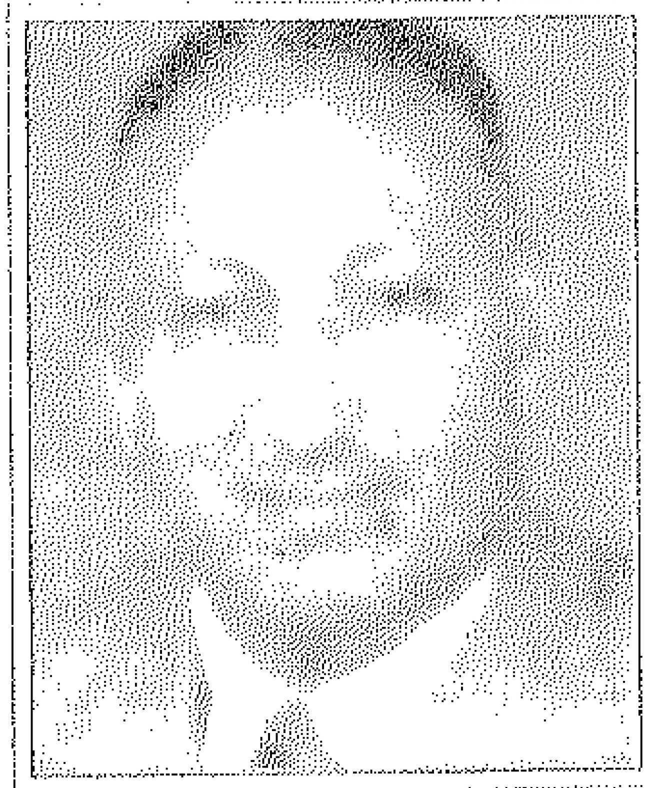
أمجد حسون
رئيس مجلس ادارة
مجموعة فلاش تور



يحيي طرباي
مدير عام
سبرنج تورز



سامح حويدق
رئيس مجلس ادارة الياسمين بيتش
للمشروعات السياحية



محمد حسنين
رئيس مجلس إدارة
جلاكسيا للسياحة

وبمشاركة من الياسمين بيتش للمشروعات السياحية وسبرنج تورز وفلاش تور

.....STILL SITTING ?
VISIT EGYPT



.....your DESTINATION MANAGEMENT
in Egypt



- ...round Handling
- ...lor Made Programs
- ...venture Programs
- ...centives
- Airport Assistance
- Hotel Bookings
- Tours & Excursions
- Confrences



Tel (20 - 2) 2419 34 51
Fax.(20- 2) 2291 11 82 - 2417 02 86
E-mail:flash@flash-tour.net
www.flashtour.com

